

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة السودان المفتوحة

برنامج التربية

تاريخ المغرب والأندلس

رمز المقرر ورقمه: ترخ 301

إعداد: د. عبد القادر عثمان محمد جاد الرب

منشورات جامعة السودان المفتوحة، الطبعة الأولى 2005

جميع الحقوق محفوظة لجامعة السودان المفتوحة، لا يجوز إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب، وبأي وجه من الوجوه، إلا بعد الموافقة المكتوبة من الجامعة

التحكيم العلمي : د. يحيى محمد إبراهيم
التصميم تعليمي: أ. مجتبى علي إبراهيم محمد
مراجعة التصميم التعليمي: أ. ياسر خلف الله حسن
التصميم الفني : أماني الأمين مبارك
التنضيد الطباعي : أماني الأمين مبارك

مقدمة المقرر

عزيزي الدارس،

مرحباً بك إلى هذا المقرر، والذي يتناول تاريخ المغرب والأندلس، ويتكون هذا المقرر من خمس وحدات رئيسية، وكل وحدة تشتمل على عدد من الأقسام.

تهتم الوحدة الأولى بالفتح الإسلامي لبلاد المغرب والأندلس، وهي تعرفك ببلاد المغرب وأهم الدوافع التي جعلت المسلمون يسعون لفتحها، كما تعرفك بالأندلس، ولم اهتم المسلمون بفتح هذه المنطقة والتي تعرف اليوم بدولة أسبانيا، بجانب تناول أهم مراحل هذا الفتح.

والوحدة الثانية تبين لك الأحوال في الأندلس في عصر الولاة وعصر الخلافة، من خلال التعريف بأمرأ عصر الولاة، وخلفاء عصر الخلافة، بجانب تناول أهم الصراعات والفتن الداخلية والعلاقات الخارجية.

أما الوحدة الثالثة فهي تتناول العهد الذي أعقب عصر الخلافة وهو عصر ملوك الطوائف، وتفضل هذه الوحدة في أسباب ظهور ملوك الطوائف، والدويلات التي كونوها مثل دولة بني حمود، ودولة اشبيلية ودولة غرناطة، ونستعرض الوحدة أهم الخصائص لكل دولة ومنجزاتها في مجال العلاقات السياسية والثقافية. والوحدة الرابعة خصصت لدولتي المرابطين والموحدين بالأندلس، وهي تُعرِّف بالدولتين، ومدى اهتمامهما بضم الأندلس لملكهم في مراكز والدفاع عنها، ومن ثم تتناول الوحدة ضعف دولة الموحدين وسقوط دولة الإسلام في الأندلس.

تشتمل الوحدة الخامسة والأخيرة من هذا المقرر على موضوعات الفنون والآداب والفلسفة والعلوم في المغرب والأندلس وهي تبين أهم المنجزات في مجالات الأدب، والطب، والصيدلة والجغرافيا والهندسة والعمارة، كل ذلك من خلال تناول مجموعة من العلماء تخصص كل واحد منهم في مجال من المجالات السابقة.

عزيزي الدارس، يساعدك هذا المقرر على معرفة وفهم تاريخ فتح المسلمين لبلاد المغرب والأندلس وما أسهموا به من تطور حضاري وثقافي في تلك المناطق، وأنصب اهتمامنا في أن نقدم لك عدد من أسئلة التقويم الذاتي والتدريبات والأنشطة تعينك على تحصيلك العلمي وفهم المقرر.

الأهداف العامة للمقرر

- بعد فراغك من دراسة هذا المقرر ينبغي أن تكون قادراً على أن:
- تعرّف بجغرافية المغرب والأندلس قبيل الفتح الإسلامي لهما.
 - تصف سير الفتوحات الإسلامية لكل من المغرب والأندلس.
 - تكون آراءً في الجدل الدائر حول فتح الأندلس.
 - تشرح إدارة الأندلس في العصور الإسلامية المختلفة.
 - توضح نشأة وتطور دولتي المرابطين والموحدين.
 - تبيّن دور كل من المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس.
 - تسمي مملكة غرناطة وما كانت عليه
 - تبرز مساهمة علماء المغرب و الأندلس في العلوم والمعارف والفنون المختلفة.

محتويات المقرر

الوحدة	عنوان الوحدة	الصفحة
الوحدة الأولى	الفتح العربي الإسلامي لبلاد المغرب والأندلس.	1
الوحدة الثانية	الأندلس من عصر الولاة إلى عصر الخلافة	55
الوحدة الثالثة	عصر ملوك الطوائف بالأندلس	107
الوحدة الرابعة	دولتا المرابطين والموحدين بالأندلس	153
الوحدة الخامسة	الفنون والآداب والفلسفة والعلوم في المغرب والأندلس.	207



الوحدة الأولى
الفتح العربي الإسلامي
لبلاذ المغرب والأندلس

محتويات الوحدة

الصفحة	الموضوع
3	المقدمة
3	أهداف الوحدة
4	1. الفتح العربي الإسلامي لبلاد المغرب
5	1. 1. التعريف ببلاد المغرب.
12	1. 2. دوافع وأهداف الفتح الإسلامي
14	1. 3. مراحل الفتح
24	2. الفتح الإسلامي للأندلس
24	2. 1. التعريف بالأندلس
32	2. 2. التمهيد لفتح الأندلس إسبانيا
34	2. 3. مراحل الفتح
38	2. 4. استدعاء موسى وطارق
41	2. 5. قضايا أثّرت ولها صلة بالفتح
45	الخلاصة
45	لمحة مسبقة عن الوحدة التالية
46	إجابات التدريبات
49	مسرد المصطلحات
52	المصادر و المراجع

المقدمة

تمهيد

عزيزي الدارس

مرحباً بك إلى الوحدة الأولى من هذا المقرر بعنوان (الفتح الإسلامي لبلاد المغرب والأندلس) وهي تشتمل على قسمين، يتناول القسم الأول منها الفتح العربي الإسلامي لبلاد المغرب، ويشرح لك هذا القسم التعريف ببلاد المغرب من حيث المصطلح والتقسيمات، وجغرافية المنطقة، والتركيب السكانية ويفصل لك أيضاً دوافع وأهداف الفتح الإسلامي وأهم مراحل هذا الفتح والتي بلغت سبعة مراحل امتدت من عام 28 هـ حتى عام 90 هـ. وحرصنا في هذا القسم أن نعد لك مجموعة من أسئلة التقويم الذاتي والتدريبات والأنشطة تساعدك على فهم محتوياته.

أن موضوع القسم الثاني هو الفتح العربي الإسلامي للأندلس، وأيضاً يعرفك هذا القسم بتسمية وجغرافية الأندلس، بجانب الأوضاع الاجتماعية وأهم الطبقات المكونة للمجتمع في تلك الفترة. كما يتناول الاستعدادات لفتح الأندلس و مرحلتي الفتح وهما مرحلة السرايا ومرحلة الفتح المنظم، وأهم القضايا التي أثّرت حول هذا الفتح. وأيضاً يشمل هذا القسم على أسئلة التقويم الذاتي والتدريبات والأنشطة.

تحتوي الوحدة على خرائط وجدول توضيحية ومسرد للمصطلحات وحلول وتعليقات أنموذجية للتدريبات. ونرحب بك عزيزي الدارس مرة أخرى في هذه الوحدة ونرجو أن تستمتع بدراستها وأن تفيدنا بملاحظاتك عنها.

أهداف الوحدة



عزيزي الدارس، بعد فراغك من دراسة هذه الوحدة ينبغي أن تكون قادراً علي أن:

1. تكون صورة واضحة لجغرافية المغرب والأندلس قبل الفتح الإسلامي لهما.
2. تفهم الظروف والأحداث التي قادت المسلمين إلي كل بلد منهما.
3. تتعرف علي المراحل المختلفة لفتح كل من المغرب والأندلس.
4. تدرك بعض القضايا المهمة التي أثّرت حول فتح الأندلس.

1. الفتح العربي الإسلامي لبلاد المغرب

1.1 التعريف ببلاد المغرب

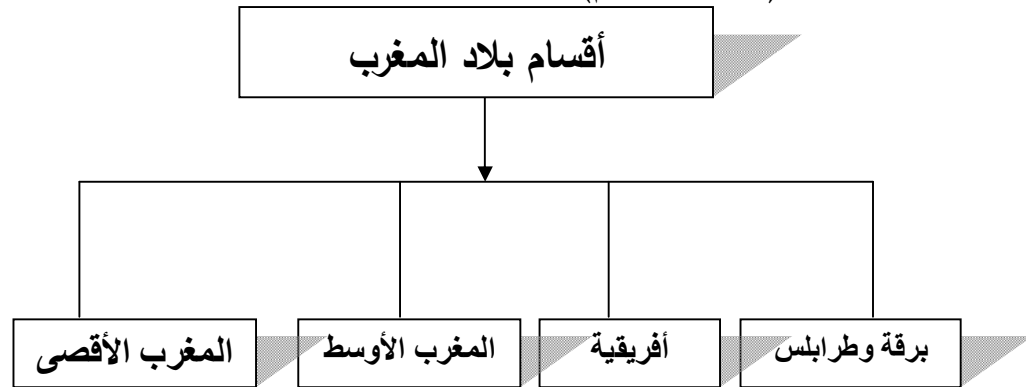
أولاً: المصطلح والتقسيمات

المقصود ببلاد المغرب المنطقة الممتدة من الإسكندرية شرقاً إلى بحر الظلمات غرباً (المحيط الأطلسي). وقد عرفت هذه المنطقة بأسماء مختلفة، فالإغريق كانوا يطلقون على جزءها الشمالي اسم لیبو، والجزء الجنوبي الصحراوي اسم بلاد الأحباش السود (AndreJulienr, 1951)، أما الجزء الشرقي منها فقد اشتهر منذ صدر الإسلام بأفريقيا. وقد تعددت الروايات حول مدلول وأصل اسم أفريقيا، فبعض الروايات العربية تذكر بأنه مشتق من اسم إفريقش بن قيس بن صيفي، أحد ملوك اليمن غزا إفريقية وافتتحها وبنى فيها الأمصار (البكري، 1951م، وابن خلدون، 1966م، ج6)، وبعض الروايات تذكر بأن المصريين هم الذين أطلقوا عليها هذا الاسم؛ لأنها فرقت بينهم وبين المغرب (الحموي، بدون تاريخ، مادة إفريقيا)، وهذه الرواية قريبة من رواية أخرى تقول بأنها سميت بإفريقية لأن بحر الروم يفصل بينها وبين أوربا (كربخال، 1984م، ج2). ولكن هذه الروايات في مجملها لا ترقى إلى مستوى الحقيقة لأنه لا تسندها النقوش ولا الآثار ولا الكتابات التاريخية المعتمدة في هذا الجانب. والرأي الراجح هو إن هذه التسمية تحريف عربي لكلمة أفريكا Africa التي أطلقها الرومان على المنطقة التي شيدوها في مكان مدينة قرطاجنة الفينيقية وما حولها بعد تخريبهم لها وتدعم هذا الرأي الآثار والنقوش والمستندات اللاتينية (Brunschvig, 1946). أما التحريف فقد يكون ناتجاً عن نطق بعض القبائل العربية للكاف قافاً، وهو أمر يمكن قبوله لأن القاف تنطق أحياناً كافاً من قبل بعض العرب (الأنطاكي، 1969م). ويشمل مصطلح إفريقية منطقة قرطاجنة وما حولها حتى نوميديا، وهي تقابل اليوم الجزء الشمالي الشرقي من الجمهورية التونسية (سالم، 1981م، ج2). وقد اتسع مدلول هذا المصطلح ليشمل الشمال الإفريقي كله بمرور الزمن، بل تعداه وأصبح اسماً للقارة كلها. (أفريقيا). ثم انحسر واقتصر مدلوله على المنطقة التي تلي إقليم طرابلس

غرباً حتى بجاية، وهو الإقليم الذي تتوسطه مدينة القيروان (الحموي، معجم البلدان، مادة إفريقية، وسالم، 1981م ج2)، هذا وقد ميز الباحثون بينه وبين القارة بأن جعلوه ينتهي بقاء مربوطة (إفريقية) والقارة بألف مد (إفريقيا).

وعموماً فهناك شبه اتفاق بين المؤرخين المحدثين على تقسيم بلاد المغرب إلى أربعة أقسام هي:

1. برقة وطرابلس، وهما أول كور المغرب من الجهة الشرقية المتاخمة لمصر.
2. إفريقية، وتمتد من طرابلس شرقاً إلى بجاية أو تاهرت غرباً، وقاعدتها مدينة القيروان.
3. المغرب الأوسط، ويمتد من تاهرت حتى وادي ملوية وجبال تازة غرباً، وقاعدته مدينة تلمسان، وجزائر بني مزغنة.
4. المغرب الأقصى، وهو أقصى جزء من بلاد المغرب عن دار الخلافة بالشرق، ويمتد من وادي ملوية شرقاً حتى مدينة آسفي على بحر الظلمات غرباً، وجبال درن جنوباً (محمود، 1957م).

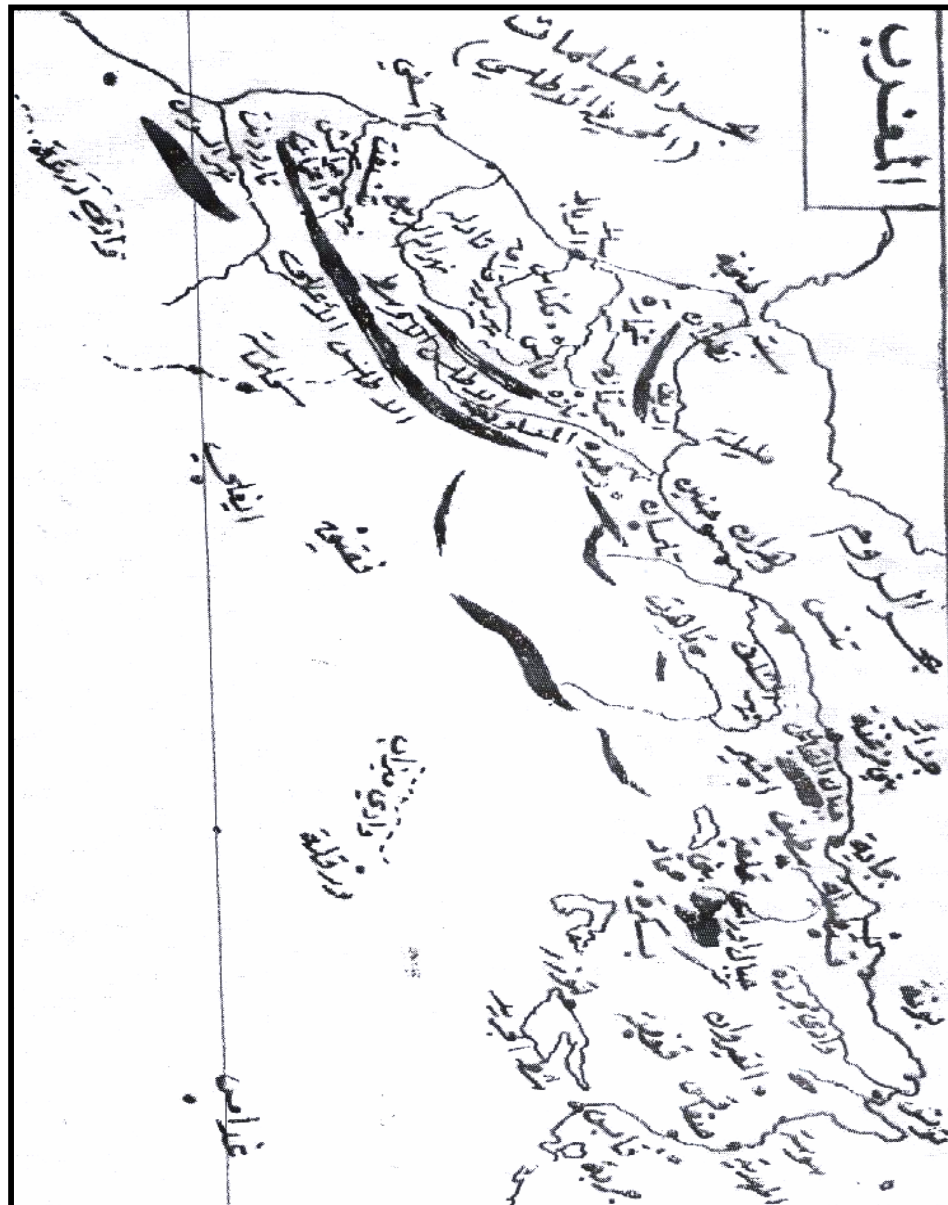


ثانياً: جغرافية بلاد المغرب

يتميز المغرب من الناحية التضاريسية بوجود سلسلة من الجبال تتوزع على معظم أراضيه، وهي امتداد لجبال أطلس المجموعة الألبية، وهي سلسلتان إحداها جنوبية والأخرى شمالية. والشمالية تتفرع إلى فرعين، فرع يمتد من الشمال الشرقي ابتداءً من طنجة إلى الشرق بمحاذاة الساحل حتى مليلية ويعرف بجبال الريف، وهي جبال متوسطة الارتفاع. أما الفرع الثاني فهو الأساسي، ويمتد من بحر الظلمات شمالي وادي سوس نحو الشمال الشرقي، ويعرف باسم أطلس التل. وتمتاز هذه الجبال بالارتفاع والانحدار الشديدين نحو السواحل الشمالية والأحواض الجنوبية المنعزلة بين أطلس التل وأطلس الصحراوي. (Andre Julien, 1951)

أما السلسلة الجنوبية من جبال أطلس فتتمدد في جوف الصحراء من جنوبي وادي سوس حيث تعرف باسم أطلس الكبرى. وتوجد في جنوبها سلسلة أخرى صغيرة تسمى جبال درن وتمتد سلسلة جبال أطلس الكبرى موازية لجبال أطلس التل حتى تنتهي بجبال زغوان. وهي أكثر جبال أطلس ارتفاعاً، ولا تتخللها ممرات تسهل التواصل بين المغرب الأقصى وبقيّة أجزاء المغرب. وتشتمل هذه السلسلة على مجموعة من الجبال هي: جبال القصور، وجبال العمور، وجبال أولاد نايل، وجبال الزاب وجبال أوراس. وتوجد ما بين سلسلتي جبال أطلس هضاب، هذا إلى جانب السهول الموجودة على بحر الروم وبحر الظلمات (سالم، 1981م، ج2). وقد كان لهذه الجبال آثارها وانعكاساتها على أمزجة وبنية المغاربة، وتواصلهم مع العالم الخارجي. (أنظر خريطة رقم (1)).

خريطة رقم (1) المغرب



تدريب (1)



1. ما المقصود ببلاد المغرب؟
2. أذكر أرجح الآراء حول سبب تسمية أفريقيا.
3. عدد أقسام بلاد المغرب الأربعة.
4. بماذا تسمى الجبال التي تمتد بين طنجة و مليلية؟
5. ما هي الجبال التي تكون سلسلة جبال أطلس؟

ثالثاً: التركيبة السكانية

في الوقت الذي تحركت فيه جيوش الفاتحين المسلمين نحو المغرب كانت تقطنه ثلاث مجموعات رئيسة وهي:

أ. البيزنطيون

تطلق عليهم المصادر العربية اسم الروم، ويمثلون الطبقة الحاكمة والموظفين والتجار.

ب. الأفارقة

هم بقايا شعب قرطاجنة الفينيقي وأخلاق من المستعمرين اللاتين، والمجموعة من أهل البلاد الأصليين التي تأثرت بالحضارة الرومانية والبيزنطية وتربطها مصالح مع السلطة الحاكمة ويشغلون في مهن كالزراعة والصناعة (Andre Julien, 1951)

ج. البربر

هم سكان الشمال الإفريقي الأصليين ويشكلون أغلبية في كل أرجائه، وقد اختلف المؤرخون والباحثون حول تسميتهم بالبربر؛ فالبعض يرى أن التسمية لها صلة باللغة التي يتحدثونها، لأن البريرة في اللغة العربية تعني اختلاط الأصوات غير المفهومة (ابن

خلدون، 1966م، ج6، والبلاذري، 1978م)، وهذا يعنى أن العرب هم الذين أطلقوا عليهم هذا الاسم. وهناك رأى آخر يرى أن التسمية اشتقت من لفظ البر الذي أطلقه العرب على جميع صحاري المغرب وإفريقية غير الآهلة بالسكان (كربخال، 1984م) ولكن **الراجح تاريخياً** أن الرومان هم الذين أطلقوا هذا الاسم على سكان الشمال الإفريقي (حركات، 1984م، ج1) وعنهم أخذ العرب وغيرهم.

أما نسبتهم إلى الأمم القديمة . اليمنيين، والكنعانيين. فقد دار حوله الخلاف أيضاً لصعوبة تحديده؛ وذلك لأن بلاد المغرب كانت وما زالت منطقة جاذبة للسكان لموقعها الاستراتيجي، وتعدد أقاليمها المناخية، وسهولة الوصول إليها. وقد شقت مجموعات كبيرة ومختلفة الأعراق منذ القدم طريقها إليها بعد أن ضاقت بها سبل العيش في أماكنها الأصلية، أو كثرت الخلافات بينها وبين جيرانها، كما لا يستبعد أن تكون الدول التي تعاقبت على حكمها قد هجرت إليها بعض القبائل والفصائل لأهداف سياسية ومن الطبيعي أن تكون هذه المجموعات الوافدة حينما التقت لأول مرة بالمغرب قد حدث بينها وبين العناصر المستقرة نزاع وحروب ولكن مع مرور الزمن تأخت وتصاهرت، وانصهرت في بعضها البعض وكونت هذا الخليط الذي أطلق عليه اسم البربر. ومن هنا يمكن القول بأن البربر هم: **خليط من الساميين والحاميين والزنوج** (ابن خلدون، 1966م، ج6، ابن خلدون، محمد بن محمد، 1903م، وحركات، 1984م، ج1).

أما عن أقسامهم فهم ينقسمون إلى قسمين كبيرين هما: البرانس والبتر. فالبرانس هم أبناء برنس، والبتر هم أبناء ماذغيس الملقب بالأبتر. والبرانس سبعة بطون وهي أزداحة ومصمودة وأورية وعجيسة وكتامة وصنهاجة وأريغة وأضيفت لهم لمطة وهسكورة وكزولة. وهنالك من يستبعد عنهم كتامة وصنهاجة ويعتبرهما من شعوب اليمن التي خلفها إفريقش بن صيفي بإفريقية بعد غزوته لها. أما البتر فتجمعهم أربعة بطون وهي: أداسة ونفوسة وضريسة وبنو لو الأكبر (ابن خلدون، 1966م، ج6).

لم يكن التقسيم السابق إلى البرانس والبتر موجوداً قبل الفتح الإسلامي للمغرب وإنما أحدثه العرب، وذلك لاختلاطهم بالبربر، وتعرفهم على عاداتهم وتقاليدهم وتراثهم

الثقافي بحكم الطبيعة البدوية للشعبيين، والفارق الحضاري بين البربر والأمم التي حكمتهم قبل الفتح الإسلامي لبلادهم. (ابن منصور، 1968م، ج1)

وقد وقف الباحثون طويلاً عند هذا التقسيم لسبر أغواره ومعرفة حقيقته، فبرزت ثلاثة آراء متباينة وهي كالآتي:

الرأي الأول: توصل بعضهم إلى أنه ناتج عن طبيعة الحياة التي تعيشها كل مجموعة؛ فالبرانس في معظمهم مستقرون ويسكنون بيوتاً من الحجر، أما البتر فإن معظمهم من البدو ومنازلهم عبارة عن خيام من الوبر.

الرأي الثاني: رأى فريق آخر أن سر التسمية كامن في الفروق الحضارية بين المجموعتين؛ فالبرانس تأثروا بحضارات الشعوب التي استعمرت المنطقة، أما البتر فقد ظلوا على بداوتهم.

الرأي الثالث: رد بعض الباحثين على الرأيين السابقين، وأبرزوا أن البدواة والحضارة متبادلتين ومشتركتين بين الطائفتين معاً. وإلى جانب الرأيين السابقين ظهر رأى ثالث اعتمد على التفسير اللغوي للفظتي برانس وبتر، وعلى نوعية الملابس التي ترتديها كل طائفة؛ فوجدوا أن هنالك قبائل ترتدي البرنس. (الجبة، ويطلق عليها في المغرب الجلابة). الطويل ذا القب. (غطاء الرأس الملصق بالجلابة). المخروطي، فاستنتجوا أن هؤلاء هم البرانس؛ أما تلك التي تلبس البرنس القصير بدون قب فأطلق عليها اسم البتر، أي الناقصة، ولكن وجهة النظر هذه لا يمكن تعميمها على كل قبائل البربر، فالملمثون الطوارق مثلاً على الرغم من أنهم من قبائل البرانس إلا أنهم لم يلبسوا البرنس قط، كما أن لباسهم يختلف عن لباس البتر. ومن هنا يصعب توقعهم في أى واحدة من المجموعتين استناداً إلى الضوابط السابقة (ابن منصور، 1968م، ج1).

ومهما كانت الاختلافات حول هذا التقسيم إلا أنه يتماشى مع ما كان سائداً في المجتمع المغربي في العصور الوسطى، وكذلك فإن معرفته ضرورية بالنسبة للدارسين لتاريخ البربر قبل الإسلام وبعده، لأنه أثر تأثيراً كبيراً في علاقات البربر مع بعضهم البعض، ومع الشعوب التي حلت ببلادهم مسالمة أو محاربة.

تدريب (2)



1. "سكنت المغرب ثلاث مجموعات رئيسة عندما تحركت إليه جيوش المسلمين" عدد تلك المجموعات.
2. ما هما قسمي البربر الكبيرين؟

أسئلة للتقويم الذاتي



1. هناك اختلافات بين الباحثين حول مصطلح المغرب: وتطوره والأقسام التي ينقسم إليها، وضح.
2. عرف بالبربر تعريفاً شاملاً.

2.1 دوافع وأهداف الفتح الإسلامي

إن الفتح الإسلامي لبلاد المغرب كأى عمل إنساني لا بد أن يكون محركاً بدوافع معينة، ويسعى إلى تحقيق أهداف مرسومة ومتفق عليها. فما هي هذه الدوافع والأهداف؟ بعد نجاح العرب المسلمين في بسط سيطرتهم على مصر كان من الطبيعي أن تتحول أنظارهم نحو المغرب وذلك للأسباب الآتية:

أولاً: وجود حاميات بيزنطية على سواحل بحر الروم

كانت مصر ولاية بيزنطية وباستيلاء المسلمين عليها، وعلى أملاك بيزنطة بالشام يكون المسلمون قد دخلوا في صراع مسلح مع بيزنطة ومن الطبيعي أن يفكر البيزنطيون في التأثير لأنفسهم من المسلمين بمهاجمتهم في مصر، وأن يفكر المسلمون في تأمين أنفسهم من الجهة الغربية وذلك بالقضاء على الوجود البيزنطي في هذه الجهة.

ثانياً: الموقع الاستراتيجي للمغرب

تحتل بلاد المغرب موقعاً استراتيجياً، فبحر الروم وبحر الظلمات يربطان بينها وبين أوروبا وآسيا وإفريقيا. كما أن وجود طرق القوافل في صحراءها الجنوبية يجعل التواصل بينها وبين إفريقيا جنوب الصحراء أمراً ميسوراً بالنسبة للدعاة والتجار المسلمين. وعلاوة على ما سبق فإنه لا يوجد أي حاجز مائي يمنع التواصل بينها وبين أملاك المسلمين في مصر، هذا فضلاً عن أن البحار التي تطل عليها تسهل التواصل بينها وبين أملاك الدولة الإسلامية الأخرى في الشام من جهة وبين أوروبا من جهة أخرى.

ثالثاً: السيطرة على ثروات المغرب

اشتهر المغرب منذ القدم بتوافره على ثروات معدنية كالحديد والذهب والنحاس، وثروات فلاحية وحيوانية وغابية وسمكية، وهذا واضح من كثرة الدول الأجنبية التي تعاقبت على حكمه والتي كان آخرها البيزنطيون. وهذه الثروات كانت الدولة الإسلامية في أمس الحاجة إليها لتنظيم وتأسيس بنياتها الإدارية، وتدريب وتسليح الجيوش، وشق القنوات، وتعبيد الطرق وتأمينها وكذلك لتوظيفها في الدعوة إلى الله، وحرمان أعدائها منها، وتجريدهم من كل مظهر من مظاهر القوة، حتى يتسنى لها بسط الأمن والاستقرار، وتوفير سبل الراحة لرعاياها.

رابعاً: الدعوة إلى الإسلام

إن المسلم مطالب بتبليغ الرسالة المحمدية لغيره في حدود إمكانياته. ولذلك كان من الطبيعي أن يولي أولي الأمر هذه المسألة اهتماماً خاصاً، وأن تلتفت أنظارهم نحو المغرب باعتبارها عمقاً استراتيجياً لمصر، والسيطرة عليها من شأنها إعطاء الإسلام دفعة قوية نحو أوروبا وإفريقيا جنوب الصحراء.

تدريب (3)



1. عدد دوافع وأهداف الفتح الإسلامي للمغرب.
2. ما هي الثروات التي تتوفر في بلاد المغرب؟

3.1 مراحل الفتح

اقتضت طبيعة بلاد المغرب الجغرافية وأمزجة وتكوين شعوبها الجسيمي والنفسي، والظروف التي كانت تمر بها الدولة الإسلامية في الشام ومصر أن يتم الفتح الإسلامي للمغرب عبر سبع مراحل. وسنحاول تسليط الضوء على هذه المراحل كل واحدة منها على حدة:

أولاً: المرحلة الأولى 20-28هـ / 641-648م

اتخذ قرار فتح مصر في عهد الخليفة عمر بن الخطاب الذي اشتهر بحرصه على سلامة أرواح المسلمين والتأني والدراسة للقرارات خاصة تلك التي تخص الدخول في مواجهات عسكرية مع الأطراف الأخرى، وقد كان قائد هذا الفتح عمرو بن العاص وبعد فتح عمرو للإسكندرية وبسط سيطرته على مجموع التراب المصري.. فكر في استكمال فتح مصر بفتح مدينتي برقة وطرابلس، ولم يستشر الخليفة عمر بن الخطاب في هذا الأمر باعتبار أن المنطقتين تتبعان لمصر رسمياً منذ عهد الإمبراطور البيزنطي موريس (582-602م) وتتمتعان بنوع من الاستقلال النسبي. (مؤنس، 1947م) وقد كانت خطته لفتحها تقوم على التدرج فأرسل في البداية قائده **عقبة بن نافع الفهري** لاستطلاع أمر برقة، التي كانت تقطنها بطون من قبيلة لواته البترية البربرية، وزويلة؛ تمهيداً لفتحها. فوجد عقبة من أهل برقة قبولاً للدخول في طاعة المسلمين ودفع الجزية لهم، لأنهم كانوا ساخطين على أوضاعهم في ظل الحكم البيزنطي. ثم ذهب إليها عمرو بنفسه وصالح

أهلها على دفع الجزية سنوياً؛ وهي عبارة عن دينار عن كل راشد وذلك في عام 23هـ/643م (ابن عذاري، 1983م، ج1، و القبرواني، 1967م).

ثم كانت الخطوة الثانية وهي الانتقال إلى فتح طرابلس على ساحل بحر الروم. وهي مدينة مسورة من جميع الجهات عدا الجهة الشمالية.. جهة البحر. وهي مدينة ثرية لانتعاش حركة التجارة والصناعة بها، وكانت سياسياً تحت سيطرة البيزنطيين (الحميري، 1975م). وكخطوة تمهيدية للفتح أرسل قائده عقبة بن نافع لافتتاح فزان، وتأمين كل المنطقة الممتدة بينها وبين زويلة، وذلك لضمان عدم تعرض الجيوش الإسلامية لأي هجوم مباغت من هذه الجهات، فكللت مهمته بالنجاح (البكري، بدون تاريخ). ثم توجه بنفسه نحو طرابلس فحاصرها لعدة أشهر، فلم يقدر عليها في شيء. ولكن لحسن حظه فقد لاحظ بعض جنده انحسار البحر من الجهة الشمالية، ووجدوا ثغرة نفذوا من خلالها إلى المدينة، وباغتوا أهلها، وتمكنوا من الاستيلاء عليها، ولم يستطع سكانها من التجار البيزنطيين النجاة إلا بقليل من مقتنياتهم بوساطة سفنهم التي كانت راسية على الساحل. أما السكان فقد عاهدتهم المسلمون وألزمهم بدفع الجزية. ولتأمين هذه المدينة من أي خطر من قبائل نفوسة البربرية قام عمرو بافتتاح مدينة سيرت وودان وذلك في عام 23هـ/643م (ابن عبد الحكم، 1961م).

وبعد افتتاح برقة وطرابلس وتأمينهما تطلعت أنظار عمرو بن العاص إلى افتتاح إفريقية، فراسل الخليفة عمر بن الخطاب طالباً منه الإذن، إلا أن رد عمر قد جاء صارماً وبالنهى، وذلك حرصاً منه على سلامة أرواح المسلمين، (البلاذري، 1978م).

وفي عام 24هـ/644م عزل الخليفة عثمان بن عفان عمرو بن العاص من ولاية مصر وعين مكانه عبد الله بن سعد بن أبي السرح. وبعد أن وطد بن أبي السرح أقدامه في مصر، ونظم شؤونها راودته أيضاً فكرة فتح إفريقية، وزينتها له عوامل كثيرة، سياسية واجتماعية واقتصادية وأمنية. فراسل الخليفة عثمان شارحاً له الأسباب، وطالباً منه الإذن والعون في فتحها. فاستشار الخليفة عدداً من نصحاؤه، فاستحسنوا الفكرة. وفي عام 27هـ/647م أرسل جيشاً لمعاونة ابن أبي السرح في فتحها ضم عدداً من كبار الصحابة

كعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن أبي بكر. وفي عام 648هـ/28م تحرك ابن أبي السرح نحو إفريقية وكان يحكم إفريقية الحاكم البيزنطي جيريغوريوس، وكانت عاصمتها قرطاجنة، إلا أن هذا الحاكم قد قام ولأسباب أمنية بنقل العاصمة إلى منطقة بعيدة عن الساحل وهي سبيطلة، وذلك في عام 24هـ/644م، ثم حصن المدن الشرقية كقابس وصفافس وقفصة، لتكون درعاً واقياً له من هجمات الجيوش الإسلامية المرتقبة (سالم، 1981م).

والتقى الجيش الإسلامي بالحاكم البيزنطي، وألحق بجيوشه الهزيمة، وقتله، فاضطر جنده إلى الاستسلام، ودخل المسلمون حصن سبيطلة ولكن مجموعة من القادة البيزنطيين قد التقت بالقائد ابن أبي السرح ودخلت معه في مفاوضات بشأن الانسحاب من إفريقية مقابل تسليمه مبلغ معين من المال، فوافقهم الرأي وسحب جيوشه منها (حركات، 1984م، ج1).

ثانياً: المرحلة الثانية 28-48هـ/648-668م

اختار أهل سبيطلة بعد الاتفاق الذي تم بينهم وبين المسلمين هباهيا Habahia حاكماً خلفاً لجيريغوريوس. ولما بلغ هرقل هذا الخبر والأموال التي استرضوا بها المسلمين استشاط غضباً وطالبهم بدفع مثلها له، وعزل هباهيا وعين مكانه نقفور. فلجأ هباهيا إلى الخليفة معاوية بن أبي سفيان ليعاونه على استرداد حكمه، وذلك لأن اهتمام ولاية مصر بإفريقية قد توقف بعد الصراع بين علي ومعاوية حول الخلافة وإن كان معاوية قد أعاد عمرو بن العاص إلى ولاية مصر عام 38هـ/658م، وأبقى عليه حتى وفاته في عام 43هـ/663م. ولكن المصادر لا تذكر له دوراً في الجهاد في المغرب في هذه الفترة. فأمدّه معاوية بجيش بقيادة معاوية بن حديج وذلك في عام 45هـ/665م (ابن عذاري، 1983م، ج1) فالتقى بنقفور عند قونية (القيروان فيما بعد) فاضطر البيزنطيون إلى الانسحاب إلى سوسة، فطاردتهم جيوش المسلمين، وتمكنت من هزيمتهم والاستيلاء على بنزرت وسوسة وحصن جلواء (حركات، 1984م، والعبادي، 1978م) وانتهى دور ابن حديج عند هذا الحد.

ثالثاً: المرحلة الثالثة 49-55هـ/669-675م

شكلت المرحلة السابقة والتي سبقتها خطوة تمهيدية مهمة لهذه المرحلة التي تعد الركيزة الأساسية لاستكمال فتح المغرب. وتتبع أهميتها من كون العقل المدبر لها هو عقبة بن نافع الذي بقى ببرقة مجاهداً في سبيل الله منذ فتح مصر وإلى تاريخ تعيينه والياً على إفريقية في عام 50هـ/670م من قبل معاوية بن أبي سفيان، ومده بجيش من عشرة آلاف لاستعادة فتح إفريقية (ابن الأثير، 1966م، ج3) ولقد كان لطول مرابطة عقبة بالمغرب، وانشغاله بالجهاد آثار واضحة في سياسته في فترة ولايته هذه إذ كانت من أولوياته اختطاط حاضرة للإسلام في إفريقية؛ لأنه لاحظ أن بربر إفريقية يستجيبون للدعوة الإسلامية حينما تعرض عليهم، ولكنهم يرجعون إلى دياناتهم القديمة بمجرد عودة الدعاة المسلمين إلى قواعدهم. ورأى أن تكون الحاضرة بعيدة عن الساحل حتى لا تكون عرضة لهجوم البيزنطيين، وتتوافر فيها المراعى اللازمة للإبل والدواب، والماء، فوقع اختياره على المكان الذي كان يشغله حصن قونية، وبدأ في إنشاء الحاضرة الإسلامية فيه عام 50هـ/670م، والتي عرفت بالقيروان، وبنى فيها المسجد الذي عرف باسمه، ومعسكرات للجند؛ فاستقر المسلمون بها بعد اكتمالها. ومنها انطلقت جيوشهم إلى مناطق المغرب الأخرى (ابن عبد الحكم، 1961م، وابن عذاري، 1983م، ج1). وفي عام 55هـ/675م عزل عقبة وعين مكانه أبو المهاجر دينار.

رابعاً: المرحلة الرابعة 55-62هـ/675-682م

بعد عقبة بن نافع أكثر الشخصيات إسهاماً في فتح المغرب وإقامة به ومعرفة بطبائع أهله؛ ولذلك فإن عزل معاوية له وإضافة ولاية إفريقية إلى ولاية مصر التي كان عليها مسلمة ابن مخلد الأنصاري، وتعيين هذا الأخير لمولاه أبي المهاجر دينار، قد يعنى حسد مسلمة لعقبة وتطلعه إلى أن تؤول خيرات إفريقية له، وسعايته ضده عند معاوية، وتحذيره له من استغلال عقبة لمكانته، وانفراده بحكم إفريقية دونه، وموافقة معاوية له في الرأي، واتخاذ قرار العزل والتبعية لمصر على ضوء ذلك (ابن عذاري، 1983م).

ويعتبر عزل عقبة بهذه الطريقة بادرة خطيرة في تاريخ الدولة الإسلامية؛ لما أحدثته من تأثير في العلاقة بين الخلفاء وكبار القادة، الذين كانت لهم اليد الطولى في استقرار الحكم لهؤلاء الخلفاء فيما بعد.

ساس أبو المهاجر البربر سياسة تقوم على اللين والمدارة، وتمكن من استقطاب زعيم قبيلة أوربة البربرية . أقوى فصائل البرانس . **كسيلة بن لمزم** إلى جانبه، حيث دخل هذا الأخير في الإسلام، وناصب حلفاءه القدامى البيزنطيين العداء. وبمعاونة كسيلة تمكن أبو المهاجر من التوغل في مدن ومعازل المغرب الأوسط، والتوقف عند مدينة تلمسان ومهاجمة معازل البيزنطيين في قرطاجنة وتحقيق انتصارات هامة عليهم. (السلوي، 1954م، ج1)

تدريب (4)



حدّد صحة أو خطأ العبارات الآتية:

1. اتخذ قرار فتح مصر في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. ()
2. لم يجد عقبة بن نافع عند أهل المغرب قبولاً لطاعة الإسلام. ()
3. نفذ جيش المسلمين إلى طرابلس عبر البحر. ()
4. تحرك جيش ابن أبي السرح لأفريقية عام 28هـ / 648م. ()
5. لم يرجع عمرو بن العاص والياً على مصر بعد عهد عمر بن الخطاب. ()
6. انتهى دور معاوية بن حديج في المغرب بعد دخول حصن جلولاء. ()
7. أعيد عقبة بن نافع والياً على إفريقية عام 51هـ / 671م. ()
8. شيد عقبة بن نافع مدينة القيروان. ()
9. عين أبا المهاجر دينار على إفريقية عام 55هـ / 675م. ()
10. قامت سياسة أبي المهاجر في إفريقية على الشدة والعنف. ()

خامساً: المرحلة الخامسة 62 . 69هـ / 682 . 687م

في عام 60هـ / 679م توفي معاوية بن أبي سفيان وخلفه ابنه يزيد وقد واجه يزيد مقاومة مسلحة قادها الحسين بن علي انتهت بهزيمة الحسين واستشهاده في كربلاء عام 61هـ / 680م، ومقاومة أخرى قادها عبد الله بن الزبير في مكة معترضاً على خلافة يزيد. وفي هذا الأثناء جاء عقبة إلى يزيد متظلماً مما لحق به من ظلم على يد أبي المهاجر دينار عامل إفريقية، ومبرزاً دوره في خدمة الإسلام بالمغرب. فوجد استجابة حسنة من قبل يزيد، حيث قام بفصل ولاية إفريقية عن مصر في عام 62هـ / 681م، وعزل أبي

المهاجر وتعيين عقبة مكانه. وأمد يزيد عقبة بجيش كبير ليتمكن من استكمال فتح المغرب وتثبيت أركان الدولة الإسلامية به (ابن عذاري، 1983م، ج1، و المالكي، 1951م).
جاء عقبة في هذه المرة بحماس أشد وعزيمة أقوى؛ لاستكمال فتح المغرب. وابتدر ولايته الثانية هذه بسلوكيات تتناقض مع سماحة الإسلام وحكمة السياسة، والفترة الطويلة التي قضاها بالمغرب مجاهداً في سبيل الله، إذ أساء معاملته أبي المهاجر دينار وحليفه كسيلة أمام مرأى ومشهد من قومهما وأنصارهما. ثم اصطحبهما معه في حملته لافتتاح المغربين الأوسط والأقصى، واستخلف زهير بن قيس البلوى على القيروان (ابن عذاري، 1983م) وقد تمكن من تحقيق انتصارات مهمة على بربر زناته وهوارة ومكناسة والبيزنطيين في تاهرت ومدن وقلاع المغرب الأوسط الأخرى (المالكي، 1951م). ثم توجه نحو المغرب الأقصى حتى بلغ طنجة في الشمال وصالح صاحبها يوليان ثم توجه جنوباً، وفتح كل المناطق التي مر بها حتى وصل إلى بلاد السوس الأقصى، ثم كر راجعاً إلى إفريقية، ولما وصل إلى طبنة بالمغرب الأوسط أمر معظم جيشه بالتقدم نحو القيروان، وبقي في مجموعة قليلة من أتباعه بهدف الإبقاء بهم في تهودة ليكونوا قاعدة عسكرية لها. وقد كانت بتهودة مجموعات من البيزنطيين، فلما رأت قله جيشه قامت بقفل أبواب المدينة وراست كسيلة بن ملزم. الذي كان قد فر من جيش عقبة وظل مترصداً لتحركاته. وهونت له أمر المسلمين. فانتهاز الفرصة وفاجأ عقبة وأصحابه، ودارت معركة شديدة بين الجانبين استشهد فيها عقبة وأبي المهاجر دينار، ومعظم من كان معهم من جيش وذلك في عام 64هـ/ 683م. (ابن عذاري، 1983م، ج1) ثم واصل كسيلة زحفه نحو القيروان فاضطر قائدها زهير بن قيس أمام عظم جيش كسيلة وأعوانه من البيزنطيين الانسحاب إلى برقة، فدخل كسيلة القيروان وأصبح حاكماً على إفريقية والمغرب إلى أن تولى الحكم عبد الملك بن مروان (ابن عبد الحكم، 1961م، و السلاوي، 1954م، ج1)

سادساً: المرحلة السادسة 69-85هـ / 687-705م

في عام 64هـ/683 م توفي يزيد بن معاوية وخلفه ابنه معاوية، ولكنه لم يحكم سوى أربعين يوماً، ثم جاء من بعده مروان بن الحكم. وفي عام 65هـ/684م توفي مروان وخلفه ابنه عبد الملك. وقد أعطى عبد الملك المغرب اهتماماً خاصاً، فدارت مراسلات بينه وبين زهير بن قيس تمخض عنها إرساله جيشاً كبيراً لزهير، وتوفير كل السبل والمعينات التي تمكنه من استرجاع القيروان من كسيلة؛ هذا وقد انتهب البيزنطيون فرصة ضعف المسلمين بالمغرب واسترجعوا نفوذهم بالساحل وفي عام 69هـ/688م توجه زهير نحو القيروان فانسحب كسيلة منها إلى ممس Mamma التي تقع إلى الجنوب من القيروان، وهناك دارت معركة عنيفة بين الجانبين انتهت بهزيمة كسيلة وقتله، ثم قام زهير بمطاردة من تبقى من جيش كسيلة حتى نهر ملوية، ثم كر راجعاً إلى طرابلس، وفي طريق عودته باغته قوة بيزنطية جاءت من الساحل، فاستشهد في مجموعة كبيرة من جنده. فكانت النتيجة توقف العمل العسكري الإسلامي بالمغرب حتى قضاء عبد الملك بن مروان على تمرد عبد الله بن الزبير في عام 72هـ/691 م (ابن الأثير، 1966م، ج4، والمالكي، 1951م).

وفي عام 72هـ/692م التفت عبد الملك إلى المغرب مرة أخرى، وكون جيشاً من أربعين ألف مقاتل، وعزّزه بأسطول بحري، وأسند قيادته إلى حسان بن النعمان، وجعل تحت تصرفه كميات كبيرة من الأموال. وقد وضع حسان خطة لمواجهة القوى المهيمنة على إفريقية، وهي البيزنطيون في قرطاجنة، والبربر البتر الذين يتمركزون عند جبال أوراس وتقودهم امرأة تدعى داهية وتلقب بالكاهنة، تدل الخطة على حنكة حسان السياسية واستفادته من تجارب القادة السابقين له، وتقوم هذه الخطة على مواجهة أعدائه فرادى. فابتدأ بالبيزنطيين، وقد تمكن من هزيمتهم وإجلائهم عن السواحل، ثم التفت إلى الكاهنة، والتقى بها في عام 75هـ/695م فهزمته. ولكنه لم يستسلم وإنما انسحب إلى برقة وظل يراقب تحركاتها ثم شاءت الأقدار أن تسير الأمور في صالحه إذ ارتكبت الكاهنة خطأ كبيراً حيث قامت بقطع أشجار الزيتون، وتدمير الحصون.. إلخ؛ معتقدة بأن عملها هذا

سيؤدي إلى رجوع العرب إلى بلادهم، لأنهم ما جاءوا إلا لأجل الاستمتاع بهذه الخيرات ولكن نتائج عملها هذا قد كانت عكسية حيث ثار ضدها المستفيدون **الحقيقيون** من هذه الخيرات وهم البربر البرانس وبقايا البيزنطيين. واتصلت مجموعات منهم بحسان، وكشفت له الأسرار العسكرية للكهنة، وشجعته على منازلتها فالتقى بها في مكان عرف ببئر الكاهنة في عام 82هـ/702م فهزمها وقتلها، ثم استمال ابنها وقبيلتها إلى جانبه.

بدأ حسان بعد ذلك في إرساء دعائم الدولة الإسلامية بالمغرب فأنشأ قاعدة بحرية إسلامية في تونس شرقي قرطاجنة، وبنى فيها داراً لصناعة السفن وجلب لها الخبراء من أقباط مصر، ووزع أراضي البيزنطيين على الفلاحين البربر، ونظم الخراج، وعرب الدواوين. وفي عام 86هـ/706م عزل عبد العزيز بن مروان والي مصر حسان بن النعمان، من ولاية إفريقية وأسندها إلى **موسى بن نصير** (ابن الأثير، 1966م، ج4، والمالكي، 1951م، وابن عذاري، 1983م، وسالم، 1961م).

سابعاً: المرحلة السابعة 86-90هـ/707-711م

في العام نفسه الذي تم فيه تعيين موسى والياً على إفريقية فصل الخليفة الوليد بن عبد الملك إدارة إفريقية عن مصر وأسندها إليه. ويعد عهد موسى بإفريقية امتداداً لسياسة الاستقطاب والتجنيد التي ابتدراها ومارسها أبو المهاجر دينار، وكرسها ودعمها حسان ابن النعمان. ومن جانب آخر فقد شهد عهد موسى استكمال فتح المغرب من أدناه إلى أقصاه عدا مدينة سبتة Septa التي اكتفى باستمالة صاحبها يوليان Julian القوطي إلى جانبه، وتعيين موله طارق بن زياد حاكماً على ثغر طنجة، والاهتمام بصناعة السفن (ابن عذاري، 1983م).

تدريب (5)



- اختر رمز الإجابة الصحيحة لكل عبارة من العبارات التالية:
1. عزل يزيد بن معاوية أبا المهاجر وعين مكانه:
أ. عقبة بن نافع ب. حسان بن النعمان ج. عمرو بن العاص د.
زهير بن قيس
 2. أصبح كسيلة بن ملزم والياً على إفريقية حتى تولى خلافة الأمويين:
أ. مروان بن الحكم ب. عبد العزيز بن مروان ج. عبد الملك بن
مروان د. مروان بن محمد
 3. أرسل عبد الملك بن مروان جيش حسان بن النعمان إلى إفريقية
عام:
أ. 70هـ/690م ب. 71هـ/691م ت. 72هـ/692م ث. 73هـ/693م
 4. التقى جيش حسان بن النعمان بجيش الكاهنة في:
أ. القيروان ب. سبتة ج. السواحل د. بئر الكاهنة.
 5. أبقى موسى بن النصير على حكم سبتة:
أ. مولاة طارق بن زياد ب. يوليان القوطي ج. زعيم البربر.
د. أهلها فقط.

نشاط



إلقي نظرة على مراحل فتح المسلمين للمغرب، ثم استخرج عدد المرات التي عين فيها عقبة بن نافع في حكم إفريقية.



1. متي بدأت أولي مراحل فتح المغرب ومتي انتهت آخرها؟
2. "الفتح الإسلامي للمغرب كأى عمل إنساني لا بد أن تكون من وراءه محركات ودوافع." ناقش.
3. "عقبة بن نافع من القادة الذين لعبوا دوراً هاماً في فتح مصر والمغرب" ما هو هذا الدور.
4. "بذل الخليفة عبد الملك بن مروان جهداً واضحاً لاستعادة المسلمين لحكم إفريقية والمغرب وبسط سيطرتهم عليها." وضح.

2. الفتح الإسلامي للأندلس

بعد أن وطد المسلمون أقدامهم بالمغرب كان من الطبيعي أن تتجه أنظارهم نحو الأندلس، خاصة وأنه لا يفصل بينهم وبينها سوى البحر، وأن هذا البحر في بعض جوانبه ضيق ولا يشكل عقبة تذكر أمام القوى السياسية الموجودة بالأندلس إذا عقدت العزم على مهاجمة المسلمين بالمغرب، وأنه قد سبق لقبائل الواندال Vandalos الجرمانية أن عبرت من الأندلس وسيطرت على أجزاء كبيرة من المغرب في القرن الخامس الميلادي. (Jose Luis Asian Pena, 1953)

1.2 التعريف بالأندلس

أولاً: التسمية والجغرافية

المقصود بالأندلس AL-Andalus الأراضي التي تشغلها دولة إسبانيا الحالية ودولة البرتغال Portugal وكان يطلق عليها أيضاً اسم شبه جزيرة إيبيريا Iberia، لأن بحر الروم وبحر الظلمات يحيطان بها من جهة الشرق والجنوب والغرب. أما الجهة الشمالية فتوجد بها جبال البرت laporte أو البورتات (الأبواب) Pirineos وتسمى أيضاً

جبال البرانس، وتفصل هذه الجبال بينها وبين فرنسا، وتتخللها ممرات، مثل: ممر هندايا Hindaya في الغرب، وقطلونيا Cataluna في الشرق؛ تسهل التواصل بين البلدين (الحجي، 1994م).

واسم إيبيريا ربما كان مشتقا من إيبيروس Los iberos؛ وهي القبائل البربرية التي عبرت من المغرب إلى إسبانيا في فترة ما قبل التاريخ وبسطت سيطرتها على جنوبها ثم شمالها (Jose Luis Asian pena, 1953) وأعطته اسمها، ولذلك فهو الاسم الأقدم للأندلس. أما اسم إسبانيا فقد أطلقه عليها الرومان وربما اشتقوه من سفان Saphana ومعناه الأرنب الذي كان متواجداً بكثرة فيها (العبادي، 1978م)

أما اسم الأندلس فمشتق من اسم قبائل الوندال Los vandalos الذين غزوا أسبانيا في عام 409م، واستقروا في سهلها الجنوبي باتكا Baetica وأعطوه اسمهم (Jose Luis Asian Pena, 1953) ثم جاء العرب فعبوه وأطلقوه على شبه الجزيرة الإيبيرية

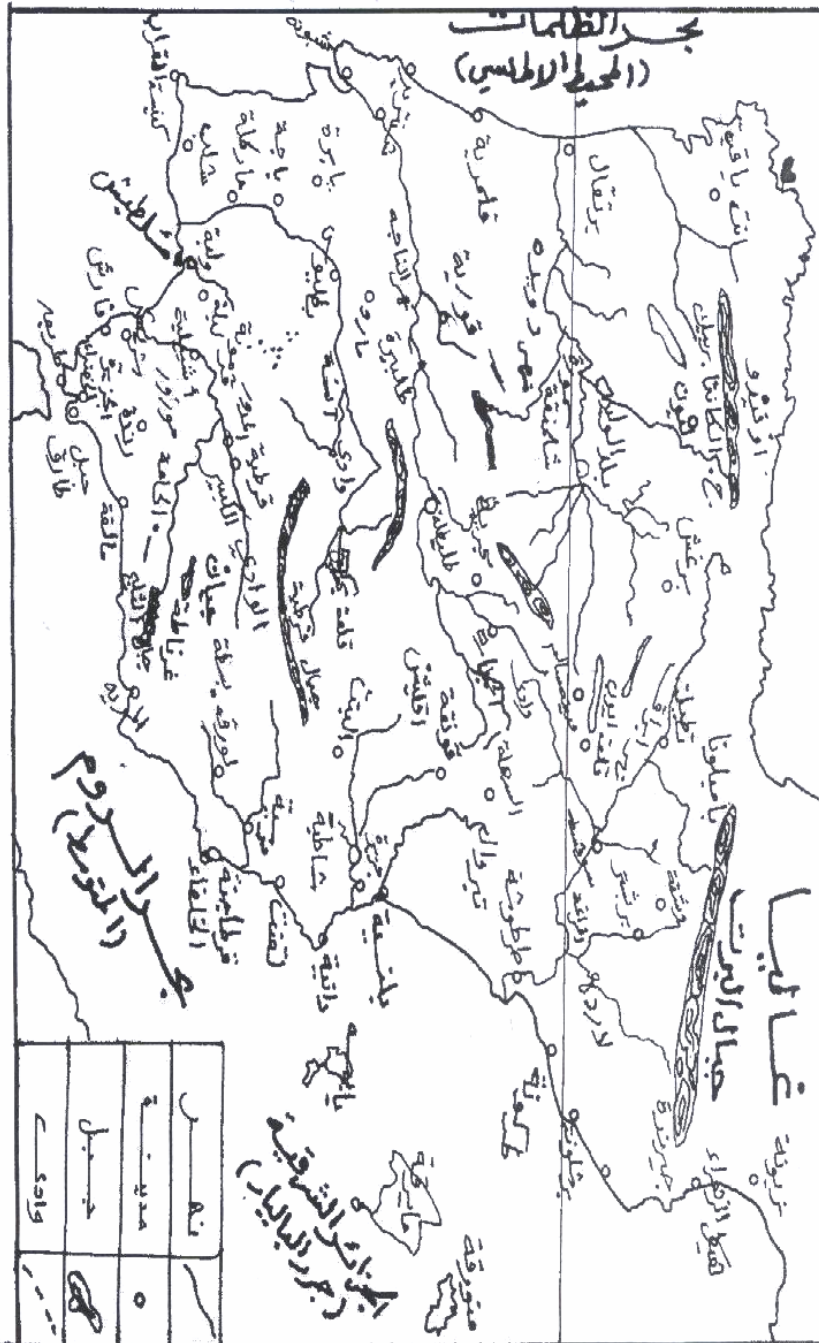
وقد أخذ المدلول الجغرافي لمصطلح الأندلس ينكمش تدريجياً وفقاً للوضع السياسي للدولة الإسلامية في شبه الجزيرة حتى صار في آخر الأمر قاصراً على الأراضي التي تحت سيادة بنى الأحمر حكام مملكة غرناطة. وبعد هزيمة المسلمين واسترجاع الأسبان النصراني للأندلس في عام 897هـ / 1492م أطلق الإسبان على الجزء الجنوبي من بلادهم اسم أندالوثيا Andalusia ويشمل اليوم محافظات قرطبة Cordoba وإشبيلية Sevilla وغرناطة وهو اصطلاح إداري لا يمثل المعنى التاريخي السابق للمصطلح.

تقع الأندلس في الجزء الجنوبي الغربي من قارة أوروبا ويعد مضيق جبل طارق حلقة التواصل بينها وبين المغرب، وقد عرف هذا الجبل بأسماء عديدة قبل الفتح الإسلامي أشهرها الجبل المجوف MonsCalpe. أما المسلمون فقد أطلقوا عليه أسماء عديدة ك: الصخرة، وجبل الفتح، وأشهرها جبل طارق Gibraltar الذي يعرف به حتى اليوم. أما المضيق فقد كان يعرف باسم أعمدة هرقل نسبة إلى الجبال المحيطة به ، ويبلغ طول

المضيق ثمانين كيلومتراً، وعرضه في أضيق جهاته خمسة عشر كيلومتراً (الإديسي، بدون تاريخ).

تشبه تضاريس الأندلس إلى حد كبير تضاريس المغرب، فجبال البورتات تشبه في تكوينها جبال أطلس في المغرب، وجبال الثلج Gierra Nevada (جبل شلير) التي توجد حول غرناطة تشبه جبال الريف في شمال المغرب، وسهول الأندلس الجنوبية تقابلها في المغرب سهول تازا وسبو؛ وهذا التشابه ربما هو الذي سهل على المسلمين عملية الفتح والتأقلم. (أنظر خريطة رقم (2))

خريطة رقم (2) أهم المواقع بالأندلس



ثانياً: الأوضاع الاجتماعية والسياسية

(أ) الأوضاع الاجتماعية

تعرضت إسبانيا للغزو والحكم من قبل عناصر خارجية منذ فترة ما قبل التاريخ وحتى الفتح الإسلامي حيث غزاها الإيبيروس Los Iberos والوندال والرومان والقوط الغربيون

Los Visigodos (Jose Luis Asian Pena, 1953)، وخلال هذه الفترة ترسخت فيها تقاليد وقيم سياسية واجتماعية وضعت الحواجز بين سكانها وجعلتهم يتوزعون إلى خمس طبقات قبل الفتح الإسلامي لها؛ وسنحاول التعريف باقتضاب بكل طبقة .

1. الطبقة العليا

يأتي على قمة هذه الطبقة الملك وأسرته ويليهِ النبلاء والأشراف. وبالنسبة للملك فإنه يتم انتخابه بواسطة أفراد هذه الطبقة، ولكن بشرط أن يكون الملك المنتخب منتصباً إلى أسرة الفاتح القوطي الأول لإسبانيا. وهذه الطريقة على الرغم من أنها تؤدي إلى وصول من تتفق عليه الأغلبية إلى السلطة إلا أن من شأنها أن تفتح أبواب التنافس ما بين أفراد الأسرة الحاكمة نفسها وقد كانت هذه الطبقة تتمتع بنفوذ واسع وممتلكاتها معفاة من الضرائب.

2. طبقة رجال الدين

كان معظم الإسبان قبل الفتح الإسلامي يدينون بالمسيحية على المذهب الكاثوليكي الذي يرأسه البابا في روما وقد كان رجال الدين في العصور الوسطى . بصفة عامة، وفي إسبانيا بصفة خاصة . يتمتعون باحترام الجميع بمن فيهم القوط، وأملأهم معفاة من الضرائب، ولا ينال الملك المنتخب الصفة الشرعية والرسمية إلا إذا تمت مباركتهم له. وقد استغل رجال الدين هذه الوضعية، فامتلكوا الضياع والحشم والثروات، ولكن مع كل ذلك فإن هنالك مجموعة منهم ساخطة على الحكام القوط وسياساتهم.

3. الطبقة الوسطى

تتكون الطبقة الوسطى من التجار، والأطباء، والموظفين. وتعتبر من أهم الطبقات في المجتمع، ومؤشراً حقيقياً على استقراره وتماسكه إذا كانت أعدادها كبيرة، وأحوالها ميسورة، ودليلاً على تفككه إذا كانت أعدادها قليلة؛ وبالنسبة لإسبانيا في الفترة موضع الدراسة فقد كانت أعدادها قليلة ومتقلة بالضرائب وأحوالها سيئة.

4. الطبقة الدنيا

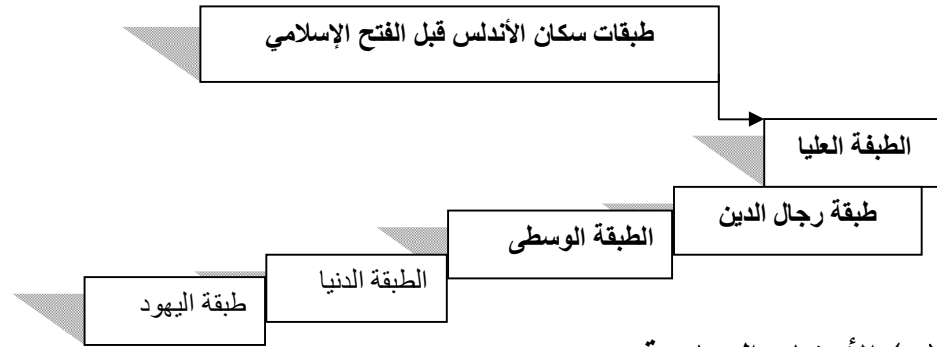
تتكون هذه الطبقة من عامة الناس، ولذلك فهي أكثر الطبقات عدداً وأقلها حقواً. وقد كان معظم أفرادها عبيداً للأرض ويقومون بأعمال السخرة في ضيعات الأشراف والنبلاء، وتقع على كواهلهم مسؤولية الدفاع عن أسبانيا؛ وذلك لتعاقس الجنود القوط عن الجندية وخلودهم إلى الدعة والراحة، هذا إضافة إلى أنهم كانوا مثقلين بالضرائب (الحجي، 1994م، والعبادي، 1978م).

5. طبقة اليهود

ناقش بعض الباحثين إشكالية دخول اليهود إلى إسبانيا، واستعانوا في ذلك بنتائج الحفريات المتعلقة بالموضوع، فتوصلوا إلى نتيجة مفادها أن علاقة اليهود بإسبانيا قد بدأت مع بدايات اتصالات الفينيقيين بهذا البلد؛ وذلك بهدف التجارة ثم استمر تدفقهم بعد ذلك بطرق متعددة منها ما هو طبيعي وطوعي، ومنها ما هو إجباري وقسري وهي نتائج مقبولة منطقياً وتاريخياً. ويرى أنطونيو بنبيرو أن تركيز يهود إسبانيا على استيطان أسلافهم شبه الجزيرة الإيبيرية قبل الميلاد ربما كان القصد منه إبعاد التهم عنهم في الاشتراك في صلب المسيح عليه السلام.

كان اليهود بحكم وضعيتهم الاجتماعية في إسبانيا يعيشون في تجمعات خاصة بهم ويمارسون مهناً مختلفة كالتجارة والصناعة والأعمال الحسابية والمالية في دواوين الدولة. ولم تكن أوضاعهم مريحة في ظل الحكم الروماني وازدادت سوءاً بعد نجاح الانقلاب القوطي وتبنيه المسيحية على المذهب الكاثوليكي بعد عام 589م واضطهاده لمن دان بغيرها، خاصة اليهود (E. Levi Provencal, 1950, Leory, 1993) وتشككه في نواياهم تجاهه. وفي عام 616م خيرهم الملك سيزبوت بين التنصر أو النفي أو مصادرة

الأموال والممتلكات، فاضطرت مجموعات منهم **للتظاهر** باعتناق المسيحية ولكن مع ذلك ما زالت الشكوك والمحن حائطة بها، ولذلك اضطروا **لحوك** مؤامرة بالتعاون مع إخوانهم اليهود بالمغرب ضد الملك إيجيسيا Egica. ولكن لسوء حظهم فقد كشف أمرها قبل أن تنفذ، وعقد الملك مجمعاً دينياً لمعاقتهم بطليطلة Toledo في عام 73 هـ/692م عرف بالمجمع الديني الثالث. وقد كانت أهم قرارات هذا المجمع هي: اعتبار اليهود خوارج عن الدولة ومرتبدين عن النصرانية، ونزع أملاكهم في سائر إسبانيا وإضافتها لأملك الملك، وتشريدهم واسترقاقهم للنصارى وتحرير عبيدهم من النصارى وتمليكهم جزءاً من ممتلكات اليهود، وألا يسمح لهم بالزواج إلا بالجواري النصرانيات، وألا تتزوج نساؤهم إلا بالنصارى، وأن ينزع أبناؤهم منهم منذ سن السابعة لينشأوا على النصرانية (, E.Levi provencal 1973) ومما لا شك فيه أن هذه من شأنها أن تجعل اليهود مستعدين للتعاون مع أي قوة معادية للقوط يحصلون منها على ضمانات تعيد لهم حياتهم إلى طبيعتها.



(ب) الأوضاع السياسية

لم يكن النظام القوطي الملكي نظاماً وراثياً بالمعنى الضيق وإنما كان يتوافر على مساحة من الاختيار لدرجة تسمح بوصول الأصلح للسلطة من داخل أفراد أسرة الحاكم القوطي الأول لإسبانيا عن طريق النبلاء والأشراف ورجال الدين. ولكن هذا النظام قد تعرض للخرق والتجاوز من قبل الملك إيجيسيا (68-83 هـ/687-702م) لإشراكه ابنه غيطشة معه في السلطة دون موافقة النبلاء والأشراف، كإشارة منه بأنه سيكون خليفة له. وبالفعل فقد خلفه بعد وفاته في عام 83 هـ/702م ولم ينتظر انتخاب النبلاء له ومباركة

رجال الدين. و يبدو أنه قد كان ساخطاً على النبلاء ورجال الدين لاعتراضهم على إشراك والده له في السلطة، ولذلك اتخذ العديد من القرارات للحد من سلطاتهم وتهميشهم خاصة دوق تيودوفريدو، الذي سبق لوالده أن نفاه إلى قرطبة Cordoba حيث قام بسمل عينه، كما قرب إلى جانبه اليهود، وأحسن إليهم كوسيلة لسد الفراغ الذي أحدثته تهميشه للنبلاء. ثم خطا خطوة أبعد من ذلك فقام بتعيين ابنه وقلة Akhila ولياً للعهد، ولكن لسوء حظه فقد كان في مهمة خارج العاصمة طليطلة، حينما توفي والده في عام 708م، فانتهاز معارضوه من النبلاء والأشراف ورجال الدين هذه الفرصة وعينوا شخصاً قوطياً من خارج الأسرة المالكة وهو الدوق لذريق ابن الدوق تيودو فريدو السابق الذكر. وقد كانت هذه الخطوة سبباً في توزع المجتمع الإسباني إلى مؤيدين ومعارضين، وبالتالي تفكك الدولة وانحلالها وفي هذا الأثناء ثبت العرب المسلمون أقدامهم بالشمال الإفريقي وبدأت أنظارهم ترنو إلى فتح الأندلس

تدريب (6)



1. ما المقصود بالأندلس؟
2. مم اشتق اسم الأندلس؟
3. عدد الطبقات التي كونت مجتمع الأندلس قبل الفتح الإسلامي لها؟
4. ما هي أهم نتائج المجمع الديني الثالث الذي عقد في طليطلة؟
5. هل كان نظام الحكم القوطي نظاماً وراثياً؟
6. لماذا لم يستطع ولي العهد في طليطلة أن يصبح حاكماً؟

2. التمهيد لفتح الأندلس (إسبانيا)

دخل المسلمون المغرب دعاة ومبشرين بالدين الإسلامي، وليس بدافع الغزو والغنيمة والاحتلال كما يرى الماديون ومنكرو الأديان السماوية بصفة عامة والإسلام منها بصفة خاصة. ولأن هؤلاء المسلمين يعلمون ويعتقدون بأن الرسالة المحمدية هي الرسالة الخاتمة، وبأنها للناس كافة فكروا في عبور المضيق بمجرد أن وصلت فتوحاتهم إلى سواحل المغرب الأقصى في ولاية عقبة بن نافع الثانية، ولكنهم تنازلوا عن قرارهم لأسباب أمنية ولوجستية (ابن عذاري، 1983م، ج1).

وبعد إسناد ولاية المغرب إلى موسى بن نصير حدث اهتمام كبير منه بجزر الحوض الغربي لبحر الروم (البحر المتوسط)؛ وذلك لإضعاف النفوذ البيزنطي في هذا البحر، ومنع البيزنطيين من تقديم أي نوع من الدعم المادي للمقاومين لحركة المد الإسلامي في المغرب. فاهتم موسى بالأسطول البحري وبصناعة السفن التي كان مركزها في تونس منذ ولاية حسان بن النعمان، ثم أرسل عدداً من الحملات إلى هذه الجزر. وفي عام 89هـ/708م أرسل ابنه عبد الله لفتح جزر البليار Islas Baliares التي توجد في غرب بحر الروم، وهي مايورقة Mallorca ومنورقة Menorca ويابسة Ibeza وفرمنتيرة Formentera وقبريرة Cabrira. فتمكن من هزيمة حكامها وحمل بعضهم معه أسارى، وعاد محملاً بالغنائم والأسرى. وقد اختلف الباحثون حول الوضع الإداري لهذه الجزر. هل هي مستقلة أم تابعة لبيزنطة أم لإسبانيا؟ ولكن تبعيتها الحالية لإسبانيا تجعلنا نرجح أنها كانت تابعة لها منذ القدم. وقد كان موسى يهدف من وراء هذا الفتح إلى إزالة آخر عائق في وجه أساطيله التي كانت تتجمع آنذاك في ثغور المغرب وإفريقية استعداداً لنقل القوات البرية إلى الأندلس، وتوفير الحماية لها، ومساندتها في زحفها. (ابن قتيبة، 1967م، ج2، ومجهول المؤلف، 1981م)

اتصالات المعارضين الإسبان بموسى بن نصير

بعد أن تحقق لموسى النصر في جزر البليار بدأ في تكثيف جهوده وحشد طاقاته للاستعداد للمرحلة القادمة وهي فتح الأندلس. وفي هذا الأثناء كانت الأندلس تعيش أزمة

اجتماعية وسياسية بسبب اغتصاب (لذريق) للسلطة وسياساته المجحفة تجاه اليهود. فاضطرت المجموعات المتضررة والمعارضة للوضع الجديد بقيادة ابني (وقلة) وعمهما (أوباس) للجوء إلى يوليان حاكم سبتة الذي هو الآخر لم يكن راضياً عن لذريق وسياساته؛ طالبة منه العون والمساعدة لإرجاع الأوضاع إلى طبيعتها فقادهم لذريق إلى موسى بن نصير حاكم إفريقية، الذي كان وقتها مسكوناً بأمر أسبانيا. فطلب الوفد من موسى المساعدة وهون له أمر لذريق، وتعهد له يوليان بتسليمه ثغر سبتة الذي يتحكم في حركة المضيق؛ هذا وهناك من المؤرخين الإسبان المحدثين من يتهم اليهود بالاتصال بأبناء عمومته العرب وتزيين فتح إسبانيا لهم (العبادي، 1978م، و Jose Luis Asian Pena، 1953).

وقبل أن يدخل موسى في أي التزامات مع الوفد أو تعهدات خاطب الخليفة الوليد بن عبد الملك شارحاً له أوضاع إسبانيا وتعهدات الوفد الإسباني المعارض والإمكانات المادية والبشرية واللوجستية المتوفرة للمسلمين بالمغرب، طالبا منه السماح له بافتتاحها. (ابن الكردبوس، 1975م)

أسئلة للتقويم الذاتي



أجب عن الأسئلة التالية

1. ما المقصود بالأندلس؟ وما هو موقعه وتضاريسه؟
2. "مجتمع الأندلس قبيل الفتح الإسلامي كان مجتمعاً طبقياً" ناقش الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لكل طبقة من طبقاته.
3. "كانت لإسبانيا نظمها التي تتحكم في تداول السلطة بين ملوكها. ولكن هذه النظم قد تعرضت لبعض التجاوزات قبل عبور المسلمين إليها." ما هي أهم هذه التجاوزات وانعكاساتها على جسم الدولة.
4. هل كان موسى بن نصير مهيباً للتدخل في شؤون إسبانيا أم كان غزوه لها استجابة لاستغاثة بعض وجهائها به؟

3.2 مراحل الفتح

أولاً: مرحلة السرايا

كانت سياسة المسلمين منذ بدايات الفتوحات الإسلامية تقوم على التأني، ومعرفة أحوال الأعداء قبل الدخول في أي صدام حربي معهم، ولم يخرج الوليد بن عبد الملك عن هذه السياسة؛ إذ أمر موسى بن نصير بإرسال السرايا لاكتشاف أحوال إسبانيا، والتأكد من صدق أخبار ونوايا المستجدين به من أهلها. فامتثل موسى للأوامر، وطلب من يوليان وجماعته حشد أنصارهم ومهاجمة إسبانيا ليتأكد من حقيقة العداء بينهم وبين ملكها، وتطمئن نفسه لصدق نواياهم تجاه المسلمين. فاستجاب يوليان لطلبه وهاجم كثيراً من مناطق إسبانيا، وعاد محملاً بالغنائم، فاطمأن موسى له خاصة وأن عيونه قد أكدوا له صحة الغارة، وبدأ الإعداد للفتح.

في رمضان عام 91هـ/ يوليو 710م أرسل موسى **طريف بن مالك** المكنى بأبي زرة في سرية من مائة فارس وأربعمئة راجل لاستطلاع أحوال إسبانيا. فنزل في جزيرة بلوما التي حملت اسمه فيما بعد Tarifa. فافتتحها ثم أغار على المناطق التي تليها حتى الجزيرة الخضراء فغنم أموالاً وسبائاً ثم عاد (ابن عذاري، 1983م، ج2)

ثانياً مرحلة الفتح المنظم

حملة طارق

انتقل موسى بعد ذلك إلى مرحلة الفتح المنظم فأعد جيشاً من سبعة آلاف مقاتل معظمهم من البربر، وجهزهم بالزاد والعتاد والمؤن والدواب، وأعد السفن اللازمة لنقلهم (المقري 1968م، ج1، والحميري، 1975م، وابن خلكان، 1966م، ج5) وأسند قيادته إلى مولاه طارق بن زياد البربري الزناتي، الذي كان والياً من قبله على طنجة في رجب عام 92هـ/ أبريل 711م. فتمكن من النزول . وبكل صعوبة . في **الجبل المجوف** Mons Calpe الذي حمل اسمه فيما بعد؛ بعد مقاومة عنيفة من الحامية القوطية التي كانت تحرس الجبل. (الحميري، 1975م، وابن الكردبوس، 1975م)

قام طارق بعد ذلك بالاستعداد للمرحلة القادمة، وهي التوغل في داخل أسبانيا. فأقام سوراً أحاط به جيشه وقاعدة عسكرية بالقرب من الجبل، وهي الجزيرة الخضراء، وقاعدة أمامية في طريف وجعل لها قائداً (المقري، 1968م).

ثم توجه غرباً بقصد التوغل في إسبانيا والزحف نحو عاصمتها طليطلة وفي هذا الأثناء كان لذريق في مهمة عسكرية بالشمال لتأديب قبائل البشكنس Losvascons، فجاءته أنباء دخول المسلمين في بلاده، فقرر العودة للقائهم، وحشد مئات الآلاف من جنده لهذا اللقاء. أما طارق فقد زحف بجنده ولما وصل إلى بحيرة لاخندا La guna de la Junda في كورة شذونة La cora de Sidonia أتته أنباء الحشود التي حشدتها لذريق للقاءه؛ واستعان بموسى بن نصير، فأمدّه بجيش من خمسة آلاف مقاتل (ابن قتيبة، 1967م، ج2).

التقى طارق بلذريق في كورة شذونة في جنوب غرب إسبانيا يوم الأحد 28 رمضان 92هـ/19 يوليو 711م فدارت بينهما معركة حامية الوطيس استمرت لمدة ثمانية أيام، وكان النصر فيها حليفاً للمسلمين. وقد غنم المسلمون كثيراً من الدواب والأموال والذهب، وقتل لذريق في هذه المعركة على الأرجح، وقدم المسلمون حوالى ثلاثة آلاف شهيد (ابن السباط، 1975م).

وصلت أنباء النصر إلى المدن الساحلية المغربية، فعبّرت المضيق مجموعات من المجاهدين، والتحقّت بجيوش طارق، فنظمهم ودمجهم في جيشه، وواصل زحفه شمالاً نحو طليطلة. وفي طريقه تمكن من الاستيلاء على قلعة استجا Eceja التي تجمعت فيها بقايا الجيش القوطي المنهزم، وأرسل كتيبة بقيادة مغيث الرومي مولى الوليد بن عبد الملك لافتتاح قرطبة، وأرسل قواد آخرين لافتتاح مالقة Malaga وقرطبة وGranada وإلبيرة Elvira ففتحت جميعها كما تصالح مع تدمير Tudmir حاكم منطقة تدمير . مرسية Murcia فيما بعد . والتي كانت قاعدتها أريولة. هذا وقد وضع المسلمون في كل منطقة فتحوها كتيبة من المسلمين بغرض الإدارة وحفظ الأمن (ابن الخطيب، 1374هـ، ومجهول المؤلف، 1981م، وفروخ، 1966م).

وفي رمضان عام 93هـ / يونيو 712م وصل طارق إلى طليطلة، فدخلها دون مقاومة تذكر، ومن هنالك راسل مولاه موسى شارحاً له ما أفاء به الله على المسلمين من نصر وغنائم، وما وقع في أيديهم من بلاد، وطالباً منه العون؛ خاصة وأنهم قد توغلوا في البلاد وفصل الشتاء على الأبواب (العبادي 1978م).

حملة موسى

استجاب موسى لطلب طارق وعبر إليه بنفسه في جيش من ثمانية عشر ألف مقاتل معظمهم من البربر، بعد أن استخلف ابنه عبد الله على القيروان. وسار بطريق الغرب ولكن بطريق غير الذي سلكه طارق، فتساقطت في يده مدن: كقرمونة Carmona، وإشبيلية Sevilla، وماردة Merida. ثم التقى بطارق عند نهر تاجو Rio Tajo بالقرب من طليطلة وقيل عند مدينة طلبيرة Talavera de la Rina التي تقع على بعد 150 كيلومتر غرب طليطلة، فأنبه على مخاطرته بأرواح المسلمين، ثم عفا عنه، وطيب خاطره بعد أن استمع إلى مبرراته وحججه، وتوجها سوياً إلى طليطلة لقضاء بقية فصل الشتاء وذلك في أواخر عام 93هـ، /712م. ومن طليطلة أرسل موسى إلى الخليفة الوليد، مغيث الرومي ليخبره بما تم للمسلمين من فتوحات، ويعزمه على مواصلة الفتح شمالاً إلى ما وراء جبال البورتات، وذلك في أواخر عام 94هـ/713. وكان موسى قد بعث كتائب من جيشه لفتح منطقة أستوريس Asturias التي تقع في الجزء الشمالي الغربي وهي منطقة جبلية وعرة شديدة البرودة وبها في الجهة الشمالية ثلاثة جبال يسميها الإسبان قمم أوربا picos de Europa والجبل الغربي منها يسمى أونقا Onga وبه غارة تسمى كهف أونقا Cova de Onga والعرب يسمونها صخرة بلاي Pena de pelayo، وقد تجمعت فلول الجيش القوطي المنهزم في هذه الصخرة بقيادة (بلاي)، فجاء المسلمون وحاصروا الصخرة وضيقوا عليها الخناق، فصبر الإسبان معتمدين على العسل الموجود في خروق الصخر؛ فيئس المسلمون وفكوا الحصار استخفافاً بهم. هذا وقد شكلت هذه المجموعة نواة لحركة الاسترداد الإسبانية التي اتسعت مع مرور الوقت وضمت ليون Leon وجميع المنطقة الشمالية الغربية وأحاطت نفسها بقلاع Castillas وكانت تتمتع بنوع من الاستقلال

الذاتي، ثم استقلت عن ليون في القرن العاشر الميلادي الرابع الهجري وعرفت بإمارة قشتالة Castilla، وفي نهاية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي بسطت سيطرتها على كامل التراب الإسباني (المقري، 1968م، ج1، ج3، ج4 والعبادي، 1978م). وفي العام السابق نفسه أي 94 هـ توجه موسى مصحوباً بطارق شمالاً فتساقطت في يده مدن كسرقسطة zaragoza ووشقة Huesca ولاردة Lerida وبلغا حتى حدود فرنسا الجنوبية، وهناك أتاه مبعوث الخليفة مغيث الرومي طالباً منه التوقف والعودة إلى دمشق. وكان ذلك في عام 95هـ / 714م، (المقري، 1968م، ج1) فامتثل موسى للأمر وتجهز للعودة وبذلك يكون قد اكتمل فتح الأندلس. هذا وقد اهتم المسلمون خلال الفتح بتنشيد البنيات الأساسية وعلى رأسها المساجد، في كل المناطق التي فتحوها.

نشاط



في أطلس العالم حدد موقع كل من المغرب والأندلس (إسبانيا) وأطلع على التكوينات الجيولوجية للمنطقة، وحدد مضيق جبل طارق.



1. "أرسل موسى بن النصير سرية إلى الأندلس في رمضان عام 91هـ" من هو قائدها؟ وما هدفها؟
2. كم بلغ عدد الجيش الذي بدأ به موسى بن النصير مرحلة الفتح المنظم للأندلس؟
3. أين كان لذريق عندما توجه طارق بن زياد إلى عاصمته طليطلة؟
4. كم كان عدد شهداء المسلمين في أول لقاء بلذريق؟
5. متى دخل طارق بن زياد إلى طليطلة؟
6. من هو مبعوث موسى بن النصير إلى الخليفة الوليد بن الملك؟ وما رسالته؟
7. مثل للمدن التي فتحها المسلمون بالأندلس؟

4.2 استدعاء موسى وطارق

من الصعب تحديد عوامل بعينها والجزم على أنها كانت وراء استدعاء الخليفة الوليد بن عبد الملك لموسى. ولكن من خلال قراءة المادة المتوفرة حول الموضوع، ومتابعتنا لأحداث الفتح، والموقع الجغرافي للأندلس بالنسبة لحاضرة الخلافة بدمشق أمكن الوصول إلى الأسباب الآتية:

أولاً: الحفاظ على أرواح المسلمين والأراضي التي آلت إليهم.

كان الوليد حريصاً على أرواح المسلمين، ويتضح ذلك من طلبه السابق من موسى القيام بحملات استطلاعية للتعرف على أحوال إسبانيا قبل الدخول في أي صراع عسكري معها. وقد انتصح له موسى، وتم الفتح ولكن الأندلس لم ترض طموحات موسى السياسية؛ ولذلك تحرك بجيوشه لفتح فرنسا، والزحف منها عبر الدول الأوربية شرقاً لافتتاح القسطنطينية، ثم العودة إلى دمشق براً. وقد وصلت أنباء تحركاته وعزمه إلى الخليفة بواسطة مبعوثه مغيث الرومي، الذي . بلا شك . قد أخبر الخليفة بوعورة تلك المناطق وشدة بردها وشراسة أهلها؛

ولذلك اتخذ الخليفة قرار الاستدعاء لموسى. وأرسل إليه مغيثاً الرومي، وعززه برسول آخر وهو أبو نصر لما تباطأ موسى في الرجوع، فاضطر موسى للامتثال لأوامر الخليفة (ابن خلدون، 1966م، ج4، والمقري، 1968م، ج1)

ثانياً: الخوف من استقلال موسى بحكم الأندلس.

ظل موسى والياً على المغرب لفترة لا بأس بها من الزمن. وتمكن خلال هذه الفترة من استقطاب البربر لجيشه، والاستفادة من سواعدهم القوية، وخبراتهم في مجال الحرب والقيادة، وتؤكد هذا السرعة التي افتتح بها إسبانيا. كما تمكن موسى أيضاً من استقطاب العناصر الأسبانية المعارضة للذريق إلى جانبه. وإضافة إلى ما سبق فإن موسى قد وقعت في يديه كميات كبيرة من الأموال والغنائم والسبايا بعد فتحه للأندلس، وأصبح شخصية مرموقة تحظى باحترام الجميع وخاصة الجند وفوق هذا وذاك فالأندلس بحكم موقعها الجغرافي بعيدة عن مركز الخلافة بدمشق، ومن الصعب على الخلافة الوصول إليها، وخاصة وأن المغرب تحت سيطرة عبد الله بن موسى بن نصير.

فهذه العوامل مجتمعة من شأنها أن تدفع موسى للتفكير في الاستقلال بحكم الأندلس، والخلافة للإسراع في استدعائه قبل فوات الأوان، وعض أصابع الندم (ابن عذاري، 1983م، ج1).

أما عن مصيره ومصير طارق، فإن موسى مصحوباً بطارق ومحملاً بالأموال والغنائم والتحف والسبايا قد عبر المضيق بعد أن ترك ابنه عبد العزيز والياً على الأندلس، واختار له إشبيلية كحاضرة للإمارة عوضاً عن طليطلة. وفي مروره بأرض المغرب في موكبه الضخم والمهييب وجد استقبالات من المغاربة تليق بعظمة العمل الذي قام به، وقدم الكثير من الهدايا للعلماء والوجهاء بالمغرب الذين هبوا للقائه ثم انتقل إلى مصر ففلسطين، وهناك التقى بولي العهد سليمان بن عبد الملك، الذي هاله وأدهشه ما شاهده من غنائم، فطمع فيها، وطلب من موسى التريث ريثما يموت الوليد، لأنه في حالة احتضار، لتؤول الغنائم إليه. ولكن موسى قد أصر على مواصلة السير، فوصل إلى دمشق في أواخر ربيع الأول عام 96هـ/ نوفمبر 714م فوجد الوليد حياً فسلمه الغنائم فأكرمه الوليد وبعد بضعة

أشهر توفي الوليد وخلفه أخوه سليمان وقد كان سليمان غاضباً على موسى، لذلك اتهمه باحتجان الأموال، وطالبه بردها، وعذبه ولكن صديقه يزيد بن المهلب، قد قام بالتوسط بينه وبين الخليفة، وافتداه بمال كثير عنده، فعفا الخليفة عنه وأكرمه، ورد أبناءه إلى ولاياتهم. وفي عام 97هـ/715 م توفي موسى وهو في طريقه لأداء فريضة الحج بدعوة من الخليفة سليمان عن عمر ناهز الثمانين عاماً. (ابن القوطية، 1982م، والطبري، 1983م، ج1، و ابن الفرضي، 1966م، ج2).

أما عن طارق فقد صممت المصادر التاريخية عن الحديث عنه بعد وصوله إلى المشرق إلا من إشارة عابرة أوضحت أنه وجد استقبلاً حسناً من الخليفة سليمان بن عبد الملك وأن سليمان كاد أن يعينه والياً على الأندلس لولا أن مغيثاً قد حذره من ذلك لمكانة طارق هنالك واحترام الأغلبية له الشئ الذي ربما يغريه بالاستقلال بحكم الأندلس (المقري، 1968م، ج3). ولكننا نتفترض أنه عاش حياة هادئة بعيداً عن الأضواء.

مما لاشك فيه أن يوليان ومجموعته قد لعبوا دوراً مهماً في تسهيل عملية الفتح للأندلس بالنسبة للمسلمين بما قدموه من مساعدات لوجستية، ومعلومات استخباراتية وجغرافية وإدارية. وقد حفظ لهم المسلمون هذا الجميل حيث أبقوا على يوليان في حكمه لسببته، واقطعوا له بعض المناطق التي توجد حولها. وبقي يوليان وأبناؤه على النصرانية، أما أحفاده فقد دخلوا في الإسلام.

أما عن مصير ابني (وقلة) وعمهما (أوباس) فقد أقطع المسلمون للأخير مدينة طليطلة، وللأخوين ما كان لأبيهما من ضياع ثم اغتصب أحدهما أملاك الآخر بعد وفاته؛ فسافرت بنت المتوفى إلى دمشق، وعرضت ظلامتها علي الخليفة هشام بن عبد الملك فرد الخليفة لها حقها، وتزوجت بعربي، ومن أحفادها ابن القوطية صاحب كتاب تاريخ افتتاح الأندلس، وكان ذلك في ولاية أبي الخطار الكلبي على الأندلس في عام 125هـ/742م. (ابن القوطية، 1982م).

تدريب (8)



1. ما هي أسباب استدعاء موسى بن نصير وطارق بن زياد إلى دمشق؟
2. متي وصل موسى بن نصير إلى دمشق؟
3. متي توفي موسى بن نصير؟ وما مصير طارق بن زياد؟
4. هل دخل يوليان وأحفاده في الإسلام؟
5. ماذا اقترح المسلمون لابني (وقلة) وعمهما (أوباس)؟

أسئلة للتقويم الذاتي



- اجب عن الأسئلة التالية
1. تتبع حركة الفتح الإسلامي لإسبانيا مبرزاً الدور الذي لعبه طارق في الفتح. ومصيره.
 2. لماذا استدعى الخليفة الوليد بن عبد الملك موسى بن نصير ؟

5.2 قضايا أثّرت ولها صلة بالفتح

أثّرت العديد من القضايا حول الفتح الإسلامي لإسبانيا ولكننا سنتوقف قليلاً عند مسألتين مهمتين، هما: سفن العبور وحرق طارق للسفن، وخطبة طارق.

أولاً: ملكية سفن العبور وحرق طارق سفنه

اهتم ولاية الدولة الإسلامية بالمغرب منذ فترة حسان بن النعمان بصناعة السفن حيث أنشئت أول دار لصناعة السفن في تونس، وذلك لأسباب أمنية وسياسية فرضها عليهم إطلال المغرب على البحر من الجانب الذي كان يسيطر عليه أعداؤهم البيزنطيون

وحلفاؤهم. وفي فترة موسى بن نصير ازداد الاهتمام بهذه الصناعة وتضاعف إنتاجها من السفن والمعدات والتجهيزات العسكرية (العبادي، وسالم، 1969م)، وأمر موسى بإنشاء مائة سفينة إضافية بتونس (ابن قتيبة، 1967م، ج2). وجلب لها خبراء صناعة السفن من أقباط مصر، والأخشاب الجيدة من المناطق العربية المجاورة، (البكري، بدون تاريخ) وإضافة إلى ذلك فإن عبد الله بن موسى بن نصير قد استولى على عدد من السفن في حملته الناجحة ضد جزر البليار.

ومما سبق يتضح أن المسلمين كانوا يمتلكون سفناً بحرية حربية كثيرة تؤهلهم للعبور إلى الأندلس بكل ارتياح. ولكن مع ذلك فإن بعض المصادر العربية تشير إلى أن المسلمين قد عبروا بأربع سفن أحضرها لهم يوليان (المقري، 1968م، ج1) وهو عدد لا يكفي لعبور جيش من سبعة آلاف مزود بالزاد والعتاد والمؤن والدواب. وبعض المصادر لا تحدد عدد السفن، ولكنها تؤكد ملكية يوليان لها (ابن عذاري، 1983م، ج2). وهذه الروايات لا تتماشى مع سياسة الوليد بن عبد الملك القائمة على عدم المخاطرة بأرواح المسلمين، ومع الاهتمام والمستوى العالي الذي وصلت إليه البحرية الإسلامية بالمغرب في عهد موسى بن نصير، والأعداد الكبيرة من السفن التي كان يمتلكها المسلمون. ولكن مع ذلك يمكن التوفيق بينها وبين واقع البحرية الإسلامية وقتذاك بالقول بأن جيوش طارق قد عبرت بسفن إسلامية وأن السفن التي أحضرها يوليان هي مساهمة منه في تسهيل عملية العبور.

أما عن حرق طارق لمراكبه بعد عبوره وخطبته في جنده (ابن الكردوبس، 1975م) فهو أمر مستبعد، لأنه لا يتفق مع الموقف الذي يوجد فيه طارق وحنكته وحكمته، وكذلك لأن موسى قد عبر بعد عام في جيش من ثمانية عشر ألف مقاتل. فمن أين تحصل على السفن بهذه السرعة إذا كانت قد حُرقت؟.

هنالك بعض الباحثين المحدثين قد أيدوا مسألة الحرق وعززوا وجهة نظرهم بحوادث حدثت بعد ذلك كحرق أسد بن الفرات لسفنه عند صقلية في الربع الأول من القرن الثالث الهجري، والقائد الإسباني إرنان كورتس Hernan cortes في حملته لفتح المكسيك عام

925هـ/ 1519م عندما شعر بضعف عزيمة جنده ورغبتهم في الرجوع، والممثل الشعبي السائد في إسبانيا اليوم Hequemado todas mis naves ومعناه الحرفي "أنا أحرقت كل مراكبي" (العبادي، 1978م). ومن جانبنا فإننا نرى أن طارقاً قد أحرق السفن التالفة ليلاً أمام جنده للتمويه بعد أن أمر الريان بإبعاد بقية السفن من الساحل، وهي وجهة نظر يعززها عبور جيش موسى رغم كبره دون أن تطرح إشكالية السفن.

ثانياً: خطبة طارق

أشارت بعض المصادر بأن طارقاً جمع جيشه بعد العبور، وحرق مراكبه ثم وقف فيه خطيباً. وأقدم نص كامل لهذه الخطبة أورده ابن خلكان (ت681هـ/1282م) وهو مشرقى من أربيل. ومما جاء فيها : "...أيها الناس أين المفر ؟ البحر من ورائكم والعدو أمامكم، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر وأعلموا أنكم إن صبرتم علي الأشق قليلاً استمتعتم بالأرفه طويلاً...، وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان، من بنات اليونان الرافلات بالدرر والمرجان، والحلل المنسوجة بالعقيان ". (ابن خلكان، 1966م، ج5 والمقرى، 1968م، ج1).

وبالنظر إلى النص الكامل لهذه الخطبة يلاحظ أنها قد خلت من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحث على الجهاد والاستشهاد من أجل العقيدة، والفوز بنعيم الآخرة، وركزت على الغنيمة، وهذا أمر يتنافى مع الأهداف النبيلة للفتح كما أن اللغة التي كتبت بها يغلب عليها السجع، وهو ليس من أساليب القرن الأول الهجري، هذا إضافة إلى أن الاهتمام بالمحسنات اللفظية، وانتقاء الكلمات والعبارات البلاغية ليس من اهتمامات القادة، وخاصة في مثل هذه المواقف، فضلاً عن أن معظم جند طارق من البربر ولا يجيدون العربية. وإضافة إلى ما سبق فإن أعداداً قليلة من المصادر الأندلسية المتأخرة قد أوردت الخطبة. أما المتقدمة فلم ترد فيها أي إشارة إليها. وهذا يدل على عدم شيوعها، ويشكك في واقعيتها. ومن جانب آخر فقد وردت في الخطبة كلمات غير مستعملة في تلك الحقبة من قبل المغاربة خاصتهم وعامتهم مثل اليونان، فالمغاربة يسمونهم الروم أو القوط (المقرى، 1968م، ج1، وابن الخطيب، 1374هـ، ج1) وهذه المأخذ السابقة تفتح الأبواب

على مصرعيها للتشكيك في نسبة هذه الخطبة لطارق، ولكنها لا تمنع الاحتمال بأن طارقاً قد خطب في جنده بلغة عربية مبسطة أحياناً وبالبربرية حيناً آخر، ثم جاء الكتاب العرب بعد ذلك فعربوها وأضافوا إليها الكثير من عندهم، كما حدث لخطبة الشيخ الموحدي أبي محمد عبد الواحد بن عمر التي ألقاها بالعربية والبربرية أمام الخليفة يوسف بن عبد المؤمن وجنده بالأندلس (ابن صاحب الصلاة، 1964م).

نشاط

من المصادر التاريخية ابحث عن خطبة لخلفاء الرسول (ص) تحتوي على معاني خلت منها الخطبة التي نسبتها بعض الكتب لطارق بن زياد، واعرضها على مشرفك.



أسئلة للتقويم الذاتي

- أجب عن الأسئلة التالية
1. دار جدل واسع بين الدارسين حول ملكية السفن التي عبر بها طارق وجنده إلى الأندلس، وحرقت طارق للسفن بعد العبور. ناقش موضعاً وجهة نظرك.
 2. "نسبت بعض المصادر لطارق بن زياد خطبة ألقاها على جنده بعد عبوره ونزوله في الجبل الذي نسب إليه." أذكر آراء الدارسين حولها مع توضيح وجهة نظرك.



الخلاصة

درسنا في الوحدة السابقة الفتح العربي والإسلامي للمغرب والأندلس، وذلك في قسمين رئيسيين: أولاً فتح المغرب بدءاً بالتعرف على جغرافيته وسكانه ثم المراحل السبعة التي تم عبرها ذلك الفتح في الفترة ما بين 90. 20هـ / 641 . 711م. ثم دخلنا في دراسة القسم الثاني وهو فتح الأندلس والظروف التي قادت المسلمون لهذا الفتح، وبدأناه أيضاً بالتعرف على جغرافية وسكان البلاد ثم الأوضاع الاجتماعية والسياسية لهم، ثم المراحل المختلفة لفتح الأندلس حتى عام 94هـ، واستدعاء كل من موسى بن نصير وطارق بن زياد إلى دمشق. واختتمنا الحديث عن الأندلس بمناقشة بعض القضايا التي أثارها عدد من المؤرخون والكتاب ولها صلة بفتح الأندلس مثل ملكية سفن الفتح وخطبة طارق بن زياد. نأمل أن تكون قد استفدت من هذه الوحدة، ونرجو منك الرجوع إلى أهدافها المدونة في البداية للتأكد من تحققها لديك.

لمحة مسبقة عن الوحدة التالية

ستتناول الوحدة التالية (الأندلس من عهد الولاة إلى عصر الخلافة)، وذلك في ثلاثة أقسام. أولاً عهد الولاة وفيه ندرس: جهاد المسلمين خلف جبال البورتات، ثم الفتن والحروب الداخلية في الأندلس. ثانياً عصر الإمارة وندرس خلاله التعريف بالأمراء، والصراعات والثورات الداخلية في الأندلس، ثم العلاقات الخارجية للإمارة الأموية بالأندلس مع الدولة العباسية، ودول النصارى، و النورمان. ثالثاً عصر الخلافة وندرس فيه بعد التعريف بالأمراء العلاقة بين عبد الرحمن الناصر والدولة الفاطمية بالمغرب. نأمل أن تكون الوحدة التالية ذات فائدة كبرى لك.

إجابات التدريبات

تدريب (1)

1. المنطقة التي تقع بين الإسكندرية شرقاً إلى بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) غرباً.
2. إنها تحريف عربي لكلمة افريكا Africa التي أطلقها الرومان على منطقة شيدت مكانها قرطاجنة، وما حولها.
3. برقة وطرابلس . أفريقية . المغرب الأوسط . المغرب الأقصى .
4. جبال الريف.
5. جبال: القصور، والعمور، وأولاد نايل، الزاب، واوراس.

تدريب (2)

1. البيزنطيون . الأفارقة . البربر .
2. البرانس، والبتتر .

تدريب (3)

1. . وجود حاميات بيزنطية على سواحل بحر الروم .
الموقع الاستراتيجي للمغرب .
السيطرة على ثروات المغرب .
الدعوة للإسلام .
2. الثروات المعدنية مثل (الحديد، والذهب، والنحاس)، والثروات: الفلاحية، والحيوانية، و الغابية، والسمكية.

تدريب (4)

1. (العبارة صحيحة). 2. (العبارة خطأ). 3. (العبارة صحيحة) 4. (العبارة صحيحة). 5. (العبارة خطأ). 6. (العبارة صحيحة). 7. (العبارة خطأ). 8. (العبارة صحيحة). 9. (العبارة صحيحة). 10. (العبارة خطأ).

تدريب (5)

1. (أ) 2. (ب) 3. (ج) 4. (د) 5. (ب)

تدريب (6)

1. الأراضي التي تشغلها دولة أسبانيا الحالية ودولة البرتغال.
2. من اسم قبائل الوندال Losvandalos.
3. الطبقة العليا، وطبقة رجال الدين، والطبقة الوسطى، والطبقة الدنيا، وطبقة اليهود
4. اعتبار اليهود خوارج عن الدولة ومرتدين عن النصرانية، ونزع أملاكهم وتشريدهم
5. لا.
6. لأنه كان في مهمة خارج طليطلة عندما مات أبوه.

تدريب (7)

1. قائدها هو طريف بن مالك، وهدفها استطلاع أحوال الأندلس.
2. سبعة آلاف مقاتل.
3. كان في مهمة عسكرية في الشمال لتأديب قبائل البشكس.
4. ثلاثة آلاف مقاتل.
5. في رمضان 93هـ/ يونيو 712م.
6. هو مغيث الرومي، ورسالته أن يخبر الخليفة بما تم للمسلمين من فتح.
7. مدن سرقسطة، ووشقة، ولاردة.

تدريب (8)

1. الحفاظ على أرواح المسلمين، والخوف من استقلال موسى بن نصير بحكم الأندلس.
2. في ربيع الأول 96هـ/ نوفمبر 714م.

3. توفي موسى بن نصير عام 97هـ/ 715م، أما طارق بن زياد فقد صممت المصادر التاريخية من الحديث عنه منذ وصوله المشرق.
4. بقي يوليان علي النصرانية أما أحفاده فقد دخلوا في الإسلام.
5. اقطعوا أوباس مدينة طليطلة، ولابني وقلة ما كان لأبيهما من ضياع.

مسرد المصطلحات

Africa	أفركا
Tripolis	طرابلس
Mamma	ممس
Septa	[مدينة] سبتة
Julian	يوليأت
AL-Andalus	الأندلس
Espana	أسبانيا
Portugal	البرتقال
Iberia	إيبيريا
[جبال] البرت، والبورتات (الأبواب) laporte و Pirineos.	
Hindaya	[ممر] هندايا
Cataluna	[ممر] قطلونيا
Hispana	أسبانيا
Saphana	[مدينة] سفان
Los vandalos	[قبائل] الوندال
Baetica	باتكا
Andalucia	أندالوثيا
Cordoba	[مدينة] قرطبة
Sevilla	[مدينة] إشبيلية
Gibraltar	جبل طارق
Columnas de Hercules	أعمدة هرقل
Gierra Nevada	جبال الثلج
Los Iberos	غزاها الإيبيروس

Vitiza	[مدينة] غيطشة
Cordoba	قرطبة
Akhila	[مدينة] (وقلة)
Doc Rodrigo	الدوق لذريق
Islas Baliares	جزر البليار
Mallorca	[مدينة] مايورقة
Menorca	[مدينة] منورقة
Ibeza	[مدينة] يابسة
Formentera	[مدينة] فرمنتيرة
Cabrira	[مدينة] قبريرة
Isla de las palomas و Tarifa.	جزيرة بلوما
Algeciras	[مدينة] الجزيرة الخضراء
Mons Calpe	الجبل المجوف
Toledo	[مدينة] طليطلة
Losvascons	[قبائل] البشكنس
La guna de la Junda	بحيرة لاخندا
La cora de Sidonia	كورة شذونة
Eceja	قلعة استجا
Malaga	[مدينة] مالقة
Granada	[مدينة] غرناطة
Elvira	[مدينة] إلبيرة
Murcia و Tudmir.	[مدينة] تدمير و مرسية
Carmona	[مدينة] كقرمونة
Sevilla	[مدينة] إشبيلية

Merida	[مدينة] ماردة
Rio Tajo	[مدينة] أجو
Talavera de la Rina	[مدينة] طلبيرة
Asturias	منطقة أشتوريس
picos de Europa	قمم أوربا
Cova de Onga	كهف أونقا
Pena de pelayo	صخرة بلای
Leon	[مملكة] ليون
Castillas	لاع
Castilla	[مملكة] قشتالة
zaragoza	[مدينة] سرقسطة
Huesca	[مدينة] وشقة
Lerida	[مدينة] لاردة
Hernan cortes	إرنان كورتس
"Hequemado todas mis naves"	"أنا أحرقت كل مراكبي"

المصادر والمراجع

المصادر و المراجع العربية

1. ابن خلدون، أبو عبد الرحمن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر في ملوك العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. ج 4، وج6، بيروت، 1966م.
2. القيرواني، ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس. تونس.
3. ابن الأثير، أبي الحسن علي بن محمد بن أبي الكرم، 1966م، الكامل في التاريخ، ج 3، ج 4، بيروت، 1967م.
4. ابن الخطيب، اللوحة البدرية في الدولة النصرية. القاهرة، 1374هـ.
5. ابن السباط، وصف الأندلس. في كتاب تاريخ الأندلس، تحقيق العبادي، مدريد، 1975م.
6. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، مصر، 1966م.
7. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، القاهرة، 1982م.
8. ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، تحقيق العبادي أحمد مختار، مدريد، 1975م.
9. ابن خلدون، محمد بن محمد بن الحسن، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني حماد، الجزائر، 1903م.
10. ابن خلكان، وفيات الأعيان. ج 5، بيروت، 1966م.
11. ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة. تحقيق عبد الهادي التازي، بيروت، 1964م.
12. ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله، فتوح مصر والمغرب. القاهرة، 1961م.
13. ابن عذاري، البيان المغرب، ج 1، بيروت، 1983م.
14. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة. تحقيق طه الزيني، ج 2، بيروت 1967م.
15. ابن منصور، عبد الوهاب، قبائل المغرب. ج 1، الرباط، 1968 م.
16. الإدريسي، نزهة المشتاق. ج5، روما، بدون تاريخ.

17. إيلورا، رولاند، **مدخل إلى اللسانيات**. ترجمة بدرالدين القاسم، سوريا، 1980م.
18. الأنطاكي، محمد، **الوجيز في فقه اللغة**، حلب 1969م.
19. البكري، معجم ما استعجم. تحقيق مصطفى السقا، القاهرة، 1951م.
20. البكري، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، بغداد، (بدون تاريخ).
21. البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر، **فتوح البلدان**. بيروت 1978م.
22. الحجي، عبدالرحمن على، **التاريخ الأندلسي من الفتح إلى سقوط غرناطة**، دمشق، 1994م.
23. حركات، إبراهيم، **المغرب عبر التاريخ**. ج 1، الدار البيضاء، 1984م.
24. الحميري، ابن عبد لمنعم، **الروض المعطار في خبر الأقطار**. بيروت، 1975م.
25. روسليو، بوردوي، **العصور الوسطى في تاريخ ميورقة**، (بدون تاريخ).
26. سالم، السيد عبدالعزيز، **تاريخ المغرب في القرون الوسطى**، القاهرة، 1961م.
27. سالم، السيد عبد العزيز، **المغرب الكبير**. ج 2، بيروت 1981م.
28. السلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، **الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى**. ج 1، الدار البيضاء، 1954م.
29. الطبري، محمد بن جرير، **تاريخ الرسل والملوك**. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج 6، القاهرة، 1983م.
30. العبادي، أحمد مختار، **في تاريخ المغرب والأندلس**، بيروت، 1978م.
31. العبادي، أحمد مختار، وسالم، السيد عبد العزيز، **تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس**، بيروت، 1969م.
32. فروخ، عمر، **العرب في الحوض الغربي من المتوسط**، بيروت، 1966م.
33. كريخال، مارمول، **إفريقيا**. ترجمة محمد حجي، ومحمد زنيبر، وآخرين ج2، الرباط، 1984م.
34. مؤنس، حسين، **فتح العرب للمغرب**، القاهرة، 1947م.
35. المالكي، أبو بكر عبد الله بن أبي عبد الله، **رياض النفوس**، القاهرة، 1951م.

36. مجهول المؤلف، أخبار مجموعة في فتح الأندلس، بيروت، 1981م.
37. محمود، حسن، قيام دولة المرابطين، القاهرة 1957م.
38. المقرئ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، ج 1، وج 3، بيروت، 1968م.
- المراجع الأجنبية
39. Andre Julien, **Histoire l'Afrique du Nord**, Paris, 1951.
- 40- Antonipinero Saenz, **Jewish Presence Hispania before the tenth century**.
41. Beatrice Leroy, **Lawsuits dans l'Espagne Chrétienne avant 1492**, Montrond, 1993.
42. Bruncchvig, **laBerberie Orientelle Sous les Hafside**, Paris, 1946 .
43. E.Levi Provencal, **Histoire de l'Espagne Musulmane Tome1**, Paris, 1950.
44. Is.D.Abbou, **Muslims' Andalus et Judeo- Espagnols**.
45. Jose Carlos de la Luna, **Historia de Gibraltar**..
46. Jose Luis Asian Pena, **Elementos de Historia de Espana**, Barcelona, 1953.
47. Ma Encarnacion Varela, **Estudio Preliminary de Granada Al-Yahud ... de David Gonzalo Maeso**, 1990.
48. Terrasse, Histoire du Maroc, Tome1.
49. W.M.Watt and Pierre Chachia, **A History of Islamic Spain**. Edmbarah 1965.



محتويات الوحدة

الصفحة	الموضوع
57	المقدمة
57	تمهيد
58	أهداف الوحدة
59	1. عصر الولاة 95-138هـ/714-755م
59	1.1 جهاد المسلمين خلف جبال البورتات
64	1.2 الفتن والحروب الداخلية بالمغرب والأندلس
68	2. عصر الإمارة الأموية بالأندلس 138-316هـ / 756-929م
68	1.2 التعريف بالأمراء
69	2.2 الصراعات والفتن الداخلية
81	3.2 العلاقات الخارجية
90	4.2 الاسهامات الحضارية
93	3. عصر الخلافة 316-399هـ/929-1008م
93	1.3 التعريف بخلفاء عصر الخلافة
97	2.3 العلاقة ما بين الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله والفاطميين
99	الخلاصة
99	لمحة مسبقة عن الوحدة التالية
100	إجابات التدريبات
103	مسرد المصطلحات
105	المصادر و المراجع

المقدمة

تمهيد

عزيزي الدارس، مرحباً بك إلى الوحدة الثانية (الأندلس من عهد الولاة إلى عصر الخلافة). تتبع أهمية هذه الوحدة من أنها تتابع أحداث الفتح الإسلامي للمغرب والأندلس، وتبين ما جري بالأندلس بعد مراحل الفتح مباشرة وحتى نهاية عصر الخلافة الأموية فيه. وهي مقسمة إلى ثلاثة أقسام رئيسة، يتناول أولها عصر الولاة خلال الفترة ما بين عامي (95 . 138هـ / 714 . 755م)، وفيه نتعرف معاً على الفتوحات الإسلامية في منطقة ما وراء جبال البورتات (فرنسا الحالية)، ونسلط الضوء علي الفتن والثورات الداخلية بالأندلس. أما القسم الثاني فيتناول عصر الإمارة الأموية بالأندلس (138 . 316هـ / 756 . 929م)، بدءاً بالتعريف بالأمراء، ومروراً بالفتن الداخلية وثورات العناصر المضربة واليمينية والسكان الأصليين والموالي، لينتهي هذا القسم بدراسة علاقات الأندلس الخارجية في عصر الإمارة مع كل من العباسيين والنصارى والنورمان. بجانب تناول أهم إسهاماتهم الحضارية. وفي القسم الثالث من هذه الوحدة ندرس عصر الخلافة بالأندلس (316 . 399هـ / 929 . 1008م)، إذ نتعرف على خلفاء بني أمية بالأندلس، وما هي العلاقة بين مؤسس عصر الخلافة، عبد الرحمن الناصر والفاطميين، وتجد في ثنايا هذه الأقسام مجموعة من أسئلة التقويم الذاتي والتدريبات والأنشطة، والتي نرجو منك أن توليها اهتمامك قبل الانتقال إلى القسم التالي، وستجد في نهاية الوحدة مجموعة الإجابات النموذجية للتدريبات ومسرد لأهم المصطلحات الواردة في الوحدة.

عزيزي الدارس، نجدد ترحيبنا بك و تمنياتنا لك بأن تستفيد من دراسة هذه الوحدة، ونأمل أن تساعدنا في تنقيحها وتطويرها.

أهداف الوحدة



عزيزي الدارس، بعد فراغك من دراسة هذه الوحدة ينبغي أن تكون قادراً على أن:

1. تتعرف على سير الفتوحات الإسلامية فيما وراء البورتات (فرنسا حالياً).
2. تصف جهود ولاية الأندلس في مواصلة الفتوحات والقضاء على الفتن الداخلية.
3. تكون صورة واضحة عن انتقال الأندلس إلى عصر الإمارة، وعن الأمراء.
4. تبين ما كانت عليه علاقات الأندلس الخارجية في عصر الأمراء.
5. تشرح أحوال الأندلس خلال عصر الخلافة (316-399هـ/1008م)

1. عصر الولاة 95-138هـ/714-755م

ترك موسى بن نصير بعد جوازه مصحوباً بطارق إلى دمشق ابنه عبد العزيز والياً على الأندلس وذلك في أواخر عام 95هـ/714م، وقد اصطلح على تسمية الفترة التي ابتدأت بعبد العزيز وانتهت بيوسف الفهري . الذي هزمه عبد الرحمن الداخل بن معاوية عام 138هـ/755م وعزله عن الولاية، ونصب نفسه والياً على الأندلس مكانه . بعصر الولاة.

وقد حكم الأندلس خلال هذه الفترة عشرون والياً (المقري، 1968م، ج1) منهم من حكم مرتين، كعبد الرحمن الغافقي، وعبد الملك بن قطن. وقد كان تعيين الوالي يتم عن طريق والي القيروان في بعض الفترات (ابن عذاري، 1983م، ج2) أو عن طريق الخليفة نفسه. وفي بعض الأحيان كانت الظروف تفرض على أهل الأندلس اختيار الوالي، ثم مخاطبة جهات الاختصاص، وانتظار قرارها بالموافقة أو تعيين وال جديد (ابن عذاري، 1983م، ج2، ومجهول المؤلف، 1981م).

اهتم الولاة في هذه الفترة بتنظيم الإدارة، حيث قام الحر بن عبد الرحمن الثقفي (97-100هـ/715-718م) بنقل العاصمة من إشبيلية إلى قرطبة، وبناء القلاع، ونشر الإسلام وسط الأهلين، ومتابعة فتح المناطق التي لم تصل إليها جيوش الإسلام، وتقفيه المسلمين الإسبان في أمور دينهم، ومباشرة الدعوة لاستقطاب الذين لم يدخلوا الإسلام بعد، ومواصلة الجهاد فيما وراء البورتات.

1.1 جهاد المسلمين خلف جبال البورتات

المقصود بالمنطقة التي تقع وراء البورتات الأرض الكبيرة أو بلاد الغال (فرنسا الحالية). وفي الفترة التي فكر فيها المسلمون غزو الأرض الكبيرة كانت منقسمة إلى عدد من الإمارات المستقلة. وفي الجنوب توجد سبتمانيا (المدن السبع) وعاصمتها أربونة وإمارة أكيثانيا وعاصمتها طولوشة، وفي الشرق على وادي رودنة أي نهر الرون نجد ولايتي

بروفانس وبرغونة وفي الشمال أي شمال نهر اللوار توجد مملكة الفرنجة الميروفونجية التي تمتد شرقاً لتشمل ألمانيا الحالية (العبادي، 1978م)

بدأ تفكير المسلمين في فتح هذه البلاد منذ عهد موسى بن نصير؛ لتبليغ الرسالة وتأمين حدودهم معها، ولكنه توقف لأسباب أمنية إلى أن جاء إلى ولاية الأندلس **السمح بن مالك الخولاني** في رمضان 100. ذي الحجة 102هـ/719-721م. وقد جاء السمع متحمساً للجهاد، وعازماً على مواصلته حتى تعود الأرض كلها أرض إسلام. فأعد الجيوش، وجعلها بكل مستلزماتها، وبسط الأمن والاستقرار بالداخل، ثم توجه بجيوشه نحو سبتمانيا، وأحكم حصار عاصمتها أربونة، فخضعت له، واتخذها قاعدة عسكرية ثم توجه نحو دوقية أكتانيا، فافتتح أجزاء منها بما فيها العاصمة، ثم توغل في داخلها فانتزع ملكها يودو Yudo هذه الفرصة، وأعد كميناً بالقرب من طولوشة فدارت معركة حامية الوطيس بين الجانبين انتهت باستشهاد السمع، و انسحاب ما تبقى من جيشه إلى أربونة وذلك في يوم عرفة 102هـ/يونيو 721م. واختار أهل الأندلس **عبد الرحمن الغافقي** خلفاً له (ابن الفرضي، 1966م، والمقري، 1968م، ج3).

وفي عام 103هـ/721م عين والي إفريقية يزيد بن مسلم **عنبسة بن سحيم الكلبي** والياً على الأندلس. فمكث عنبسة السنوات الأولى من عهده في تهدئة الأحوال وحل المشاكل الداخلية. ثم انتقل بعد ذلك إلى مواصلة الجهاد خلف البورتات، فوصل إلى أربونة، وافتتح عدداً من المدن الواقعة على وادي الرون كفالنس وفيني وليون، وسار حتى وصل إلى مدينة سانس Sens، التي تقع على بعد ثلاثين كيلومتراً جنوبي باريس Paris وهي عاصمة إقليم يوند، ولكن أسقفها إيبون تمكن من التصدي لعنبسة.

في هذا الأثناء وصلت إلى عنبسة أنباء بتجدد الفتن العصبية بالأندلس، فقرر العودة لإطفاؤها وفي طريق عودته داهمته جموع كبيرة من الفرنجة، وقطعت أمامه الطريق، فاشتبك معها في معارك طاحنة انتهت باستشهاده في عام 107هـ/725م وعودة من تبقى من جنده بقيادة عذرة ابن عبد الله الفهري إلى أربونة، ثم عين **يحيى بن مسلمة** خليفة لعنبسة (المقري، 1968م، ج1، ج3، ورينو، 1966م).

توقفت حركة الفتح بعد استشهاد عنبسة وانشغل خليفته بإطفاء الفتن والاضطرابات، إلى أن عين **عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي** والياً على الأندلس للمرة الثانية في صفر 112هـ/مايو 730م، وقد جاء عبد الرحمن في هذه المرة وهو أكثر عزيمة وإصراراً على مواصلة الجهاد. ففضى السنتين الأولتين من ولايته في إصلاح البيت وترتيبه من الداخل، ثم انتقل إلى الإعداد للغزو. وفي عام 114هـ/732م تحرك بجيوشه نحو ما وراء البورتات فوصل إلى أربونة واستراح بها، وهاجم دوقية أكتيانيا، وعبر نهر الجارون واستولى على مدينة بورردو التي تقع على مصبه. وأمام ذلك اضطر دوق أكتيانيا إلى الاستعانة بالدولة الميروفونجية الفرنجية والتي كان ملكها ضعيفاً إلا أن حاجبها شارل مارتل قد كان قوياً ومستبداً بالسلطة؛ فلبى شارل نداءه خوفاً على بلاده. والتقى الجانبان في مكان اختلفت المراجع الأوروبية في تحديده، ولكنها لم تخرجه عن مدينة تور الواقعة على نهر اللوار ومدينة **بواتية** الواقعة على نهر كلين رافد فيين أحد فروع اللوار، اللتان تبعدان عن بعضهما البعض تسعين كيلومتراً **وقرية** خندق الملك (رينو، 1966م)

أما المصادر العربية فتحددها في مكان تطلق عليه اسم **بلاط الشهداء** (المقري، 1968م، ج3). وقد بدأت في رمضان 114هـ/أكتوبر 732م واستمرت لمدة عشرة أيام (E.Levi Proven Cal, 1950) ولهذا فمن المحتمل أن تكون قد دارت في كل المناطق السابقة. وقد كان النصر حليفاً للمسلمين في البداية، إلا أن النصاري كروا عليهم وأوقعوا بهم الهزيمة واستشهد الغافقي في هذه المعركة، وانسحبت بقية جيشه في جناح الظلام إلى قرطبة، وتركت خيامها منصوبة للتنمويه، بقيادة **عبد الملك بن قطن**، الذي أصبح والياً على الأندلس بعد الغافقي. (ابن عذاري، 1983م، ج2، والمقري، 1968م، ج1).

تعزي المصادر الأوروبية هزيمة الجيش الإسلامي إلى كثرة الغنائم التي كان يحملها معه في مؤخرته، وتمكن مجموعة من جيش الفرنجة من اختراق صفوفه ومهاجمة مؤخرته، الشيء الذي أدى إلى تفرق جموعه وتدافعها نحو الغنائم، وانتهاز الفرنجة لهذه الفرصة، وإنزالهم الهزيمة به، وكذلك إلى ظهور الاختلافات بين مكونات الجيش الإسلامي . عرب

بربر . (رينو، 1966م، وعنان، 1955م، ج1) ولكن وجهة النظر هذه مستبعدة لفقر المناطق التي مرت بها الجيوش الإسلامية، ولأن الهدف والموقف والموقع والظرف الذي يوجد فيه المسلمون لا يسمح بظهور مثل هذه الخلافات والمرجح أن الهزيمة كانت بسبب إعداد شارل مارتل Charles Martel للمعركة، ولوقوعها في مناطق معروفة ومألوفة له ولجنده، وقريبة من مناطق إمداده، ولبعد مناطق الإمداد بالنسبة للمسلمين حيث تبعد قرطبة أكثر من ألف ميل من بلاط الشهداء.

أما عن نتائجها فبالنسبة للنصارى فقد رفعت من شأن شارل مارتل بحيث اعتبر بطلاً قومياً، ولقب بالمخلص، واحتفلت بهذا النصر جميع الكنائس في أوروبا، كما أن شارل مارتل قد استغل ضعف المسلمين وبدأ مهاجمة الأماكن التي استولوا عليها خلف البورتات، ثم واصل حفيده شارلمان المشوار فاستولى على قطلونيا Catalonia في شمال شرق إسبانيا، وأنشأ بها الثغر الإسباني الذي ضمت إليه برشلونة Barcelona، ثم استقل وأصبح يعرف بإمارة قطلونية (العبادي، 1978م، وعنان، 1955م، ج1).

أما بالنسبة للمسلمين فإن المصادر العربية لم توليها اهتماماً يذكر؛ ربما لبعدها عن حاضرة الخلافة بدمشق، وعدم تأثيرها على مجريات الأحداث هنالك، على الرغم من أهميتها، باعتبارها آخر المحاولات الجادة لنشر الإسلام في بلاد الغال، وأن نتيجتها أدت إلى رجحان كفة النصرانية وتغيير موازين القوى لصالحها . على الأقل في ما وراء البورتات.

بعد استشهاد الخافقي لم تذكر المصادر لخليفته عبد الملك أي دور يذكر في معاودة الكرة على شارل مارتل وحلفائه حتى تاريخ عزله في 116هـ/734م وتعيين عقبة بن الحجاج السلولى مكانه. ويعد عقبة من القادة المحنكين، وقد قام بعدة جولات جهادية في المقاطعات الفرنسية الجنوبية، والشمالية الشرقية، واستشهد عند مدينة قرقشونة إحدى مدن سبتمانيا في عام 123هـ/741م. وخلفه عبد الملك بن قطن، الذي جاء في ولاية ثانية، (المقري، 1968م، ج3، وسالم، 1961م) وفي عهده اشتعلت نيران الفتنة في

الأندلس وبدأت الدولة الأموية تلفظ أنفاسها الأخيرة بالشرق، كما أن المغرب كان يعج بالفتن.

تدريب (1)



1. متي بدأ عهد الولاة في الأندلس ومتي انتهى؟
2. "اختير الوالي للأندلس علي امتداد عهد الولاة بثلاثة طرق" ما هي؟
3. ما المقصود بمنطقة ما وراء البورتات؟
4. في عهد من الولاة استؤنفت الفتوحات في الأندلس بعد موسى بن نصير؟
5. "فتح عنبة بن سحيم الكلبي عدداً من المدن علي نهر الرون" ما هي؟
6. لماذا توقفت الفتوحات الإسلامية بعد استشهاد عنبة في عام 107هـ؟
7. متي عين عبد الرحمن الغافي والياً علي الأندلس للمرة الثانية؟
8. أين التقى الغافي بدوق اكتيانيا في نظر كل من المراجع الغربية والعربية؟
9. لماذا نستبعد التدافع علي الغنائم من أسباب هزيمة المسلمين في بلاط الشهداء؟
10. متي وأين استشهاد عقبة بن الحجاج السلولي؟

2.1 الفتن والحروب الداخلية بالمغرب والأندلس

بدأت الفتوحات الإسلامية منذ عهد النبي μ وتواصلت في عهد بني أمية؛ وكان على خلفاء بني أمية وضع خطط محكمة لاستقطاب الشعوب التي دخلت في دائرة الدولة الإسلامية، وإدماجها، والاستفادة من سواعدها وعقولها في البناء والتعمير والدفاع عن الإسلام. ولكن الظروف الداخلية والخارجية التي كانت تحيط بهم دفعتهم لانتهاج سياسة منحازة للعنصر العربي اليمني المساند لهم، ومتشددة ومجحفة تجاه العناصر الأخرى. كما أن بعض ولايتهم قد تشددوا في تطبيق هذه السياسة كالحجاج بن يوسف الذي فرض الجزية على الموالي بالمشرق حتى بعد إسلامهم. أما في المغرب فإن عبد الله بن الحجاج الذي عينه الخليفة هشام بن عبد الملك والياً على المغرب في عام 116هـ/734م (ابن عبد الحكم، 1961م) قد أساء هو بدوره معاملة البربر وفرض الجزية على مسلميهم، كما أن ولاته الذين وزعهم على الأقاليم، ومن بينهم ابنه إسماعيل الذي عينه على بلاد سوس قد حاولوا تخميس بلاد البربر واعتبارها فيئاً للمسلمين؛ ونتيجة لهذه السياسات الخاطئة أصبحت المغرب تربة خصبة لمبادئ الخوارج، فارتحل إليها دعائهم بعد أن شدد الأمويون الخناق عليهم بالمشرق، وبثوا مذهبهم، فاعتنقها البربر، لما وجدوه فيها من متنفس عن مكبوتاتهم وأمل في رفع الظلم عنهم، خاصة وأن نظريتهم حول الخلافة لا تشترط في الخليفة إلا الإسلام والعدل (القيرواني، 1967م، وابن عذاري، 1983م، ج1).

ومن بين من اعتنقوا مذهب الخوارج الصفرية ميسرة المدغري الزناتي، الذي اعتنق هذا المذهب أثناء إقامته بالقيروان، ثم عاد ونشره بين أهله وعشيرته في طنجة، وحاول رفع الظلم عنهم بالطرق السلمية، ولكنه لم يفلح؛ لذلك لجأ إلى العنف والثورة والتمرد. فأعلن خروجه عن طاعة الأمويين، وادعى الخلافة، وتمكن من هزيمة والي طنجة ثم زحف نحو بلاد سوس واصطدم بواليتها إسماعيل بن عبد الله، وهزمه وقتله وذلك في عام 122هـ/739م، وأعلن خلافته. وقد أغرت هذه الانتصارات ميسرة، فترفع على قومه وابتعد عن مذهبهم، فكانت النتيجة اغتيال أصحابه له وتنصيب خالد بن حميد الزناتي مكانه.

أمام هذه التطورات الخطيرة اضطر ابن الحبحاب لإرسال جيش بقيادة خالد بن حبيب، لتدارك الأمر، فالتقى بجيوش البربر عند أحواز طنجة في عام 123هـ/714م، فدارت بينهما معركة حامية الوطيس انتهت بهزيمة خالد وقتله في مجموعة من القادة المصاحبيين له، وعرفت هذه الغزوة بغزوة الأشراف، ربما لكثرة من اشترك واستشهد فيها منهم (ابن عبد الحكم، 1961م، ابن الأثير، 1966م، ج5، وابن خلدون، 1966م، ج6).

نتيجة لهذه الهزيمة استدعى الخليفة هشام بن عبد الملك، ابن الحبحاب وعين مكانه **كلثوم ابن عياض القشيري**، وسير معه جيشاً من عرب الشام بقيادة بلج بن بشر القشيري ابن أخ كلثوم. وانضافت لهذا الجيش مجموعات من المجاهدين أثناء مروره بمصر وطرابلس. (المقرئ، 1968م، ج5) والتقى هذا الجيش بجيوش ابن حميد عند نهر سيو بالقرب من طنجة في عام 123هـ/741م، فهزمت جيوش كلثوم وقتل، وذلك بسبب الخلافات الناتجة عن رواسب قديمة ترجع إلى معركة الحرة عام 63هـ/682م واستباحة المدينة المنورة وهزيمة ابن الزبير واستباحة مكة عام 72هـ/691م، بين عرب الشام المكون الرئيسي لجيشه وعرب المدينة والحجاز الذين جاءوا مع موسى بن نصير وغيره واستقروا بطنجة. ففرت مجموعات من الناجين من جيشه إلى القيروان، ولانّت مجموعة أخرى يقودها **بلج** وفيها عدد من كبار القادة كثعلبة بن سلامة الجذامي وعبد الرحمن بن حبيب الفهري إلى ثغر سبتة، وتحصنت به، وهنالك حاصرها البربر، فاستعانت بوالي الأندلس عبد الملك بن قطن، وطلبت منه السماح لها بالعبور (ابن عبد الحكم، 1961م، ودوزي، 1963م) فرفض الاستجابة لطلبهم في البداية ولكنه اضطر للسماح لهم، واشترط عليهم شروطاً محددة.

ينتمي عبد الملك إلى عرب المدينة، وقد شارك في معركة الحرة، ومن هنا تأتي أسباب العداء بينه وبين الشاميين، ورفضه بالسماح لهم بالعبور. أما عن الاضطراب للسماح لهم، فسببه الاضطرابات والشغب الذي أحدثه بربر الأندلس بعد سماعهم بالانتصارات التي حققها إخوانهم بالمغرب، ومحاولتهم الانقضاض على عبد الملك ومؤازرة إخوانهم بالمغرب. وقد اشترط عبد الملك على **بلج** ومجموعته العودة إلى المغرب بعد عام،

ومساعدته في القضاء على فتنة البربر . وبعد هدوء الأحوال بالأندلس طلب عبد الملك من بلج ومجموعته العبور إلى المغرب، فما كان منهم إلا أن اغتالوه ونصبوا بلجاً مكانه فرد عليهم أنصاره بالمثل، فقاموا بقتل بلج، ولكن أنصار الأخير عينوا والياً آخر وهو ثعلبة بن سلامة في عام 124هـ/ 741م (ابن عذاري، 1983م، ج2)

في عام 125هـ/ 742م عين والي إفريقية حنظلة بن صفوان أبا الخطار بن ضرار الكلبي، وهو شامي، والياً على الأندلس. فساس أهلها سياسة عادلة، فقام بتوزيع القبائل اليمانية المتمركزة في قرطبة على كور الأندلس ومدنه المختلفة. ولكن عدالته هذه لم تدم طويلاً إذ سرعان ما انحاز إلى يماني حينما تخاصم أمامه مع مضري، وأساء معاملته الصميل بن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن، زعيم المضرية حينما احتج على هذا الانحياز. وقد نتج عن ذلك اشتعال نيران الحرب بين الفريقين ورجحان كفة المضرية وعزل أبي الخطار، وتعيين ثوابة بن سلامة وهو يماني، مكانه برضاء الجانيين. وفي عام 129هـ/ 746م توفي ثعلبة فخلفه يوسف بن عبد الرحمن الفهري باتفاق الجانيين، على أن تكون الولاية سنوية ودولة بينهما. ولكن الخلاف سرعان ما ظهر بينهما وأدى إلى اشتباكهما في عدة معارك عام 130هـ/ 747م أبرزها تلك التي حدثت في شقندة Secunda والتي قتل فيها أبو الخطار. فصفا الجو ليوسف وأنصاره وعلى رأسهم الصميل. (زيتون، 1984م، وابن عذاري، 1983م، ج2).

في فترة يوسف كثرت الفتن والصراعات بالأندلس. أما في المشرق فقد سقطت الدولة الأموية عام 132هـ/ 749م، وتتبع العباسيون الأمويين بالقتل والتذبيح، ولكن واحداً منهم، وهو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك قد تمكن من الهروب والتستر بزى التجار، والجواز بمصر وإفريقية والمغرب الأوسط والاستقرار وسط خوئلته من أبناء قبيلة نفزة البربرية بالمغرب الأقصى. ثم التفكير بعد ذلك في استغلال الظروف التي تمر بها الأندلس، وخاصة وأن العباسيين لم يعينوا والياً عليها من قبلهم لاستعادة ملك آبائه به. فأرسل غلامه ميسرة ليستطلع له أمرها، ويستقطب له دعم أهلها، وعطف ودعم وجهائها من العرب وموالي بني أمية ليسمحوا له بالجواز والاستقرار بها، فوجد الموافقة والدعم من

زعماء اليمنية، ولكن الصميل بن حاتم زعيم المضرية قد اعترض وبشدة على هذه الفكرة. وبعد رجوع ميسرة أعد عبد الرحمن العدة وجاز إلى ميناء المنكب على بحر الروم ونزل به ثم اتجه إلى حصن طرش Torrx حيث يوجد موالى بني أمية، فنزل عندهم، واتخذة قاعدة عسكرية. وهنالك التقت حوله مجموعات من الموالى والبربر والعرب اليمنية، فأعدهم ونظمهم، ثم توجه بهم نحو قرطبة، وتمكن من عبور الوادي الكبير ، والتقى مع جيوش يوسف الفهري والصيل بن حاتم عند بلدة المصاراة بالقرب من قرطبة في 10 ذي الحجة 138هـ/ 15 مايو 756م، فانتصر عليهما، وصلى صلاة الجمعة بمسجد قرطبة، وأعلنت إمارته على الأندلس. (ابن عذاري، 1983م، ج 2)

تدريب (2)



1. أين اعتنق ميسرة المدغري الزناتي مذهب الخوارج الصفرية؟
2. متي وأين التقى جيش خالد بن حبيب بالبربر؟ وما اسم المعركة التي دارت بينهما؟
3. من هو الوالي الذي عين خلفاً لابن الحباب؟
4. بما ذا اتسمت سياسة أبا الخطار في أولها؟
5. من هو مؤسس الإمارة الأموية بالأندلس؟



اجب عن الأسئلة التالية

1. تعد معركة بلاط الشهداء من المعارك الحاسمة بين المسلمين والنصارى فيما وراء البورتات. " عرف بها تعريفاً شاملاً وبأهم نتائجها.
2. " عندما كانت الخلافة الأموية بدمشق في مراحلها الأخيرة انفلت حبل الأمن وعمت الفتن والحروب بالمغرب والأندلس. " عرف بهذه الفتن مبرزاً أسبابها وأهم نتائجها.

2. عصر الإمارة الأموية بالأندلس 138-316هـ / 756-929م

يعد عصر الإمارة نقلة مهمة في تاريخ الإسلام بالأندلس، لما شهدته الأندلس من أحداث وتطورات مهمة على الصعيد السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي. وفيما يلي نسلط الضوء على هذا العصر من خلال التعريف بأهم الأمراء الذين تداولوا السلطة فيه والصراعات والفتن الداخلية، والعلاقات مع العالم الخارجي، وأهم ما حدث فيه من إنجازات.

1.2 التعريف بالأمراء

يعد أول أمراء بني أمية بالأندلس **عبد الرحمن الداخل**. وقد حكم في الفترة ما بين عامي 138هـ/755م و172هـ/796م. ولم يحدد عبد الرحمن خليفة له في حياته ولكن يبدو أن وجهاء الدولة ورجال البلاط قد كانوا يميلون إلى ابنه **هشام**، ولذلك اختاروه خلفاً لوالده. وبعد وفاة هشام خلفه ابنه **الحكم الرضي** (180-206هـ/796-822م) وقد كانت أهم الأحداث في عهده فتنة الرض وخلف الحكم ابنه **عبد الرحمن الثاني الأوسط** (206-238هـ/822-852م).

كان عهد عبد الرحمن الثاني الأوسط مليئاً بالأحداث على المستويين الداخلي والخارجي. ويمثل عهده نهاية فترة القوة بالنسبة للإمارة. إذ حكم بعده أمراء ضعاف انعكس ضعفهم على جميع مرافق الدولة، فكثر الفتن، وتمزقت الدولة، وقد عرف عهد هؤلاء الأمراء بعهد الطوائف الأول، والأمراء هم محمد الأول بن عبد الرحمن الأوسط (238-273/852-886م) وابنه المنذر (273-275هـ/886-888م) وابنه أبي محمد عبد الله (275-300هـ/888-912م) وهو آخر أمراء هذا العهد. وبعد عبد الله تولى الإمارة حفيدة عبد الرحمن الثالث الذي بدأت الدولة في عهده تستعيد قوتها وعافيتها. وفي عام 316هـ/928م أعلن نفسه خليفة للمسلمين وبذلك أسدل الستار على عهد الإمارة ودخلت الأندلس فيما اصطلح عليه بعصر الخلافة. (ابن عذاري، 1983م)

تدريب (3)

- من هم أمراء الدولة الأموية بالأندلس خلال الفترة بين عامي (138 . 238هـ / 756 . 852م)



2.2 الصراعات والفتن الداخلية

اجتاحت الأندلس خلال فترة الإمارة العديد من الفتن والثورات. وقد شاركت في هذه الفتن معظم عناصر التركيبة السكانية للأندلس كالمضرية واليمنية والبربر وأهل البلاد الأصليين والموالي والعبيد.

أولاً: ثورات المضرية

إن التنافس بين الأمويين والمضرية حول السلطة لا يعني عدم انتماء الأمويين إلى مضر، لأن الانتماء لا يمنع من المنافسة؛ فالمنافسة غريزة إنسانية وموجودة حتى بين الإخوة والأشقاء، وإن تطورت إلى الاحتراب.

بعد استيلاء عبد الرحمن الداخل على السلطة انعقد صلح بينه وبين يوسف بن عبد الرحمن الفهري والصميل بن حاتم، تم بموجبه السماح للصميل ويوسف بالاستقرار في

قرطبة نظير تقديم الأخير ابنه (محمد) و (عبد الرحمن) كرهائن. ولكن عبد الرحمن الداخل لم يحترم العهد، وأصبح يسلط بعض أتباعه ليمارسوا الضغوط على يوسف حتى يتنازل له عن ممتلكاته. ففطن يوسف للأمر فلاذ بالفرار على أمل جمع أتباعه ومحاربة الأمويين، فاجتمع حوله عدد من مؤيديه وأبناء قبيلته، فتوجه بهم نحو إشبيلية والمدور، ولكن جيوش الداخل قد هزمته هنالك فلاذ بالفرار، وأصبح ينتقل من مكان لآخر إلى أن قتله أحد أتباعه بنواحي طليطلة في عام 142هـ/759م، وأرسل رأسه إلى عبد الرحمن بقرطبة؛ الشيء الذي يوحي بأنه كان وراء الاغتيال. أما الصميل بن حاتم فإنه لم يتحرك من مكانه، وأنكر معرفته بالجهة التي أمها يوسف حين استجوبه عملاء الداخل، فوضع في السجن هو وأبناء يوسف ولكن الأخيرين قد تمكنا من الهروب إلى طليطلة. أما الصميل فقد وجد ميتاً في محبسه. (مجهول المؤلف، 1981م، و ابن الأثير، 1966م، ج2) وتمكن الداخل من إرجاع محمد بن عبد الرحمن مرة أخرى إلى محبسه، وظل فيه حتى عام 168هـ/784م حيث هرب إلى طليطلة، التي أصبحت معقلاً للمقاومة المضرية ضد الأمويين. وهنالك اجتمع حوله مؤيدوه، واصطدم بجيوش الداخل التي ألحقت به الهزيمة مرتين. وفي عام 170هـ/786م مات حتف أنفه فواصل أخوه قاسم النضال والثورة، إلا أنه سرعان ما سئم الحرب، وجاء مستسلماً للداخل بدون أمان مسبق، فكان مصيره الاغتيال (ابن الأثير، 1966م، ج5).

إلى جانب ثورات يوسف وأبنائه فهناك ثورات مضرية أخرى، ففي عام 144هـ/701م ثار هشام بن عذرة الفهري، فتصالح معه عبد الرحمن الداخل، ثم نقض العهد؛ فتواصلت الحرب بينهما وتمكن الداخل من هزيمته وقتله في عام 147هـ/764م. (ابن الأثير، 1966م، ابن عذاري، 1983م) وإضافة إلى ما سبق فإن المضرية قد اشتركوا في المؤامرة التي نسج خيوطها العباسيون وشارلمان ويمنية الأندلس والتي سيأتي الحديث عنها في العلاقات الخارجية في عهد الإمارة.

يلاحظ أن معظم الثوار المضرية ينتمون إلى أسرة عقبة بن نافع الفهري التي أكسبها اسمه رأس مال رمزي في المغرب والأندلس. وبعد اغتيال قاسم بن يوسف الفهري حدث تقارب بين المضرية والأمويين (ابن الأثير، 1966م).

ثانياً: ثورات اليمنية

أفلح الأمويون في بداية عهدهم في استقطاب الكتلة اليمنية إلى جانبهم، والوصول إلى هدفهم وهو السلطة. ولكن لم تمض فترة طويلة على التقارب بين اليمنية والأمويين، إذ سرعان ما ظهرت بوادر الاختلاف بينهما، لأن اليمنية كانوا يتوقعون مشاركة في السلطة تتناسب مع وزنهم السياسي والاجتماعي والعسكري، ودورهم في تمكين الأمويين من الوصول إلى السلطة. أما الأمويون فربما اعتبروا تعاون اليمنية امتداداً لولائهم السابق لأبائهم.

انطلقت أول شرارة للثورة اليمنية ضد الأمويين من مدينة الجزيرة الخضراء بقيادة شيخ الجزيرة رزق بن النعمان الغساني في عام 143هـ/760م وقد تمكن الثوار من الاستيلاء على شذونة ودخول مدينة إشبيلية. ولكن عبد الرحمن الداخل تمكن من إحكام حصار إشبيلية حتى ساءت أحوال أهلها؛ فاضطروا إلى عقد صفقة معه تقضي بتأمينهم في أموالهم وأنفسهم مقابل تسليمهم لرزق، فأمنهم وقتل رزق ثم رجع إلى قرطبة (ابن الأثير، 1966م، ج5)

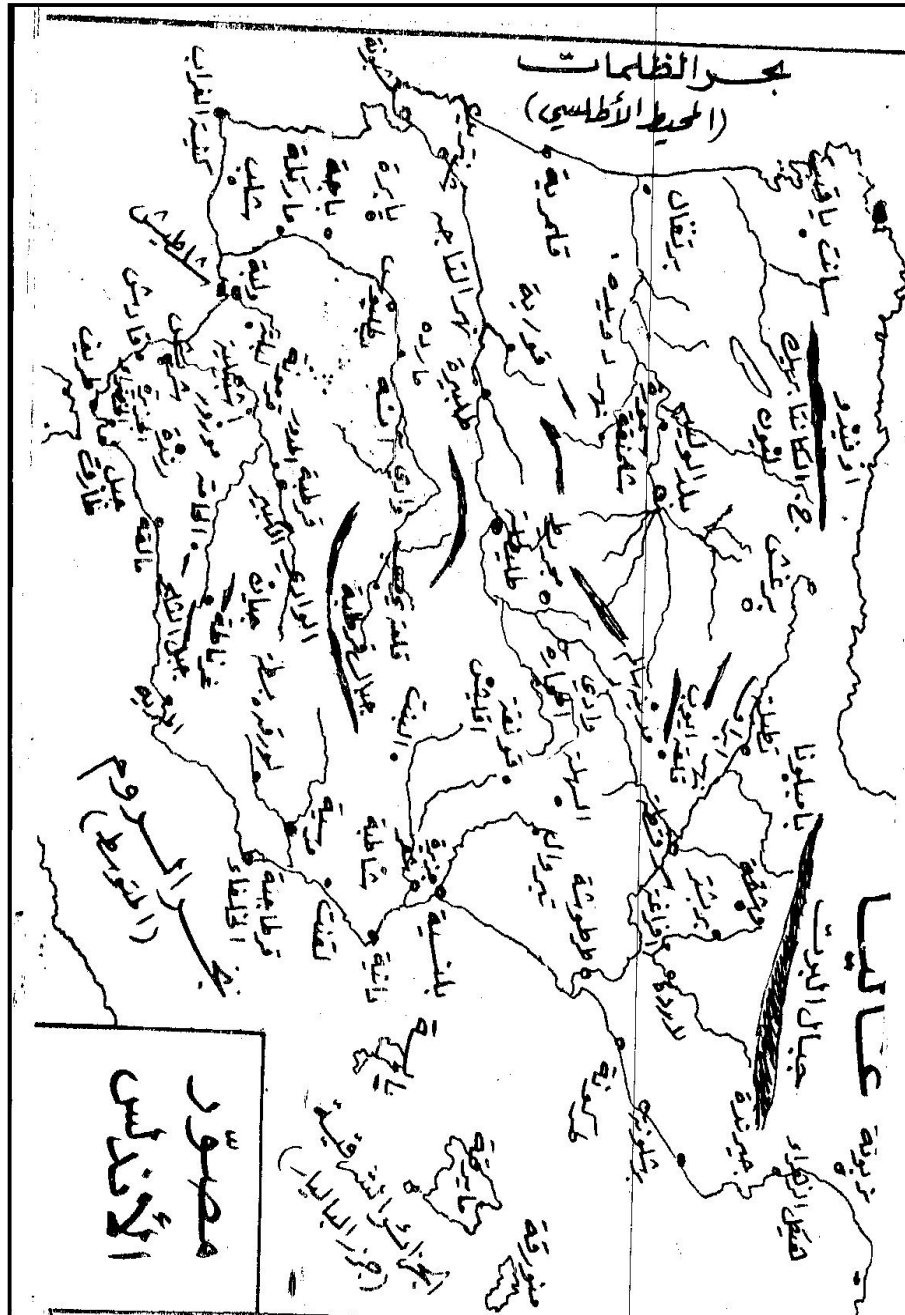
لكن ثورات اليمنية لم تتوقف إذ كانوا المحرك الأساسي لمحاولة أبي جعفر المنصور للانقضاض على عبد الرحمن الداخل التي قادها العلاء بن المغيث، وكذلك المؤامرة التي اشترك فيها إلى جانب العباسيين شارلمان والقائد المغامر بشمال إفريقيا عبد الرحمن بن حبيب الفهري الملقب بالصقلي وقد كان يمثل اليمنية سليمان بن يقظان الكلبي حاكم سرقسطة Zaragoza وسيأتي الحديث عنهما في العلاقات الخارجية.

وإذا كان الداخل قد هزم العلاء بن المغيث وقتله ومثل بجنته فإن عمله هذا قد أثار حفيظة اليمنية ضده. ففي 148هـ/765م تحرك سعيد اليحصبي المعروف بالمطري من مدينة لبلبة Niebla بغرب الأندلس نحو إشبيلية معلناً تمرده وثورته على الداخل، ويبدو أنه

كان على تنسيق مع قائد يماني آخر وهو **غياث بن علقمة اللخمي** الذي كان بمدينة شذونة Sidonia ولكن عبد الرحمن الداخل قد تمكن من وضع الحواجز بينهما ومواجهة كل واحد منهما على حدة. فابتدأ بسعيد وهزمه وقتله، وأمن من استسلم له من أصحابه وأصحاب غياث (ابن الأثير، 1966م، وابن عذاري، 1983م) وتشدد في عقاب من وقع في يده من الثوار. ولكن مع ذلك استمرت ثوارت اليمينة وخاصة في إشبيلية. ففي عام 156هـ/772م ظهر بها **عبد الغافر اليحصبي** وأعلن ثورته ضد عبد الرحمن الداخل، ولكن الداخل قد تمكن من هزيمتهم وكسر شوكتهم فلم تقم لهم قائمة بعد ذلك في إشبيلية. (ابن الأثير، 1966م، ج6).

وفي عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن استغل **مطروح بن سليمان بن يقظان** اشتغال الأمير بتصفية خلافاته مع إخوانه حول السلطة فاستولى على برشلونة Barcelona وسرقسطة ووشقة Huesca، ولكن هشاماً بعد أن استقرت له الأمور تمكن من هزيمته واسترجاع المناطق التي كانت تحت حوزته (العذري، 1965م، و ابن الأثير، 1966م).

بعد نجاح الأمويين في القضاء على ثورة مطروح يبدو أن الروح القتالية لليمنية قد ضعفت، وأن جذوة حماسهم قد خبت أو اقتتنعوا على الأقل، بعدم جدوى الاستمرار في المقاومة المسلحة، وضرورة التفكير في نوع آخر من المقاومة للوصول إلى السلطة. ويؤكد صدق ما ذهبنا إليه عدم إبراز المصادر لأي ثورة مهمة لهم بعد ذلك ضد الدولة الأموية، وكذلك التقارب الذي حدث بينهم وبينها بعد نجاحها في معالجة الصراع الذي نشب بينهم وبين المضربية في تدمير Tudmir عام 213هـ/828م، والذي تمثل في التحاق زعيم اليمينية أبي الشماخ محمد بن إبراهيم بخدمة الدولة كقائد من قوادها (العذري، 1965م، و ابن الأثير، 1966م). ومن هنا يمكن القول إن تحولاً جديداً قد طرأ على أسلوب اليمينية في العمل السياسي، وأن آليات جديدة قد اعتمدت من قبلهم لتحل محل آلية الحرب في الوصول إلى الهدف المنشود وهو السلطة.



ثالثاً: ثورات البربر

بدأ دخول البربر في الإسلام منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب ثم أصبحت أعداد الداخلين منهم في الإسلام تنتامي إلى أن أصبحوا أغلبية في العصر الأموي. وقد حسن إسلام البربر بعد استقرار الفاتحين العرب المسلمين بينهم. ولما تطلع المسلمون إلى فتح الأندلس، وأعدوا العدة لذلك كان البربر يشكلون أغلبية الجند الذين جازوا إلى الأندلس، وحققوا النصر الإسلامي على أهلها. ولكن على الرغم من هذا الدور الذي لعبوه إلا أن إشراكهم في الوظائف العليا في الدولة، وحظهم من الغنيمة كان ضعيفاً مقارنة بالعرب. فهل سكت البربر عما لحق بهم من ظلم؟ وإلى أي مدى نجحوا في تحقيق أهدافهم؟.

عبر البربر عن امتعاضهم عن سياسة الأمويين في الأندلس تجاههم بحركات كانت أقواها حركة شقنا بن عبد الواحد. وينتمي شقنا إلى قبيلة مكناسة الذين نزل عندهم عبد الرحمن الداخل أثناء تجواله بالشمال الإفريقي، ولم يحسنوا وفادته (ابن الأثير، 1966م، ج5). وكان يعمل معلماً للصبيان في شرق الأندلس، وعرف بالذكاء والفطنة والدراية بأحوال عصره، والسخط على بني أمية لما أنزلوه من ظلم ببني جلدته، والرغبة في إزالة الظلم عن قومه وإعادة حياتهم إلى طبيعتها. فاهتدى إلى أن ذلك لن يتم إلا بادعاء النسب الشريف، فادعاه لكسب تأييد أفراد قبيلته والناقمين على بني أمية؛ وتنظيمهم في ثورة مسلحة ضد الأمويين وإكسابها الشرعية، لأن نظرية الإمامة السنية والشيعة تقوم على عروبة الخلافة وقرشيتها. ثم نقل مركز عملياته إلى شنت برية التي تقع على بعد 240 ميل شرقي قرطبة. وهناك تمكن من صد كل المحاولات التي قام بها الداخل لإجهاض ثورته. فكانت النتيجة اتساع دائرة نفوذه وانضمام بربر مدينة قورية Coria له، ولكنه لم ينعم بما حققه من انتصارات إذ سرعان ما دب الحسد بين أتباعه نحوه؛ فاغتاله اثنان منهم بقرية العيون من قرى شنت برية في عام 160هـ/776م بعد عشر سنوات من ابتداء ثورته (مجهول المؤلف، 1981م، و ابن الأثير، 1966م، والحموي، بدون تاريخ، ج5).

وبعد ثورة شقنا قام البربر بعدة محاولات للانقضاض على الأمويين كثورة العباسي البربري عام 162هـ/778م، ولكن وحدثهم قد تعرضت للاهتزاز وشوكتهم قد ضعفت بسبب

الفتن التي انتشرت وسطهم، كتلك التي حدثت بين بربر بلنسية Valencia وبربر شنت برية في عام 164هـ / 780م، والضربة التي وجهها الداخل إلى بربر قبيلة نفزة حيث قتل أعداداً كبيرة منهم على الرغم من أن والدته منهم، وذلك في عام 170هـ / 786م (ابن الأثير، 1966م، ج6).

وفي عهد خلفاء الداخل استمرت محاولات البربر لتحسين أوضاعهم السياسية والاجتماعية فوقفوا إلى جانب سليمان بن عبد الرحمن الداخل في ثورته ضد أخيه هشام، وابنه الحكم من بعده، ولكنهم لم يتحصلوا على أي نوع من المكاسب لفشل هاتين المحاولتين (ابن الأثير، 1966م، ج6). وفي عام 178هـ / 794م وعام 235هـ / 849م أعلنوا تمردهم بتآكرنا، وفي عام 200هـ / 815م بمورور Moron de la frontera وفي عام 235هـ / 849م بجبال الجزيرة الخضراء، وفي عام 282هـ / 895م بكورة إلبيرة، كما خرج البربر الطنجيون من طاعة الأمويين في عام 298هـ / 910م وانضموا إلى ثورة عمر بن حفصون (ابن الأثير، 1966م، ج6 وج7، وابن عذاري، 1983م، ج2) ولكن الدولة قد نجحت في القضاء على كل هذه الثورات. فما هي إذن الأسباب الكامنة وراء هذا الإخفاق؟ لم يفلح البربر في استقطاب العناصر العربية المعارضة للأمويين، وربما يعود ذلك لروح التعالي التي كانت الطابع المميز للعناصر العربية في علاقاتها مع الآخرين وإلى سيطرة الشعور العدائي على نفوس العرب الأندلسيين تجاه البربر. (ابن الخطيب، 1973م، ج1)

تدريب (4)



اختر الإجابة الصحيحة لكل عبارة من العبارات التالية:

1. إن إرسال رأس يوسف بن عبد الرحمن إلى عبد الرحمن الداخل يوحى ب:
أ. إذعان أتباع الداخل لأوامره ب. أن الداخل كان وراء اغتيال يوسف
ج. نهاية الفتن في الأندلس د. تبعية الصميل بن حاتم للداخل
2. كان مصير قاسم أخ الصميل بن حاتم عند مقابلته لعبد الرحمن الداخل:
أ. الاغتيال ب. المصالحة ج. السجن د. التعذيب
3. انطلقت أول شرارة لليمنيين بالأندلس من مدينة:
أ. قرطبة ب. إشبيلية ج. الجزيرة الخضراء د. سرقسطة
4. كانت أقوى حركات البربر ضد الأمويين بالأندلس حركة:
أ. شقنا بن عبد الواحد ب. العباس البربري
ج. سليمان بن عبد الرحمن د. تمرد تاكرنا
5. حدثت الفتنة بين بربر بلنسية وبربر سنت برية عام:
أ. 160هـ/776م ب. 161هـ/777م ج. 162هـ/778م
د. 164هـ/780م

رابعاً: ثورات سكان البلاد الأصليين

فتح المسلمون الأندلس واستقروا به في وقت كان معظم أهلها يتطلعون إلى دولة العدل والمساواة والأمن. فهل وفق المسلمون في تحقيق حلم محكوميههم ؟ وما هو تقويم الأخيرين لهم ؟.

أدار الأمويون الأندلس إدارة شبه مركزية. فقد كان يتم اختيار الوالي من قبل الخليفة بدمشق مباشرة أو بتفويض منه لواليه بمصر أو إفريقية. وقد كانت لهذا الاختيار مساوئه، إذ كان يتم اختيار الوالي من العرب، وفي العرب كان هنالك ميل إلى مضر، لانتماء الأمويين إليها. كما لم يكن هنالك اهتمام بأن يكون الوالي من عرب الأندلس، أو حتى مجرد استشارة لهم في التعيين. أما أهل البلاد الأصليين فقد استبعدوا من هذا المنصب تماماً وهذا يتنافى مع تعاليم الإسلام التي تنادي بالمساواة وتهدف في المقام الأول إلى رد الاعتبار والكرامة والعزة للإنسان وإذا كانت العناصر العربية المتضررة من هذه السياسة قد عبرت عن مشاعرها كما أسلفنا القول، فإن العناصر الأندلسية هي الأخرى لم تقف مكتوفة الأيدي، فقد ساند بعضها الثوار العرب في ثوراتهم ضد قرطبة، أملين في الحصول على بعض المكاسب السياسية والاجتماعية في بادئ الأمر. ولما آل حكم الأندلس إلى عبد الرحمن الداخل ثم لبنيه وأحفاده من بعده، لم يطرأ أي تحسن على أوضاع أهل البلاد الأصليين، على الرغم من شعور الأمويين وعلى رأسهم عبد الرحمن الداخل برغبتهم في المشاركة الفاعلة في السلطة، بل تحول وضعهم من سيء إلى أسوأ، ولذلك اشتركوا في كثير من الثورات التي قادها بعض العرب والبربر ضد الأمويين (ابن الأثير، 1966م، ج4، ج5 وابن عذاري، 1983م، ج2).

هذا بجانب الثورات التي قادوها بأنفسهم، والتي كانت تأخذ شكل عصيان مسلح أو تمرد، وتتخذ من المدن الحصينة مقراً لها، قد اشتهرت مدن معينة باحتضان تمردهم وثوراتهم كطليطلة وماردة Merida وسرقسطة. وقد بدأت ثورات الأندلسيين علانية منذ بداية عهد الحكم الرضي، واستمرت.. ولكن بطريقة غير منتظمة حتى بداية عهد الخلافة. وعلى الرغم من أنها لم تحقق أهدافها المرسومة إلا أنها قد تمكنت من إيصال رسالتها إلى

الحكام، ويتضح ذلك من مخاطبة الحكم الربضي لأهل طليطلة قائلاً: "لقد اخترت لكم [فلانا] وهو منكم، لتطمئن قلوبكم إليه، وأعفيتكم ممن تكرهون من عمالنا ومواليينا، ولتعرفوا جميل رأينا فيكم". (ابن القوطية، 1982م). والوالي المشار إليه هو عمرو بن يوسف المعروف بالمولد. وهو من مدينة وشقة Huesca، والهدف من تعيينه واضح هو امتصاص غضب الطليطليين، وفي الوقت نفسه التعرف على خصوم الدولة السياسيين وتصفييتهم. ويمكن القول إنه نجح في مهمته نسبياً. (ابن القوطية، 1982م، وابن عذاري).

ومن أبرز الثورات التي قادها أهل البلاد الأصليين ضد بني أمية بالأندلس ثورة **عمر بن حفصون** وهو من مسالمة الزمة ومن كورة تاكرنا من عمل رندة Ronda، وأول من دخل الإسلام من أسرته جده جعفر بن شتيم (ابن عذاري، 1983م، والحاك، 1991م). اختار عمر منطقة حصينة لتكون مركزاً لثورته . وهي حصن بيشتر Bobastro (ابن حيان، 1979م، ج5) - وأهدافاً أو برنامجاً سياسياً استقاها من مشاعر بني جلدته تجاه الأمويين والعرب، وآمالهم وطموحاتهم في الحياة الحرة الكريمة وقد لخصها في قوله: "طالما عنف عليكم السلطان، وانتزع أموالكم، وحملكم فوق طاقتكم، وأذلكم العرب واستعبدتكم، وإنما أريد أن أقوم بثأركم وأخرجكم من عبوديتكم" (ابن عذاري، 1983م، ج2).

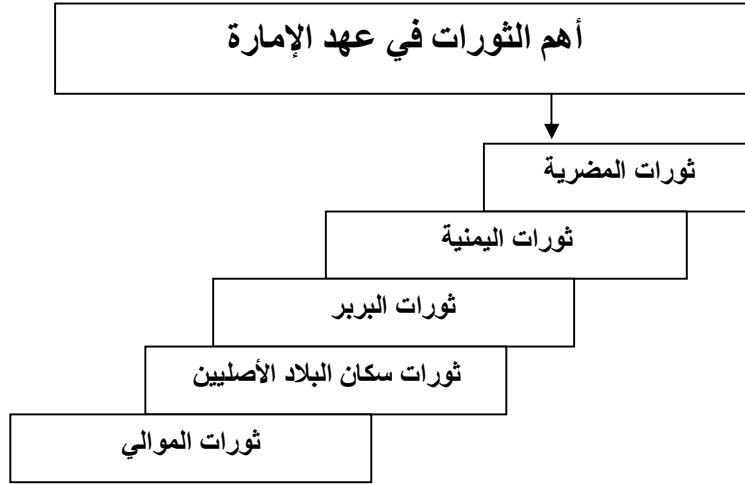
كانت بداية طلوع نجم ابن حفصون في عام 267هـ/880م حينما استطاع هزيمة عامل الأمويين في حصن ريه Reygo وتاكرنا وجهة الجزيرة الخضراء، ثم اتسع نفوذه فشمّل العديد من المناطق كجيان والبيرة وقبرة Cabra وإشبيلية (ابن حيان، 1979م، ج3، وابن عذاري، 1983م، ج2) واستمرت حركته حتى عام 315هـ/927م حيث انتزع عبد الرحمن الثالث آخر معاقلها وهو حصن بيشتر Bobastro واستسلم له حفص بن عمر بن حفصون. وقد قاد الحركة خلال هذه الفترة عمر بن حفصون (ت 16 رجب 305هـ/1 فبراير 918م) وأبنائه من بعده على التوالي جعفر (ت 13 من جمادى الآخر 308هـ/31 أكتوبر

920م) وسليمان (ت غرة ذى الحجة 314هـ 7 فبراير 928م) فحفص (ابن حيان، 1979م، ج5)

خامساً: ثورات الموالى

كان العرب قبل الإسلام يستعملون كلمة عبد للرقيق أو المملوك (ابن منظور، 1300هـ، مادة عبد، ج3) ثم جاء الإسلام فنهى عن استعمال كلمة عبد واستبدالها بكلمة فتاي وفتاتي، كما استبدل كلمتي سيد وسيدة بمولاي ومولاتي على الترتيب، غير أن الأعراف الاجتماعية قد سارت على استعمال كلمة مولى عوضاً عن كلمة عبد وإن كانت تعني لغوياً، العبد أو ماله (ابن منظور، 1300هـ، ومسلم، صحيح مسلم، ج4). أما في هذا المقرر فإن مصطلح مولى المقصود به هو السبي الذين كانوا من نصيب أسرة بني أمية الحاكمة في المشرق والأندلس، ثم أسلموا على يد أفرادها، وأصبحوا يتولونهم بالنسب (عياض، 1968م، ج3، وابن عذاري، 1983م، ج2) حسب الأعراف التي كانت سائدة وقتذاك، والتي كانت تلزم القبيلة بالدفاع عن أفرادها ومواليها.

لعب الموالى دوراً بارزاً في فتح الأندلس كغيرهم من المسلمين. كما كان لهم دورٌ أيضاً في وصول عبد الرحمن الداخل إلى السلطة. وقد حفظ لهم حكام بني أمية هذا الفضل، فأشركوهم في السلطة. ولكن العلاقة ما بين الطرفين لم تخل من الشد والجذب في بعض الأحيان، نتيجة لسوء التفاهم والشك المتبادل، والذي كانت نتائجه تعرض بعض الموالى للنفي ومصادرة الأموال من قبل الحكام (ابن الأثير، 1966م، ج4، ج6، والمراكشي، 1978م) وقيام الموالى بثورات ضد حكام بني أمية في مناطق عديدة كإشبيلية، غير أن ثوراتهم كانت أقل حدة وعنفاً من ثورات غيرهم.



تدريب (5)



بيّن صحة أو خطأ العبارات التالية:

1. بدأت ثورات سكان الأندلس الأصليين في عهد الحكم الرضي. ()
2. عرف الوالي عمر بن يوسف بلقب البربري. ()
3. أول من دخل الإسلام من أسرة بن حفصون جده جعفر بن شتيم. ()
4. لم يحفظ حكام الأندلس للموالي حقهم في الفتح. ()
5. لم تكن ثورات الموالي بالأندلس أقل عنفاً من ثورات غيرهم. ()



رتب عبارات المجموعة (أ) مع ما يناسبها من عبارات المجموعة (ب) في (ج)

المجموعة (أ)	المجموعة (ج)	المجموعة (ب)
1. أول امراء بني امية بالاندلس	()	1. المولد
2. وفاة الصميل بن حاتم	()	2. عام 571م
3. ثورة هشام بن عذرة الفهري	()	3. عبد الرحمن الداخل
4. سعيد اليحصبي	()	4. عام 144هـ / 701م
5. بدء ثورة عبد الغافر اليحصبي	()	5. عام 168هـ / 784م
6. عمرو بن يوسف	()	6. عام 156هـ / 772م
		7. المطري

3.2 العلاقات الخارجية

لم تعيش الأندلس منعقدة على نفسها في هذه الفترة، ولم يكن بمقدورها بحكم موقعها وهويتها ونظامها السياسي، فعل ذلك، وإنما كانت لها علاقاتها مع العالم الخارجي، تتميز بعضها بالطابع السلمي والمردودية الإيجابية والبعض الآخر بالصراع والاحتراق. وفيما يلي نسلط الضوء على علاقاتها مع الدولة العباسية، ودول النصارى.

أولاً: علاقاتها مع الدولة العباسية

إن العداء والمنافسة بين الأسرتين الأموية والعباسية يجعلان من المستحيل قيام علاقات ودية مباشرة بين الأندلس والدولة العباسية. ولكن هذا العداء لم يقف حاجزاً أمام حركة الحجيج الأندلسي لأداء فريضة الحج والعمرة، وطلاب العلم؛ وذلك لوعي الجانبين وفصلهما ما بين الخصومات السياسية والواجبات الدينية والعلاقات الإنسانية. وسنركز فيما يلي على تسليط الضوء على محاولات العباسيين لاستئصال الإمارة الأموية، وسعى الأمراء الأمويين إلى الاستفادة من الثقافة والحضارة المشرقية.

يمثل نجاح عبد الرحمن الداخل في تكوين إمارة أموية بالأندلس، على الرغم من بعدها عن مركز الخلافة ببغداد، خطراً على مستقبل العباسيين السياسي، وانتقاصاً لملكهم، وخرقاً لنظرية وحدة الخلافة الإسلامية المسيطرة وقتذاك، وبادرة خطيرة، لأنها قد تشجع القادة الطموحين على الاستقلال بما تحت أيديهم من أراض، ولذلك كان من الطبيعي أن يقدم خلفاء الدولة العباسية بعد أن توطد حكمهم على التفكير في القضاء على هذه الإمارة الناشئة في مهدها وقبل أن يستقل أمرها.

وكانت أول محاولات العباسيين للقضاء على الإمارة الأموية قد انطلقت في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور، الذي خطط بالاتفاق مع واليه على إفريقية للقضاء على عبد الرحمن الداخل. واختاروا لهذه المهمة **العلاء بن المغيث الجذامي**، الذي كانت له طموحات في الوصول إلى السلطة بالأندلس، ولم تكن مشاعره إيجابية تجاه الداخل. فبعث إليه أبو جعفر المنصور خطاباً عينه بموجبه واليا على الأندلس، واللواء الأسود لواء العباسيين. فبدأ الدعوة سراً للعباسيين في منطقة نفوذه بباجة Beja في غرب الأندلس في عام 146هـ/763م، ثم أعلن الثورة في العام التالي ورفع أعلام العباسيين، وتمكن من هزيمة عبد الرحمن الداخل ومحاصرته لمدة شهرين في مدينة قرمونة Carmona. ولكن الداخل تمكن بقوة عزيمته وحسن تخطيطه وتدبيره من فك الحصار وهزيمة العلاء وقتله، وقطع رأسه، وإرساله في سبط ومعه خطاب المنصور للعلاء مع أحد الحجيج الأندلسيين، وطلب منه وضعه أمام سرادق المنصور، الذي صادف أن حج في ذلك العام. فلما أحضر السبط للمنصور وفتح قال قولته الشهيرة "عرضنا هذا المسكين للقتل، والحمد لله الذي جعل بيننا وبين هذا [أي عبد الرحمن] بحراً" وسماه **صقر قريش**. (ابن الخطيب، 1956م، وابن خلدون، 1966م، ج4)

ولكن عزيمة العباسيين لم تنتن، ومحاولاتهم لم تتوقف، إذ قام **محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور** بحوك مؤامرة للقضاء على الداخل بالتعاون مع شارلمان Carlomagno ملك الفرنجة الذي كان يسعى لتأمين حدوده الجنوبية مع إسبانيا، وإحياء الإمبراطورية الرومانية بزعامته، وعبد الرحمن بن حبيب الفهري المعروف بالصقبلي، وهو

من القادة المغامرين في شمال إفريقيا، وسليمان ابن يقظان الكلبي الأعرابي، حاكم سرقسطة . قاعدة الثغر الأعلى . وهو يماني . ووضعوا خطة تقوم على عبور شارلمان جبال البورتات وتسليم سليمان له مدينة سرقسطة، وعبور عبد الرحمن في الوقت نفسه بجيوشه وأسطوله لمهاجمة الساحل الشرقي واحتلال تدمير Tudmir ثم التوجه للقضاء على الداخل وإعلان تبعية الأندلس للعباسيين وصداقة شارلمان ومخالفته لها . ولكن المؤامرة قد فشلت لمجيء ابن حبيب في الوقت المحدد وتأخر شارلمان، وتقاعس سليمان عن نجدة ابن حبيب حينما هاجمته جيوش الداخل واستنجد به ، الشيء الذي أدى إلى هزيمته والقضاء عليه . وبعد ذلك عبر شارلمان البورتات متوجهاً نحو سرقسطة وفي طريقه أخضع قبائل البشكنس ودمر عاصمتهم بنبلونة Pamplona فاستقبله سليمان خارج سرقسطة ثم توجه نحوها، غير أن الحسين بن يحيى الأنصاري قد قفل أبوابها في وجهها ومنعهم من الدخول . فأحكموا حصار المدينة . وفي هذا الأثناء أتت لشارلمان أنباء بثورة القبائل السكسونية في بلاده، فاضطر لفك الحصار والعودة سريعاً لبلده لحسمها وأخذ معه سليمان بن يقظان كرهينة إلا أن أبناءه قد تمكنوا من إنقاذه بمساعدة البشكنس وعادوا به إلى سرقسطة، فقتله الحسين بن يحيى لتعاونيه مع النصاري .

أما عن الداخل فإنه توجه نحو سرقسطة واستولى عليها في عام 165هـ/781م، وعين عليها الحسين بن يحيى ثم اغتاله في عام 167هـ/783م لتمرده عليه، وعين مكانه ثعلبة بن عبيد، (ابن عذاري، 1983م، ج2، ومجهول المؤلف، 1981م، ودوزي، 1963م) والمحاولة السابقة هي آخر المحاولات الجادة من قبل العباسيين لاستئصال الإمارة الأموية وضمها لملكهم إذ اكتفوا بعد ذلك بالمناورات . فهارون الرشيد، مثلاً عقد تحالفاً مع شارلمان؛ فرد الأمويون بالتحالف مع أعدائه البيزنطيين . (العبادي، 1978م)

ثانياً: العلاقات الثقافية

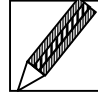
ارتبطت الأندلس بعلاقات ثقافية مع المشرق ابتداءً من فتحها في زمن الدولة الأموية. ثم استمرت هذه العلاقات بعد سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية مكانها وقيام الإمارة الأموية بالأندلس على يد عبد الرحمن الداخل. وكانت العلوم الدينية هي التي تستقطب اهتمام طلاب العلم الأندلسيين. ومن أوائل العلماء الأندلسيين الذين درسوا بالمشرق أبو عبد الله صمصمة بن سلام الشامي الأندلسي (ت 192هـ/749م)، الذي تتلمذ على الإمام أبي عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمى الأوزاعي (ت. 157هـ/773م) (ابن الفريسي، 1966م)، في أيام الأمير عبد الرحمن الداخل، وجزءاً من إمارة ابنه هشام. وتتلمذ على يديه عدد كبير من الأندلسيين (ابن الفريسي، 1966م). وهناك مجموعات أخرى من طلاب العلم الأندلسيين بالمشرق تتلمذت على الإمام مالك بن أنس، إمام دار الهجرة (93-179هـ/711-795هـ). ومن أوائل هؤلاء الفقيه أبو عبد الله زياد بن عبد الرحمن بن زياد اللخمي الملقب بشبطون، وهو أول من أدخل مذهب مالك إلى الأندلس (عياض، 1968م، ج3 والمقري، 1968م، ج2) ويحيى بن يحيى الليثي (ت. 22 جمادى الآخر 234هـ/19 فبراير 849م) الذي أخذ عن شبطون رواية الموطأ ورحل إلى المشرق، وتفقّه على مالك وتلميذه محمد بن القاسم بمصر، والرواية الموجودة والمتداولة للموطأ هي روايته. وقد لعب يحيى دوراً هاماً في نشر المذهب المالكي بالأندلس، وفي انتقال الإمارة من المذهب الأوزاعي إلى المذهب المالكي. (عياض القاضي، 1968م، ج3، و ابن الفريسي، 1966م، ج2).

ومن جانب آخر فقد ازدهرت الفنون والآداب والموسيقى في المدينة المنورة بفضل المساحة الكبيرة من الحريات التي وفرها الأمويون لأهلها، والتشجيع للمبدعين منها، لشغل أهلها عن الاهتمام بالسياسة واستمرت أحوالها في تطور في هذه الجوانب في ظل العباسيين. وعندما آلت السلطة للحكم الرضي كانت نهضتها في أوج ازدهارها، وكانت للحكم ميول نحو الأدب والموسيقى، ولذلك حاول اجتذاب المبدعين من أهل المدينة في جميع المجالات وأغراهم بالأموال والهدايا، وتوفير البيئة المناسبة لهم، لإيمانه بأن الحضارة

ملك مشاع ولا علاقة له بالخصومات السياسية. ومن الذين وفدوا إلى الأندلس من المدينة في عهده المغنية عجفاء (العبادي، 1978م).

وفي عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط استمر التواصل الثقافي بين الأندلس والمشرق، وكان الانفتاح في هذه المرة على مدينة بغداد التي شهدت نهضة كبيرة في مجال العلوم والآداب والفنون والموسيقى والاقتصاد بفضل التمازج الذي حدث بين قاطنيها الذين يتوزعون على ملل وأعراق مختلفة، واهتمام حكامها بالترجمة وتشجيعهم للمبدعين، وقد شجع الأمير عبد الرحمن المبدعين في جميع المجالات، وفتح ابواب بلاده وقصره لهم، كما شجع التجارة. ومن أبرز المبدعين البغداديين الذين التحقوا بقصر الأمير عبد الرحمن أبو الحسن على بن نافع الملقب بزرياب. وكان رحيله إلى الأندلس بسبب خلاف بينه وبين أستاذه إسحاق الموصلي. ووصل زرياب إلى الأندلس في عام 207هـ/823م. فأكرمه عبد الرحمن هو وفريقه وأسرته. وكانت لزرياب إسهاماته الواضحة في الجوانب الثقافية والحضارية بالأندلس. ففيما يخص الغناء أدخل طرقاً جديدة في بداية الأغنية ونهايتها، كما أضاف وترّاً خامساً للعود، وهو الوتر الأوسط. ومن جانب آخر فقد علم الأندلسيين كيفية تصفيف الشعر، وطرقاً جديدة في الطهي وتناول الطعام، وفقاً للأطباق المعدة وترتيبها المتعارف عليه عند متحضري المشرق، ولبس الملابس وفقاً لفصول السنة المختلفة من حيث اللون والثقيل (المقري، 1968م، ج4). وعلاوة على ما سبق فإن شعراء الأندلس في عصر الإمارة وعلى رأسهم عبد الرحمن الداخل كانوا ينسجون أشعارهم على منوال الشعراء المشاركة كأخطل وجريير والفرزدق (المقري، 1968م، ج2 وابن عذاري، 1983م، ج2).

تدريب (6)



1. "لم يؤثر العداء بين الأسرتين العباسية والأموية على حركة الحجيج وطلاب العلم من الأندلس" لماذا؟
2. متي كانت أول محاولة للعباسيين للقضاء على إمارة بني أمية بالأندلس؟
3. لماذا اغتال عبد الرحمن الداخل، الحسين بن يحيى واليه على سرقسطة؟
4. من هو أول من ادخل مذهب الإمام مالك للأندلس؟
5. "حاول الحكم الرضي اجتذاب المبدعين والفنانين للأندلس" لماذا؟
6. من هو زرياب؟ ومتي وصل إلى الأندلس؟

ثانياً: العلاقات مع دول النصارى

سبق لنا أن ذكرنا بأن العباسيين قد تحالفوا مع شارلمان ضد الأمير عبد الرحمن الداخل، وأن جيوش شارلمان دخلت الأندلس مبادرة بالعداء لأهله وأميره، ولم تتسحب منه إلا بعد أن حدث لها ما شغلها بنفسها. وكان من الطبيعي أن يدفع هذا السلوك أمراء الأندلس إلى السهر على حماية دولتهم، وخاصة من الجهة الشمالية. فكانت حملاتهم العسكرية على جليقية Galicia وغيرها من دول الشمال النصرانية (ابن عذاري، 1983م). كما كانت دول النصارى هي بدورها تشجع العصاة والمارقين على الإمارة الأندلسية وتوفر لهم الملاذ الآمن والدعم المادي، والأدبي (ابن حيان، 1979م، تحقيق أنطونيو، ملشور، ج3)، وتمارس الضغوط على رعاياها من المسلمين، وتتشدد في معاملتهم ليرتدوا إلى النصرانية، أو يغادروا ترابها أما أمراء الأندلس فلم يعاملوا النصارى القاطنين بينهم بردود أفعال رؤساء بني ملتهم وإنما التزموا بالعهد التي أبرموها معهم، ووفروا لهم كل سبل الحماية والاستقرار، وفتحوا بلادهم للقادمين إليهم من نصارى الشمال طلباً للعلم أو الأمن

أو التجارة (الحجي، 1994م). وكانوا من القوة والشهرة لدرجة أن إمبراطور بيزنطة تيوفيلوس (213-228هـ/828-848م) الذي اشتهر بتحامله على الإسلام لما فشل في إيجاد حليف قوي من أوروبا ليقف إلى جانبه في التصدي لضربات العباسيين على بلاده في آسيا الصغرى، وهجمات ريشي جزيرة إقريطش (كريت) على جزر بحر إيجه وساحل تراقيا ومدينة سالونيك، وهجمات أغالبة صقلية على سواحل البحر الأدرياتي؛ لجأ إلى الأمير عبد الرحمن الأوسط وأرسل له سفارة محملة بالهدايا، خاطباً وده وطالباً منه العون والمساعدة، وذلك في عام 225هـ/840م. فبادله عبد الرحمن الهدايا بالمثل عبر سفارة برئاسة الشاعر الأديب يحيى الغزال، وشاطره السخط على العباسيين والريشيين، وترك له الحرية لعقابهم، وتعهد له بعدم التدخل لصالحهم، ولكنه لم يلتزم له بأي دعم مادي. أما أغالبة صقلية فقد كانت وجهة نظره تجاههم مخالفة للإمبراطور، فهم في نظرة مجاهدون في سبيل الله، وتعاليم الإسلام لا تسمح له بالوقوف إلى جانبه أو السكوت عن أي عمل حربي يقوم به ضدهم (ابن حيان، 1979م، والمقري، 1968م، ج1، والعبادي، 1978م، وعنان، 1955م، ج1).

رابعاً: العلاقات مع النورمان

ظهر النورمان على مسرح الأحداث بالأندلس في عهد عبد الرحمن الأوسط وأطلقت المصادر الأندلسية عليهم اسم المجوس، وكذلك اسم المجوس الأردمانيون، (العذري، 1965م، وابن دحية، 1955م، والحميري، 1975م) أما الدراسات الحديثة فتسميهم بالنورمان Normandos، واشتهر النورمان في القرون الوسطى بنشاطهم البحري التجاري والحربي. وهم من أصول جرمانية يتوزعون على ثلاث مجموعات: السويدية والنورمانية والدينماركية (عاشور، 1964م، ج1) والمجموعة الأخيرة هي التي أغارت على الأندلس في الفترة موضع الدراسة.

أما عن أسباب دخول النورمان إلى المياه الأندلسية فهو مهاجمتهم مملكة جليقية (ليون) Leon وانزال ملكها راميرو Ramiro الهزيمة بهم، وإحراقه لعدد كبير من سفنهم، واضطرار الناجين منهم إلى الفرار بما تبقى لهم من زاد وعتاد. فنزلوا بأشبونة

Lisbona في اوائل ذي الحجة 229هـ/ أغسطس 844م. فمكثوا فيها ثلاثة عشر يوماً أغاروا خلالها على المناطق الإسلامية المجاورة لها وبعدها اتجهوا جنوباً نحو قادس Cadez وشذونة Sidoina. ثم ساروا عبر الوادي الكبير نحو إشبيلية فحلوا بها في أوائل محرم 230هـ/ سبتمبر 843م؛ فعاثوا فيها فساداً واستباحوها لمدة ثلاثة أيام، ثم ارتحلوا منها إلى طلياطة Tejada. التي تقع بالقرب منها، فاستولوا عليها، وهناك التقت بهم الجيوش الإسلامية، فألحقوا به الهزيمة في البداية، إلا أن الأمير عبد الرحمن قد تمكن بحكمته تدارك الأمر ولم الصفوف، وإعادة تنظيم الجيوش وترتيبها ومهاجمة النورمان وإلحاق الهزيمة بهم وذلك في 25 صفر 230 هـ/ 11 فبراير 844م. فانسحب الناجون منهم بمراكبهم إلى لبله Niebla ومنها إلى لشبونة فبلادهم (ابن عذاري، 1983م، وعنان، 1955م، ج1). فما هي انعكاسات ونتائج ظهور النورمان وهزيمتهم على الأندلس وعلى النورمان أنفسهم؟.

كان لظهور النورمان في المياه الإسلامية وهزيمة المسلمين لهم نتائج عديدة يمكن إجمالها في الآتي:

1. طلب ملك الدانمارك الصلح

بعد وصول فلول جيش الدانمارك المنهزم إلى بلاده شعر الملك هوريك Horic بخطورة المسلمين على بلاده ومصالحه في البحر، فأرسل إليهم سفارة محملة بالهدايا، واعتذر لهم عما سلف، وطلب منهم التعاهد على السلم. فاستجاب عبد الرحمن إلى طلبه وبادلته الهدايا بالمثل عبر سفارة بقيادة الأديب الشاعر يحيى الغزال (المقري، 1968م، ج2، وابن دحية، 1955م).

2. تسوير مدينة إشبيلية

رأى الأمير عبد الرحمن أن هجوم النورمان قد تركز على المدن غير المحصنة، ولذلك بدأ على الفور في إحاطة إشبيلية بسور عال حتى لا يتكرر ما حدث لها من خراب (الحميري، 1975م).

3. الاهتمام بصناعة السفن

الأندلس شبه جزيرة، والمحافظة على أمنها وسلامتها يتطلب امتلاك الدولة لأسطول بحري قوي، له القدرة على حماية جميع سواحلها. والهجوم النورماني لفت أنظار الأمير

عبد الرحمن إلى هذا الجانب. فبنى داراً لصناعة السفن بإشبيلية وزودها بكل المعدات اللازمة، ورجال البحر المؤهلين (العبادي، 1978م).

4. إقامة المحارس والرباطات

إن تأمين سواحل الأندلس المترامية الأطراف يتطلب إلى جانب الأسطول البحري وجود عدد من المحارس والأربطة موزعة بنسب وعلى مسافات محددة من بعضها البعض، ومزودة بالرجال والخبراء الذين تتحصر مهامهم في رصد تحركات الأعداء عند ظهورهم، وإخطار المحرس الذين يليهم، وهكذا حتى يصل الخبر إلى المحرس المكلف بإخطار جهات الاختصاص، لتبادر بالتصدي للعدو، وهذا ما فعله الأمير عبد الرحمن الأوسط، وخاصة بالنسبة للسواحل الغربية (العبادي، 1978م).

وقد كانت لإجراءاته هذه آثار إيجابية؛ ذلك لأن النورمان بعد موت الملك هوريك عام 240هـ/ 854م نكثوا بالعهد، وأعادوا الهجوم على السواحل الأندلسية في 245هـ/ 859م، وكذلك في عام 247هـ/ 861م، لكنهم لم يقدرُوا على تحقيق نجاح يذكر. هذا وقد كان هجومهم الثالث هو آخر هجوم لهم على الأراضي الإسلامية في عهد الإمارة. (ابن عذاري، 1983م، ج2، والحجي، 1994م).

تدريب (7)



1. كيف عاملت دول النصارى الخارجيين على أمراء الأندلس؟
2. هل وقف عبد الرحمن الأوسط مع الإمبراطور تيوفيليوس ضد أغالبة صقلية؟ ولماذا؟
3. متي ظهر النورمان على مسرح الأحداث بالأندلس؟
4. ما هي نتائج ظهور النورمان بالأندلس؟
5. متي أعاد النورمان هجومهم على الأندلس؟ وهل حققوا نجاحاً في ذلك؟

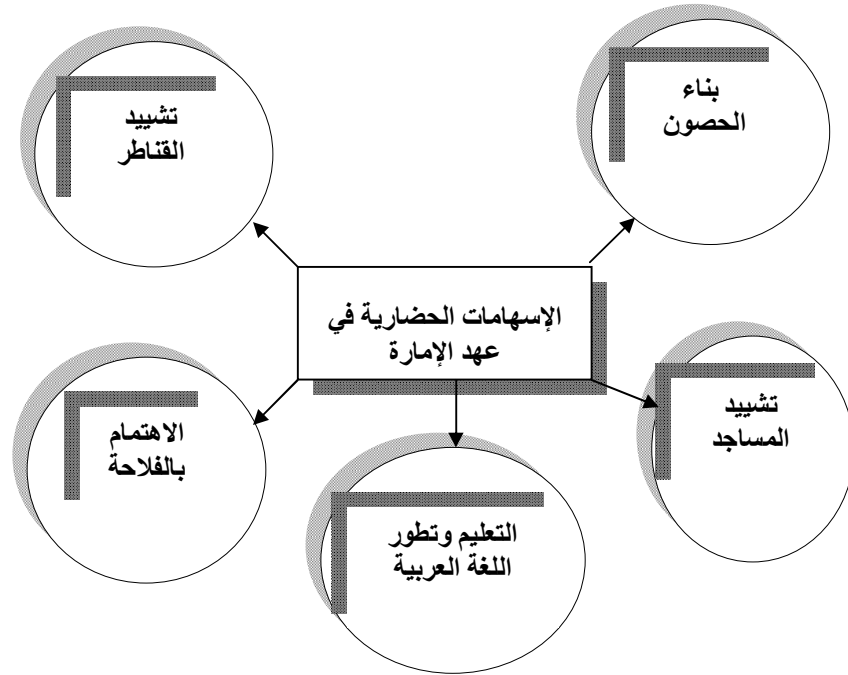
4.2 الإسهامات الحضارية

تعد فترة الإمارة فترة مهمة في تاريخ الإسلام بالأندلس، لأنها شهدت اهتماماً واضحاً بأسلمة الأندلس وتوفير البنيات الإسلامية التحتية اللازمة في حضره وقراه. وتأتي المساجد على رأس هذه البنيات حيث شيد الأمراء والخاصة عدداً من المساجد التي لا زالت آثار بعضها موجودة إلى اليوم كمسجد قرطبة الجامع، الذي توالى الأمراء على توسعته وتحسين بنيانه، والاهتمام بصومعته (ابن عذاري، 1983م، ج2). وإلى جانب المساجد شيّدوا القناطر واهتموا بترميمها كقنطرة: قرطبة، وقنطرة طليطلة. وبنوا الحصون والمدن الجديدة كمدينة مرسية Murcia وأحاطوها بالأسوار. وأنشأوا الدور لصناعة السفن، وجلبوا لها الأخشاب الجيدة من أماكن الأندلس المختلفة كطرطوشة Tortosa.

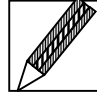
واهتموا بالفلاحة، وجلبوا للأندلس الغروس والبذور لأنواع الفواكه المختلفة كالرمان، واهتموا بتوفير المياه، وابتدعوا طرقاً فنية لإجرائها، كما حسّنوا الوسائل المتبعة كالقنوات، وشمل الاهتمام مياه الشرب والفلاحة. وتمكن العلماء من الوصول إلى صناعة الأواني الزجاجية، وإلى عمل الميقاتة (الساعة) لمعرفة أوقات الصلاة.

وكان هذا التطور الذي حدث على جميع هذه الأصعدة نتيجة لتشجيع الأمراء للعلم والعلماء وتوفير البنى الأساسية للتعليم، وضروريات الحياة للقائمين عليه. وكانت اللغة العربية هي لغة الدولة الرسمية ولغة التعليم حتى بالنسبة لغير المسلمين، وذلك لأنها لغة القرآن، وبدونها لا يستطيع المؤمن التواصل مع القرآن والسنة النبوية الشريفة وسيرة السلف الصالح، وكذلك لأن توحيد اللغة من شأنه إحداث التقارب والتفاهم والاندماج بين مكونات المجتمع المختلفة (المراكشي، 1978م، وابن عذاري، 1983م، والمقري، 1968م، ج1، ج3، والحميري، 1975م).

ومن العوامل التي ساعدت أيضاً على الاستقرار والتقدم النسبي الذي حدث في الأندلس في هذه الفترة محاولة معظم الأمراء الالتزام بالشرع، وبسط الأمن، وتوخي العدل والمساواة، والاهتمام بالشرائح الاجتماعية الضعيفة، واستقلالية القضاء (ابن القوطية، 1982م، وعياض، 1968م، ج3، والمقري، 1968م، ج1)



تدريب (8)



1. هات مثال لمسجد شيد بالأندلس في عصر الإمارة؟
2. هات مثال لقنطرة شيدت بالأندلس في عصر الإمارة؟
3. مثل لمدن شيدت بالأندلس في عصر الإمارة؟
4. ما هي اللغة الرسمية المعتمدة بالأندلس في عصر الإمارة؟
5. ما هي العوامل التي أدت إلى التقدم النسبي بالأندلس؟

أسئلة للتقويم الذاتي



أجب عن الأسئلة التالية

1. "قام أبو جعفر المنصور وابنه محمد المهدي من بعده بحوك مؤامرات لأجل القضاء على الإمارة الأموية الناشئة بالأندلس." ناقش ذلك الأسباب والأدوات والنتائج.
2. "انفتحت الأندلس في عهد الإمارة على الحضارة المشرقية على الرغم من العداء السياسي بين الأسرتين الحاكمتين الأموية بالأندلس والعباسية ببغداد. وكان لهذا الانفتاح آثار إيجابية في الجوانب الدينية والثقافية والاجتماعية بالأندلس" وضح.
3. "تعرضت الأندلس في عصر الإمارة إلى هجوم ولأول مرة من قبل النورمان." عرف بالنورمان وبهجومهم على الأندلس والنتائج التي ترتبت عليه.

3. عصر الخلافة 316-399هـ/929-1008م

عصر الخلافة عصر حافل بالأحداث على المستويين الداخلي والخارجي، وهو ثمرة لجهد طويل ابتدأه المسلمون منذ الفتح الإسلامي للأندلس في عام 92هـ/711م في ظل أمويي المشرق، ثم واصله أحفادهم، وبصورة مباشرة بعد أن سقطت دولتهم بالمشرق، وتمكن عبد الرحمن الداخل من إحيائها بالأندلس. وقد قيص الله في هذه الفترة للأندلس خلفاء أقوياء حافظوا على وحدتها ونموها وتطورها في الداخل، ورفعوا اسمها عالياً وهيبتها في الخارج.

ويحتاج هذا العصر في دراسته لمجلدات ومجلدات، ولذلك فإننا سنقتصر في حديثنا على محورين، نحسب بأنهما سيشكلان نافذة لتطل من خلالها على هذا العصر، وهما: التعريف بخلفاء عصر الخلافة، والعلاقة ما بين الخليفة عبد الرحمن الثالث والفاطميين.

1.3 التعريف بخلفاء عصر الخلافة

ابتدر عصر الخلافة الأمير عبد الرحمن الثالث بن محمد بن الأمير عبد الله. وكانت بداية إمارته في عام 300هـ/912م، ووقتها لم يتجاوز الثالثة والعشرين من العمر. والأندلس في هذه الفترة تعج بالفتن، وتمزقت وتقطعت إلى إمارات صغيرة، على أساس عنصري، متنافسة ومتناحرة فيما بينها. فابتدر عهده مخاطباً الثوار في جميع أنحاء الأندلس داعياً لهم إلى نبذ الفرقة ومرغباً لهم في الدخول في الطاعة والجماعة، ومحذراً لهم من مغبة التمادي في الشقاق والفرقة، فاستجابوا في معظمهم له عدا عمر بن حفصون، الذي أصر على التمرد والثورة. فاضطر عبد الرحمن للدخول معه في مصادمات حربية، وتكررت غزواته له، ولم تتوقف بوفاة ابن حفصون عام 305هـ/918م وإنما استمرت في عهد أبنائه، لأنهم ساروا على درب والدهم، حتى آخرهم حفص الذي استسلم له بعد أن أمنه في عام 315هـ/928م فأسكنه قرطبة (ابن حيان، 1979م، ج5).

وباستسلام حفص هدأت الجبهة الداخلية وتماسكت، ولكن الأندلس كانت مهددة بأخطار خارجية أخطرها الخطر الفاطمي وذلك لأن الفاطميين منذ أن استولوا على السلطة

بإفريقية في عام 297هـ/909م تطلعت أنظارهم إلى الأندلس، وتسلسل دعائهم سراً إليها، وشجعهم على ذلك خلو أعناق أهلها من البيعة لأي خليفة. ففطن عبد الرحمن إلى هذه الثغرة، وعمل على سدها فأعلن نفسه خليفة للمسلمين في يوم الجمعة غرة ذي الحجة 316هـ/929م. ثم أرسل منشوراً في اليوم التالي لعماله في جميع المدن والكور لتنتم مخاطبتهم له باللقب الجديد، ثم أضاف إلى نفسه لقباً آخر وهو الناصر لدين الله، أمير المؤمنين، وأمر بإثباته في العملة والطرار (ابن حيان، 1979م، ج5، وابن عذاري، 1983م، ج2).

ومن جانب آخر فقد قام الناصر لدين الله بحملات جهادية ضد ممالك الشمال الأسبانية، وأمن حدوده المتاخمة لها، وأرهب ملوكها وحكامها، فهابوه، وجاءت رسل بعضهم إليه طالبة الصلح والمهادنة كملك جليقية (ليون)، وصاحب سردانية (ابن حيان، 1979م، ج5)، وخطب وده ملك القسطنطينية (ابن عذاري، 1983م، ج2).

أما على الصعيد الداخلي فإن الناصر أولى اهتماماً خاصاً بالعلم والعلماء، فأصبحت دولة كعبة للعلماء. ومن العلماء الذين وفدوا إليها من المشرق أبو علي الغالي صاحب كتاب الأمالي. وأعطى عبد الرحمن العمارة والتمدن اهتمامه أيضاً، فبنى مدينة الزهراء بالقرب من قرطبة لتكون عاصمة للأندلس، ومدينة ألمرية Almeria بشرق الأندلس واهتم بالمساجد، وأولى مسجد قرطبة عناية خاصة (ابن حيان، 1979م، ج5، والحميري، 1975م، وابن عذاري، 1983م، ج2).

في عام 350هـ/966م توفي الناصر لدين الله، وخلفه ابنه الحكم المستنصر. ويمكن القول إن عهد المستنصر على المستوى الداخلي كان امتداداً لعصر والده من حيث استتباب الأمن، والاهتمام بالبناء والتعمير. أما على المستوى الخارجي فقد حافظ المستنصر على هيبة الدولة، وأمن حدودها المتاخمة للأعداء، وتصدى وبخزم وقوة لهجمات النورمان التي تكررت على الأندلس في عهده (ابن عذاري، 1983م، ج2، و ابن خلدون، 1966م ج4).

وتتميز الحكم على غيره من حكام بنى أمية بحب العلم، وكثرة الاطلاع، ومجالسة العلماء، واقتناء الكتب، وخاصة النادر منها، والميل إلى الاطلاع على كتب الفلسفة وعلم النجوم، وربما يعود هذا الاهتمام ووجود الوقت لإشباعه لتمتع الأندلس باستقرار نسبي في عهده (صاعد الأندلسي، بدون تاريخ).

وفي عام 366هـ/976م توفي الحكم فخلفه ابنه هشام المؤيد بالله، وهو طفل لم يبلغ الحلم بعد، وكانت السلطة الحقيقة في عهده في يد الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر القحطاني (صاعد الأندلسي، بدون تاريخ). ولذلك لم يعتبر بعض المؤرخين المحدثين فترة هشام امتداداً للخلافة الأموية، وإنما أطلقوا عليها مصطلح، الدولة العامرية. وفي هذه الفترة شهدت الأندلس استقراراً نسبياً في الداخل، واهتماماً بالبناء والتعمير، فبنى الحاجب المنصور مدينة الزاهرة بالقرب من قرطبة لتكون حاضرة للأندلس عوضاً عن قرطبة الأموية، وشجع العلم والعلماء. وعلى المستوى الخارجي فإن المنصور قام بأكثر من خمسين غزوة ضد دول النصارى الإسبانية في الشمال، كان النصر حليفه فيها أجمعين. فكانت النتيجة هيبة النصارى له ولدولته. وفي 3 بقين من رمضان 392هـ/10 أغسطس 1002م توفي المنصور، وخلفه ابنه عبد الملك المظفر. (المراكشي، 1978م، وابن بسام، 1978م، ق 4، ج 1) وسار عبد الملك على سياسة والده نفسها في الغزو والإحسان إلى الخليفة هشام المؤيد والإبقاء عليه محجوباً، وفي سياسة الدولة والدفاع عن حدودها (ابن بسام، 1978م).

وفي صفر 399هـ/نوفمبر 1008م توفي عبد الملك المظفر، وخلفه أخوه عبد الرحمن شنجول. وقد كان عبد الرحمن أقل حصافة من سابقه؛ فخدعته أبهة الملك، والتأييد الظاهري الذي تتمتع به أسرته في الأوساط العامة والخاصة، فاعتقد أن الأندلس ستقبله خليفة لها، وغاب عن ذهنه ما كان معلوماً لسابقه وهو إن الأمويين، مهما ضعف حالهم، أصبحوا رمزاً لوحدة الأندلس وسيادته، وأن استبعادهم عن السلطة سيؤدي إلى ظهور المستبدين عن الخلافة من أفراد البيت الأموي بحكم الأسس والضوابط الداخلية المنظمة لتداول السلطة بينهم، وظهور المتطلعين إلى السلطة من العناصر الأخرى الذين استبعدتهم

نظرية الخلافة السنية والشيعة، كالبربر والصقالية وعرب اليمن...، على السطح؛ مطالبين بالخلافة، وساعين بكل السبل للوصول إليها. فتلقب بألقاب الخلافة، ومارس ضغوطاً على هشام ليصدر مرسوماً بتعيينه ولياً للعهد، فكان له ما أراد في عام 399هـ/1009م (ابن حزم، 1981م، ج2، وابن الكردبوس، 1975م). فكان هذا المرسوم سبباً في نهايته، إذ اشتعلت نيران الفتنة بالأندلس، وتهيأت الفرصة لأحد أفراد البيت الأموي الحاقدين على العامريين، لقتل عبد الملك بن الحاجب المنصور لوالده، للتأثر منهم والجلوس مكانهم، وهو محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر المتلقب بالمهدي، فاتتهزها وأعلن الثورة ضد شنجول، وهزمه وقتله وصلبه في 8 جمادى الآخرة عام 399هـ/18 يونيو 1009م. (ابن الأبار، 1963م، وابن حزم، 1981م، ج2، وابن عذاري، 1983م، ج2) وبذلك أسدل الستار على الدولة العامرية وعلى الخلافة الأموية، فعلياً في الأندلس ودخلت الأندلس في عصر جديد.

تدريب (9)

1. هل استجاب ثوار الأندلس لنداء أول الخلفاء عبد الرحمن الناصر بالتخلي عن الفتن؟
2. متى بدأت إمارة عبد الرحمن الثالث ومتي أعلن نفسه خليفة للمسلمين؟
3. ما هي اكبر الأخطار الخارجية التي هددت الأندلس في عهد عبد الرحمن الثالث؟
4. بماذا تميز الحكم بن المستنصر عن غيره من الخلفاء الأمويين بالأندلس؟
5. من هو الأموي الذي تسببت ثورته في إنهاء الدولة العامرية والخلافة الأموية بالأندلس؟



2.3 العلاقة ما بين الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله

والفاطميين

في عام 297هـ/ 909م تمكن عبيد الله المهدي من تأسيس دولة شيعية بإفريقية عرفت بالدولة الفاطمية، وإعلان نفسه خليفة لها بمساعدة الداعية أبي عبد الله الشيعي وقبيلة كتامة الصنهاجية، واتخذ رقادة عاصمة له (العبادي، 1978م). وفي عام 300هـ/ 912م بدأ بناء مدينة المهدية، وبنى فيها داراً لصناعة السفن، ثم ارتحل إليها بعد اكتمالها واتخذها عاصمة له (الحميري، 1975م). وبعد أن استقرت أوضاع المهدي بدأ هو وخلفاؤه الاهتمام بأمر الأندلس، وإعداد الخطط لزعة أمنه، ليسهل عليهم ضمه إلى ملكهم، فساندوا عمر بن حفصون، وبادلوه السفارات، **ودعا لهم** فيما كان تحت أيديه من أراض. واستقطبوا الشخصيات المعارضة لسياسة الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله كعلي بن حمدون المشهور بابن الأندلسي، وابنه جعفر (مكي، 1954م، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد الثاني، 1954م، و R.Dozy, Histoire de Musulmanes d, Espagne, t.11)، كما أرسلوا عدداً من الجواسيس من بينهم ابن حوقل (الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج1).

أما بالنسبة لردود الفعل الأندلسية على تحرشات الفاطميين فإن الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله اتخذ عدداً من الإجراءات، فاهتم بصناعة السفن، وتأمين وتحصين المدن الساحلية المطلّة على المغرب كالجزيرة الخضراء وجزيرة طريف (Tarifa) (ابن عذاري، 1983م، ج2). و(Terrasse, Histoire de Maroc, T,I)، واحتل عدداً من الثغور المغربية المطلّة على بحر الزقاق وحصنها كمليلة Melilla وسبتة وشحنها بالرجال (البكري، بدون تاريخ، وابن عذاري، 1983م، ج2)، واستقطب أبا يزيد الخارجي الثائر على الفاطميين بركة القيروان، وقدم له الدعم المادي والأدبي (ابن عذاري، 1983م)، وصاحب المغرب الزعيم المكناسي موسى بن أبي العافية المنشق عن الفاطميين (ابن عذاري، 1983م)، هذا إضافة إلى نجاحه في كسب تأييد رؤساء دولتي الأدارسة بأصيلا

وبني صالح القاطنين في منطقة الريف في الجزء الشمالي من المغرب الأقصى، والدولة الإخشيدية وفقهاء المذهب المالكي بمصر، وتحسين علاقاته مع الدولة البيزنطية (مكي، 1954م، وابن عذاري، 1983م).

وبعد قيام عبد الرحمن بكل هذه الإجراءات الوقائية، وتأكده من قوة موقفه دخل مع الفاطميين في صدام عسكري وحقق عليهم كثيراً من الانتصارات، وتمكن من الحفاظ على المناطق الاستراتيجية التي انتزعها منهم (ابن عذاري، 1983م). وبهذه السياسة تمكن عبد الرحمن من التصدي للخطر الفاطمي وصدّه عن بلاده. وبعد رحيل المعز لدين الله لمصر واتخاذه القاهرة عاصمة له انشغل الفاطميون بمشاكل المشرق وزهدوا في الأندلس.

أسئلة للتقويم الذاتي



1. عرف بإيجاز خلفاء بني أمية بالأندلس.
2. "اتخذ عبد الرحمن الناصر لدين الله عدداً من الإجراءات للتصدي للخطر الفاطمي بالأندلس." وضح.

الخلاصة

عزيزي الدارس، في الوحدة السابقة (الأندلس من عصر الولاة إلى عصر الخلافة) درسنا أولاً: عصر الولاة ووقفنا على أهم الأحداث التي تخللتها، وهي جهاد المسلمين وسير الفتوحات الإسلامية فيما وراء جبال البورتات، والذي كانت معركة بلاط الشهداء أهم أحداثه، والفتن التي اجتاحت المغرب والأندلس في نهاية عصر بني أمية بالمشرق، ورأينا كيف مهدت هذه الفتن الطريق إلى عبد الرحمن الداخل لتكوين إمارة أموية بالأندلس. ومن ثم أصبحت لنا صورة واضحة عن عصر الإمارة الأموية وعرفنا بالأمراء الذين تداولوا السلطة والفتن التي اجتاحت الأندلس في هذا العصر، وعلاقات الأندلس بالعالم الخارجي، وأهم الإنجازات في عصر الإمارة. وشرحنا لك عصر الخلافة فعرفنا بالخلفاء الذين حكموا خلال هذا العصر وسياسة الناصر لدين الله تجاه الخطر الفاطمي. نأمل أن تكون قد أفدت من هذه الوحدة، ونرجو الرجوع لأهدافها للتأكد من تحققها.

لمحة مسبقة عن الوحدة التالية

سندرس معاً في الوحدة التالية عصر ملوك الطوائف بالأندلس، وذلك بالتعرف أولاً على ظهور الطوائف في الأندلس وأسباب ظهورها. ثم نتطرق إلى ثلاث دول كنموذج لدول الطوائف هي دولة بني حمود ومملكة إشبيلية ومملكة غرناطة. وذلك بالوقوف على نشأة كل منها، مع التركيز على العلاقات الخارجية لبعضها والمساهمات الثقافية لتلك الدول.

نتمنى لك الفائدة من تلك الوحدة.

إجابات التدريبات

تدريب (1)

1. بدأ عام 95هـ / 714م، وانتهى عام 138هـ / 755م.
2. الطرق هي: والي القيروان . الخليفة الأموي . أهل الأندلس.
3. الأرض الكبيرة أو بلاد الغال (فرنسا الحالية).
4. السمع بن مالك الخولاني.
5. فالنس، وفييني، وليون.
6. لانشغال خليفته بإطفاء الفتن والاضرابات.
7. في صفر 112هـ / مايو 730م.
8. في رأي المراجع الأوربية: النقي في مدينة تور علي نهر اللوار أو مدينة بواتية على نهر كلين. أما المصادر العربية فتري أنهما النقي في بلاط الشهداء.
9. عام 123هـ / 741م، في مدينة قرقشونة.
10. لفقر المناطق التي مرت بها الجيوش الإسلامية.

تدريب (2)

1. في القيروان؛ أثناء إقامته هناك، ونشره في طنجة بين أهله.
2. عام 123هـ / 714م، عند أحواز طنجة، وسميت المعركة بمعركة الأشراف.
1. هو كلثوم بن عياض القشيري، وقتل قرب طنجة.
2. بالسياسة العادلة.
3. عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك.

تدريب (3)

- عبد الرحمن الداخل . 138 . 172هـ / 756 . 796
- هشام بن عبد الرحمن الداخل . 172 . 180هـ / 796 . 796م.
- الحكم الرضي . 180 . 206هـ / 796 . 822م.
- عبد الرحمن الثاني بن الحكم الرضي . 206 . 238هـ / 822 . 852م.

تدريب (4)

1. (ب) 2. (أ) 3. (ج) 4. (أ) 5. (د)

تدريب (5)

1. العبارة صحيحة. 2. العبارة خطأ. 3. العبارة صحيحة.
4. العبارة خطأ. 5. العبارة خطأ.

تدريب (6)

1. لوعي الجانبين وفصلهما بين الخصومة السياسية والواجبات الدينية والعلاقات الإنسانية.
2. في عهد أبي جعفر المنصور.
3. لتمرده عليه.
4. أبو عبد الله زياد بن عبد الرحمن.
5. لأن له ميولاً نحو الأدب والموسيقى.
6. هو عبد الرحمن أبو الحسن علي بن نافع، ووصل إلى الأندلس في عام 207هـ/823م.

تدريب (7)

1. شجعتهم ووفرت لهم الملاذ الآمن والدعم المادي والأدبي.
2. لا، لأن تعليم الإسلام لا تسمح بذلك.
3. في عهد عبد الرحمن الأوسط.
4. أ. طلب ملك الدانمارك الصلح مع عبد الرحمن الأوسط
- ب. تسوير مدينة إشبيلية
- ج. الاهتمام بصناعة السفن
- د. إقامة المحارس والرباطات.
5. في عام 245هـ/859م، ولم ينجحوا في تحقيق مكاسب.

تدريب (8)

1. مسجد قرطبة الجامع.
2. قنطرة قرطبة . قنطرة طليطلة.
3. مدينة مرسية.
4. اللغة العربية.
- 5.
- أ. التزام معظم الأمراء بالشرع
- ب. بسط الأمن
- ج. توخى العدل والمساواة
- د. الاهتمام بالشرائح الاجتماعية الضعيفة
- هـ. استقلالية القضاء.

تدريب (9)

1. نعم، ما عدا عمر بن حفصون.
2. بدأت إمارته عام 300هـ / 912م، وأعلن خلافته عام 316هـ / 919م.
3. الخطر الفاطمي.
4. بحب العلم، وكثرة الإطلاع، ومجالسة العلماء، واقتناء الكتب النادرة، والميل إلى الإطلاع علي كتب الفلسفة وعلم النجوم.
5. هو محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر.

مسرد المصطلحات

La Terre Majeure ما وراء البورتات الأرض الكبيرة

Yudo	[ملك] يودو
Septimania	[مدينة] سبتمانيا
Aarborn	[مدينة] أربونة
Aquitania	[إمارة] أكيثانيا
Toulouse	[مدينة] طولوشة
Rodanus	[نهر] وادي رودنة
Purgundia	[ولاية] برغونة
Bordeaux	[مدينة] بوردو
Tours	[مدينة] تور
Poitiers	[مدينة] بواتية
Clain	[نهر] كلين
Vienne	[نهر] فيين
Fosse leroi	[قرية] خندق الملك
Catalunia	[مدينة] قطلونيا
La marca hispanica	الثغر الإسباني
Barcelona	[مدينة] برشلونة
Secunda	[مدينة] شقندة
Almunecar	ميناء المنكب
Torrax	[حصن] طرش
Guadquivir	[نهر] الوادي الكبير
Amluzara	[مدينة] بلدة المصاراة
Zaragoza	[مدينة] سرقسطة

Sidonia	[مدينة] شذونة
Huesca	[مدينة] وشقة
Tudmir	[مدينة] تدمير
Coria	[مدينة] قورية
Valencia	[مدينة] بلنسية
Moron de la frontera	[مدينة] مورور
Merida	[مدينة] ماردة
Bobastro	[حصن] ببشتر
Reyyo	[حصن] ريه
Carmona	[مدينة] قرمونة
Carlomagno	[ملك] شارلمان
Pamplona	[مدينة] بنبلونة
Galicia	[مدينة] جليقية
Normandos	النورمان
Leon	[مملكة] ليون
Ramiro	[ملك] راميرو
Lisbona	[مدينة] أشبونة
Murcia	[مدينة] مرسية
Tortosa	[مدينة] طرطوشة
Almeria	[مدينة] ألمرية
Tarifa	[جزيرة] طريف
Melilla	[حصن] كمليله

المصادر و المراجع

المصادر و المراجع العربية

1. ابن الأبار، الحلة السيرة. القاهرة 1963م.
2. ابن الأثير، أبي الحسن على بن محمد بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ. ج 4، ج 5، ج 6، ج 7، بيروت، 1966م.
3. ابن الخطيب، أعمال الأعلام. تحقيق إ. ليفي بروفنسال، بيروت، 1956م.
4. ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة. ج 1، القاهرة، 1973م.
5. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس. ج 1، القاهرة 1954م.
6. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس. القاهرة، 1982م.
7. ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. ق 4، ج 1، ليبيا. تونس، 1978م.
8. ابن حزم، رسائل ابن حزم. تحقيق إحسان عباس، ج 2، بيروت، 1981م.
9. ابن حيان، المقتبس. تحقيق محمود علي مكي، القاهرة، 1979م.
10. ابن خلدون، أبو عبد الرحمن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر في ملوك العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج 6، بيروت، 1966م.
11. ابن دحية، المطرب من أشعار أهل إفريقية والمغرب، القاهرة، 1955م.
12. ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله، فتوح مصر والمغرب، القاهرة، 1961م.
13. ابن عذاري، البيان المغرب.... ج 2، بيروت، 1983م.
14. ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد ابن كرم، لسان العرب، ج 3، بيروت، 1300هـ.
15. البكري، أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ج 2، بغداد، (بدون تاريخ).
16. الحايك، سيمون، عمر بن حفصون، بيروت، 1991م.

17. الحجي، عبد الرحمن علي، الحضارة الإسلامية في الأندلس، بيروت، 1969م.
18. الحميري، ابن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، بيروت، 1975م.
19. العبادي، أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، بيروت، 1978م.
20. العذري، نصوص عن الأندلس، في كتابه ترصيع الأخبار...، تحقيق عبد العزيز الأهواني، مدريد، 1965م.
21. المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، ج 2، ج 4، وج 5، بيروت، 1968م.
22. دوزي، تاريخ مسلمي أسبانيا. ترجمة العبادي أحمد مختار وآخرين، القاهرة، 1963م.
23. رينو، جوزيف، تاريخ غزوات العرب. ترجمة شكيب أرسلان، بيروت، 1966م.
24. زيتون، محمد محمد، المسلمون في المغرب والأندلس، القاهرة، 1984م.
25. سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، بيروت، 1962م.
26. عاشور، عبد الفتاح، أوروبا في العصور الوسطى، ج 1، القاهرة، 1964م.
27. عنان، محمد عبدالله، دولة الإسلام في الأندلس، ج 1، القاهرة، 1955م.
28. عياض، القاضي، ترتيب المدارك....، ج 3، الرباط، 1968م.
29. مجهول المؤلف، 1981م أخبار مجموعة في فتح الأندلس. بيروت، 1981م.
30. مسلم، صحيح مسلم. ج 4، القاهرة، 1929م.
31. مكي، محمود علي، التشيع في الأندلس. صحيفه معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1954م.

المراجع الأجنبية

32. E.Levi Provencal , **Histoire de l, Espagne. Musulmane**, vol.1, Paris, 1973.
33. Terrasse, Henri, **Histoire du Maroc**, T.1.



محتويات الوحدة

الصفحة	الموضوع
110	المقدمة
110	تمهيد
111	أهداف الوحدة
112	1. ظهور ملوك الطوائف وأسبابه
115	2. دولة بني حمود
115	2. 1 نسب بني حمود وظهورهم على مسرح الأحداث بالأندلس
116	2. 2 دولة علي بن حمود
117	2. 3 دولة أبي القاسم بن حمود
118	2. 4 دولة يحيى بن علي بن حمود
119	2. 5 دولة بني حمود بمالقة
122	2. 6 ملاحظات عامة عن دولة بني حمود
124	3. مملكة إشبيلية
124	3. 1 فترة القاضي أبي القاسم محمد بن إسماعيل
125	3. 2 فترة المعتضد بالله عباد بن محمد
126	3. 3 فترة المعتمد بن عباد
128	3. 4 العلاقات السياسية لدولة إشبيلية
132	3. 5 إسهامات إشبيلية في الحركة الثقافية
137	4. دولة غرناطة
137	4. 1 أسباب هجرة بني زيري إلى الأندلس
139	4. 2 التعريف بحكام غرناطة
143	4. 3 الدور الثقافي لليهود بغرناطة

146	الخلاصة
146	لمحة مسبقة عن الوحدة التالية
147	إجابات التدريبات
150	مسرد المصطلحات
151	المصادر و المراجع

المقدمة

تمهيد

عزيزي الدارس، مرحباً بك إلى هذه الوحدة (عصر ملوك الطوائف بالأندلس) وهي الوحدة الثالثة من هذا المقرر. يعد عصر ملوك الطوائف بالأندلس العصر الذهبي بالنسبة للثقافة الأندلسية، على الرغم من أنه من الناحية السياسية يدخل في عداد مراحل الضعف التي مر بها هذا البلد خلال الفترة الإسلامية، ولذلك فإن دراسته مهمة لك؛ لأنها تمكنك من معرفة الجوانب التي أدت إلى الازدهار الثقافي، وتلك التي أدت إلى الضعف السياسي.

تنقسم الوحدة إلى أربعة أقسام رئيسة، إذ ندرس في القسم الأول ظهور ملوك الطوائف وأسبابه. وفي الأقسام المتبقية سيتم التركيز على ثلاث دول تعد من الناحية السياسية والاجتماعية أهم دول الطوائف. وهي دولة بني حمود في القسم الثاني، إذ نتعرف على نسبهم، وظهورهم على مسرح الأحداث بالأندلس، و التي ضمت كلاً من دولة علي بن حمود والقاسم بن حمود بقرطبة ودولة بني حمود بمالقة، فملاحظات عامة عن هذه الدولة. ومملكة إشبيلية في القسم الثالث والتي تعاقب على حكمها القاضي أبو القاسم وابنه المعتضد، والمعتضد بن المعتضد، ومن ثم نتناول علاقاتها السياسية مع مملكة غرناطة، ومع قشتالة، وإسهاماتها في الحركة الثقافية بالأندلس. ثم مملكة غرناطة في القسم الرابع وفيها سيتمحور الحديث عن بعض أفراد أسرة بني زيري الحاكمة بإفريقية وهجرتهم إلى الأندلس ونتائجها والتعريف بحكام غرناطة والدور الثقافي ليهود غرناطة.

عزيزي الدارس، ستجد داخل هذه الوحدة مجموعة من أسئلة التقويم الذاتي والتدريبات والأنشطة بجانب بعض الخرائط، وهي تعينك في فهم هذه الوحدة ومرحباً بك ثانيةً وتمنياتنا لك بأن تستفيد من دراسة هذه الوحدة، ونأمل أن تساعدنا في تنقيحها وتطويرها.

أهداف الوحدة



عزيزي الدارس، بعد فراغك من دراسة هذه الوحدة ينبغي أن تكون قادراً على أن:

1. تشرح الظروف التي أدت إلى ظهور ملوك الطوائف.
2. تبين طريقة قيام دولة بني حمود، وأهم أحداث التي حدثت بها الدولة.
3. تتعرف على حكام إشبيلية، وتصف علاقات المملكة الخارجية ومساهماتها الثقافية.
4. تعرّف بنموذج دولة غرناطة، وحكامها، والنفوذ الخارجي لها.

1. ظهور ملوك الطوائف وأسبابه

أصبحت الأندلس بعد أن تم افتتاحها بواسطة الأمير موسى بن نصير وقائده طارق بن زياد في عام 92هـ / 711م، أصبحت ولاية تابعة للدولة الأموية بدمشق، ويحكمها وال يتم تعيينه من مركز الخلافة بدمشق أو بواسطة والى إفريقية بالقيروان (المراكشي، 1978م، وابن عذاري، 1983م، ج2).

وفي عام 138هـ / 756م استطاع عبد الرحمن الداخل أن يستولى على السلطة بالأندلس وأن يعيد الأندلس لوضعها السابق كإمارة أموية، وأن يجعلها مستقلة عن الدولة العباسية في بغداد، ويتداول حكمها أمراء من أسرته، ثم أخذ نظام الحكم يتطور فيها على يدهم وفقاً للمناخ السياسي الداخلي والمناخ السياسي الخارجي المحيط بها. وفي عام 316هـ / 929م كانت الظروف السياسية مهيأة لانتقال الأندلس إلى خلافة، فانتزها الأمير عبد الرحمن الثالث وأعلن نفسه خليفة للمسلمين (المراكشي، 1978م، وابن عذاري، 1983م، ج2) وبذلك تحولت إمارة الأندلس إلى خلافة. تعد فترة الخليفة عبد الرحمن الثالث (300-350 هـ / 912-961م) وفترة ابنه المستنصر من بعده (350-366 هـ / 961-976م) من أزهى فترات الحكم الإسلامي بالأندلس (ابن عذاري، 1983م، ج2).

وبعد وفاة الحكم خلفه ابنه هشام المؤيد بالله، الذي كان وقتذاك صبياً لم يبلغ الحلم بعد، فظهرت في الساحة السياسية شخصية سياسية قوية استغلت هذه الظرفية ووضعيتها كوصي على هشام فاستبدت بالسلطة دونه، وحجبته عن الأنظار، ولكنها مع ذلك ظلت تظهر له الاحترام، وتدير دفة الحكم باسمه، هذه الشخصية هي الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر (ابن الكردبوس، 1975م). وعلى الرغم من أن فترة المنصور (366هـ - 392هـ / 976-1002م) وابنه عبد الملك المظفر من بعده (392هـ - 399 / 1002-1009م) تعتبر امتداداً لفترات القوة بالأندلس، إلا أنها تمثل سابقة خطيرة، وامتداداً لذلك الصراع الذي كان سائداً بالأندلس بعد الفتح الإسلامي بها بين اليمينية والمضرية حول السلطة، لأن المنصور ينتمي إلى العنصر اليميني (ابن خلدون، 1966م،

ج3) إلا أن الفارق بينهما هو اتخاذ الأخير للخيار السياسي كوسيلة للوصول إلى أهدافه عوضاً عن الخيار الحربي. وتؤكد ذلك تلك الضغوط التي مارسها عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر [أخ خليفة عبد الملك المظفر] على الخليفة هشام المؤيد ليصدر مرسوماً يتم بموجبه تعيينه ولياً للعهد، والتي كللت بالنجاح. ولم تكن هذه الخطوة حادثة عادية وإنما كانت خرقاً صارخاً للأعراف السياسية المنفق عليها بين فقهاء السياسة الإسلامية السنيين وقتذاك، لنقلها الخلافة من البيت الأموي القرشي المضري إلى بيت المنصور بن أبي عامر القحطاني اليمني. ولذلك فقد انتفضت المضرية وأبناء البيت الأموي، وقاموا باغتيال عبد الرحمن بن المنصور في العام نفسه الذي خلف فيه أخاه عبد الملك، وهو عام 399هـ/1009م. وأعقب ذلك انتشار الفتنة في الأندلس، وأسدل الستار، فعلياً على الدولة الأموية، ودخلت الأندلس فيما اصطلح عليه بعصر ملوك الطوائف (ابن حزم، 1981م، ج2، وابن الأبار، 1963م، ج2، وابن الكردبوس، 1975م، والمراكشي، 1978م).

يرى بروفنسال أن البداية الحقيقية لعصر ملوك الطوائف هو عام 400هـ/1009م، أي العام الذي نجح فيه سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر لدين الله، المتقلب بالمستعنين من دخول قرطبة (E. Levi Provencal, 1950) ويؤيد وجهة النظر هذه ظهور معظم العناصر التي تشكل التركيبة السكانية على الساحة السياسية في هذا التاريخ، ومحاولتها اقتطاع أكبر جزء من الأرض وتكوين كيان سياسي خاص بها فيه؛ وقد حالف النجاح معظمها، فالعناصر العربية اليمنية كونت كياناً سياسياً بإشبيلية، والعناصر العربية المضرية القرشية بزعامة بني حمود كونت كياناً سياسياً بمالقة Malaga والجزيرة الخضراء، والبربرية الصنهاجية ممثلة في بني زيري وبني ذي النون كونت كيانها السياسي بغرناطة و طليطلة... (المراكشي، 1978م، وعبد الحليم، بدون تاريخ) إلخ. فما هي الأسباب التي أدت إلى هذا التمزق والتشرذم ؟

قام الباحث الإسباني أنطونيو بيس Antonio ViVes بدراسة الأحوال التي صاحبت تكوين وزوال الدولة الأموية بالأندلس، والوجود المرابطي من بعدها، في محاولة

منه لإيجاد تفسير علمي ومنطقي لظاهرة الطوائف بالأندلس، فأوصلته اجتهاداته إلى أن عصر الطوائف مرحلة حتمية في تطور العناصر السكانية التي غزت الأندلس؛ وذلك لأن هذه العناصر، في الغالب، تكون متحدة ومتماسكة في بداية الغزو، ولكن سرعان ما تفترق كلمتها وتتسع الهوة بينها، وتعمل كل مجموعة منها على اقتطاع جزء من الأرض وتكوين إمارة مستقلة خاصة بها فيه (Antonio ViVes y Escudero, 1993). أما من وجهة نظرنا فإن عصر الطوائف ليس نتيجة حتمية كما يرى أنطونيو، وإنما هو نتاج للسياسات الخرقاء، و قصيرة النظر للدولة الأموية، والتي بسببها أصبحت عاجزة عن صهر العناصر السكانية التي خضعت لها في بوتقة واحدة... قلبها الإسلام، وأوردتها الإخاء والمساواة والمحبة والعدل؛ والتي بسببها أيضاً، أصبحت وحدة الأندلس إطاراً مصطنعاً تربط بين أجزائه قوة شخصية الحاكم، وإمكانات دولته المادية، وقوة أجهزته الأمنية والعسكرية، وليست إرادة الأجزاء.

تدريب (1)



- 1.متي كانت البداية الحقيقية لعصر ملوك الطوائف في رأي بروفسنال؟
- 2.ما هو الرأي الذي توصل إليه انطونيو من خلال بحوثه حول عصر الطوائف.. ومجيئهم للحكم؟
- 3.هل يعد رأي انطونيو هو الراجح؟ وما هو الرأي الراجح؟

2. دولة بني حمود

1.2 نسب بني حمود وظهورهم على مسرح الأحداث

بالأندلس

ينتسب بنو حمود إلى الحسن بن علي بن أبي طالب. وقد فر أسلافهم الأوائل من أبناء إدريس بن عبد الله بن الحسين أيام الخليفة هارون الرشيد من محبسهم عند وزيره جعفر ابن يحيى البرمكي إلى إفريقية، ثم إلى المغرب حيث اختلطوا مع سكانه وتصاهروا معهم، وتعلموا لغتهم (ابن بسام، 1978م، ق1، ج1، وابن عذاري المراكشي، 1983م، ج3). وفي مطلع القرن الخامس الهجري برز منهم رجلان هما (علي) و(القاسم) ابنا حمود بن ميمون كجنديين في جيش الخليفة سليمان المستعين ثم رفع المستعين من شأنهما بعد أن ظهرت له كفاءتها وحسن سمعتهما بين الجنود المغاربة، فجعلهما قائدين على جنده من المغاربة. وبعد أن تحقق له النصر على خصومه القرطبيين، ولى أصغرهما وهو (علي) على سبتة وطنجة، و(القاسم) على الجزيرة الخضراء. واستمر أبناء حمود مخلصين لرئيسمها غير أنهما لما شعرا بتضعضع ملكه، وضعف ولاء ولاية الكور والمدن إليه ادعى أحدهما وهو (علي)، ادعى أن هشاماً المؤيد عندما كان محاصراً بقرطبة كتب إليه بولاية العهد من بعده؛ ثم راسل بذلك ولاية وقادة المدن والكور طالباً منهم البيعة له. فاستجاب عدد منهم لدعوته، ثم قام بتجميع مؤيديه وتكوين جيش كبير منهم، كان معظمه من المغاربة والعبيد ثم توجه به نحو قرطبة فاستطاع هزيمة جيوش سليمان المستعين ودخول قرطبة. وبعد ذلك أقدم على قتل سليمان المستعين وعدد من أفراد أسرته على رأسهم والده، وكان ذلك في عام 407هـ/1016م (ابن حزم، 1981م، ج2، والمراكشي، 1978م، وابن عذاري، 1983م، ج3)

2.2 دولة علي بن حمود

كان للمغاربة وجود عسكري قوي بالأندلس خلال القرن الخامس الهجري، كما كانت لآل البيت مكانة خاصة عندهم، ولذلك لما ظهر علي بن حمود الحسيني العلوي كانوا أول المبايعين له لنسبه الشريف من جهة وللمصاهرة والتساكن لأبائه معهم من جهة أخرى. وقد كان لالتفافهم حوله ولنسبه القرشي دور بارز في ترجيح كفته عسكرياً وإجماع الناس عليه سياسياً، وثبات ملكه بقرطبة.

انتهج علي سياسة حكيمة في بداية عهده، حيث أخذ الناس بالشدة، وجلس للمظالم بنفسه، وحرص على أن تجري العدالة مجراها الصحيح حتى على أقرب الناس إليه. ولكن سرعان ما تراجع عن هذه السياسة وأظهر انحيازاً واضحاً للعناصر المغربية؛ لما شعر بيبغض أهل قرطبة له ولدولته، وحينهم لعودة دولة بني أمية وهروب خيران العامري الذي كان من أوائل المبايعين له، إلى شرق الأندلس، واجتماع رأيه ورأي مجموعته على مبايعة المرتضي. وهو من أسرة بني أمية، خليفة. فكال علي لأهل قرطبة الصاع صاعين، بل ذهب أبعد من ذلك، حيث فكر في إبادة كاملة حتى لا تقوم لبني مروان قائمة بمدينتهم، ويخلوا له الجو فيسود الأندلس بجنده المغربية. ولكن إرادة الله هي الغالبة فقد تسلط عليه صقالبة من بني مروان كانوا أقرب الناس إليه، وأصغرهم في عينه، فقتلوه حين دخوله الحمام في غرة ذي القعدة 408هـ، 21 مارس 1018م، وقد كان له من الأولاد (يحيى) الذي كان والياً من قبله على العدو، وإدريس الذي كان والياً على مالقة (ابن بسام، 1978م، ق1، ج1، وابن عذاري، 1983م، ج3).



1. في عهد من من خلفاء الدولة العباسية وفد بني حمود إلى افريقية؟
2. "برز رجلان من بني حمود في جيش الخليفة سليمان المستعين فولاهما ولايتين في الأندلس" من هما؟ وما هي ولايتهما؟
3. متي دخل علي بن حمود قرطبة وأقدم على قتل المستعين؟
4. ما هي العوامل التي تثبتت ملك علي بن حمود بقرطبة؟
5. من هم قتلة علي بن حمود؟ وهل كان له أبناء؟

3.2 دولة أبي القاسم بن حمود

كانت قبيلة زناتة البربرية هي السند الرئيس لدولة علي بن حمود، لذلك فهي التي تولت مسؤولية اختيار خليفته، فوقع اختيارها على أخيه القاسم بن حمود، الذي كان والياً من قبله على إشبيلية. ثم قامت بمراسلته للمجيء لاستلام السلطة بقرطبة. فامتثل لأمرها لما تبين له صدق كلامها وسلامة نواياها تجاهه. وبعد وصوله إلى قرطبة قام بأخذ الثأر من قتله أخيه، ثم أقر قضاة وموظفي دولة أخيه في وظائفهم. أما زناتة فقد كانت مكافأته لها عكسية، لأنه مال إلى إضعافها واستبدال خدماتها في الجندية بالاعتماد على العبيد السودان، فأكثر منهم في جيشه؛ وربما يكون هذا الانقلاب على زناتة ناتج عن اتهامه لها بالضلوع في قتل أخيه علي.

ولكن نتائج سياسته هذه قد جاءت عكسية بالنسبة له ولدولته، فالأوضاع في دولته قد تدهورت، وزناتة أظهرت له الاحتقار والكراهية. ومن جانب آخر فإن ابني أخيه علي: (يحيى) و(إدريس) لما علما بتردي الأحوال في قرطبة وضعف موقف عمهما بها، قاما بتكثيف نشاطهما العسكري ضدها، على أمل الاستيلاء عليها. ويبدو لنا أن ذلك قد تم بإيعاز من زناتة، ويتنسق بينهما وبينهما لما شعرت بتغير مشاعر وسياسات القاسم نحوها.

ونتيجة لهذه التحركات العسكرية ضد قرطبة وشعور القاسم بتململ أهلها من سياساته اضطر القاسم إلى الهروب إلى إشبيلية في 22 ربيع الأول 412هـ/4 أغسطس 1021م. فضبطت زنادة قرطبة إلى حين وصول يحيى بن علي بن حمود من مالقة، التي تحول إليها والياً بالتبادل مع أخيه منذ عام 410هـ/1019م. وفي قرطبة أصبح (يحيى) دمية في يد زنادة تحركه حيث شاءت، فأثقلت كاهله بكثرة المطالب، فنفدت إمكانياته المادية، ووقف عاجزاً عن تلبية رغباتها ومطالبها، وتيقن من انقلابها ضده، ولذلك لاذ بالفرار إلى مالقة، خوفاً من بطشها به، في عام 413هـ/1022م، فأعادت زنادة عمه القاسم من إشبيلية إلى السلطة بقرطبة مرة ثانية.

بعد وصول القاسم إلى قرطبة لم يعمر طويلاً، لأن أهل قرطبة قد شعروا بميله نحو المغاربة، وتجاهله لهم، وهم أهل البلد الأصليون، والمغاربة دخلاء من وجهة نظرهم؛ فتجمعوا ولموا صفوفهم واستطاعوا هزيمته وهزيمة أتباعه من المغاربة، فاضطر إلى اللجوء إلى إشبيلية في عام 414هـ/1023م. غير أن أهلها قد أقفلوا أبوابها في وجهه، ومنعوه من الدخول، وقدموا على أنفسهم ثلاثة منهم ليقوموا بإدارة المدينة، أبرزهم القاضي أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد، ولم يسمحوا له إلا بعد محادثات شاقة بإخراج أسرته وابنه، فأخذهم وتوجهوا جميعاً إلى شريش Jerez de la Frontera (ابن بسام، 1978م، ق1، ج1 وابن عذاري، 1983م، ج3) بالقرب من ميناء قادس Cadez. (الحميري، 1975م)

4.2 دولة يحيى بن علي بن حمود

حكم يحيى قرطبة فترة قصيرة في ولايته الأولى كما عرفنا من قبل. وفي عام 416هـ/1025م استعادت قبائل البربر الموالية لبني حمود سيادتها على قرطبة، فأعادت مبايعة يحيى بن علي بن حمود للرئاسة، وزحفت به نحو عمه القاسم بن حمود، وتمكنت من هزيمته والاتيان به أسيراً. وظل القاسم أسيراً حتى وفاة ابن أخيه إدريس بن علي، ثم تم قتله في عام 431هـ/1039م وحمل جثمانه إلى ابنه محمد بالجزيرة الخضراء حيث ووري الثرى هنالك. (ابن حزم، 1981م، ج2، والمراكشي، 1978م) أما يحيى فقد ظل خارج قرطبة محارباً للقبائل البربرية، التي رفضت الدخول في طاعته، وتسليم ما تحت أيديها

من قلاع. أما قرطبة فقد استخلف عليها واحداً من ثقافته، وهو عبد الرحمن بن عطف اليفرنى. ولما تمكن يحيى من إخضاع القبائل البربرية إلى الطاعة حدثته نفسه باستعادة ملك أسرته بإشبيلية، إلا أن أهالي إشبيلية قد سارعوا وأعدوا له كميناً، وتمكنوا من اغتياله؛ (ابن حزم، 1981م، ج2، وابن بسام 1978م، ق1، ج1، والمراكشي، 1978م، وابن عذاري، 1983م، ج3). وبموت يحيى أسدل الستار على دولة بني حمود بقرطبة، وانتقلت رئاستها إلى مالقة. أما عن قرطبة فقد عادت إلى حكم بني أمية، فراسل أهلها بزعامة جهور بن محمد بن جهور أبابكر هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر؛ وبايعوه بالخلافة، فتلقب بالمعتد. ودخل قرطبة ولكنه لم يعمر طويلاً حيث ثار ضده العامة وعزلوه وقتلوا وزيره حكم الحائك وذلك في منتصف ذي الحجة عام 422هـ/ 3 ديسمبر 1031م. ويعزله أسدل الستار على الخلافة الأموية بالأندلس. (ابن بسام، 1978م، ق1، ج2، والمراكشي، 1978م).

5.2 دولة بني حمود بمالقة

بعد مقتل يحيى انتقل وزراء ووجهاء دولته إلى مالقة واستدعوا أخاه إدريس لخلافته ويعتبر انتقال رئاسة دولة بني حمود إلى مالقة بداية لفترة الصعف، وقد كثرت المؤامرات والفتن في هذه الفترة، وعزل وقتل الحكام، ولذلك سنسلط الضوء على الحكام والأحداث المهمة في عهدهم بصورة عامة.

كان أول خلفاء يحيى بن حمود بمالقة هو أخاه (إدريس) المذكور أعلاه وقد كان لأبي جعفر أحمد بن موسى المشهور بابن بقنة، و(نجا الصقلي) نفوذ واسع في دولته. لم يعمر إدريس طويلاً في الحكم إذ وافته منيته في عام 430 هـ/ 1038م. وبعد وصول خبر وفاته إلى الجزيرة الخضراء فك سراح ابني القاسم بن حمود، (محمد) و(الحسن)؛ اللذين كان اعتقالهما بأمر من يحيى، وأجمع البربر والسودان (السود) على مبايعة محمد خليفة على الجزيرة الخضراء. أما مالقة فقد تردد ابن بقنة مدير دولة إدريس بين المبايعة لحيون بن إدريس خلفاً لوالده، وبين الانفراد بالسلطة بنفسه وفي أثناء ذلك علم بتوجه نجا الصقلي مصحوباً بحسن بن يحيى بن علي بن حمود نحو مالقة، ويتعاطف أهلها معه، وضعف

موقفه أمامهما، فاضطر إلى الهروب إلى حصن كمارش Comares على بعد 18 ميلاً من مالقة. فدخل حسن مالقة وباعه من بها من البربر، ثم استدرج ابن بقنة وقتله، كما قتل ابن عمه يحيى بن إدريس، الذي كانت أخته زوجاً له، الشيء الذي أدى إلى سخطها عليه، ودسها له السم بعد عامين من ذلك، ففارق الحياة، هذا وقد كان نجا قد رجع إلى سبتة وترك أحد ثقاته، وهو (السطيفي)، الذي كان تاجراً، تركه كوصي ووزير لحسن. (ابن حزم، 1981م، ج2، والمراكشي، 1978م).

بعد وفاة حسن احتجز السطيفي إدريس بن يحيى بن علي خوفاً من أن يفكر في الخلافة، ثم راسل نجا شارحاً له ما حدث. فطمع نجا في الخلافة، وكاشف زعماء البربر برغبته في الخلافة، فلم يستحسنوا رأيهم؛ وربما يعود ذلك إلى أنه ليس من عصبيتهم، فلجأ إلى الاستعانة ببني جلدته من الصقالبة. ولما شعر البربر بذلك قاموا باغتياله، ثم دخلوا مالقة، وأخرجوا إدريس بن يحيى. الذي احتجزه السطيفي. من محبسه، وباعوه خليفة في عام 434هـ/1042م، فتلقب بالعالِي. وقد كان إدريس محسناً كثير التصدق. فابتدر عهده باعتقال ابني عمه (محمد) و(الحسن) ابني إدريس بن علي. وفي شعبان 438هـ/يناير - فبراير 1047م انقلبت العامة والخاصة عليه؛ فاضطر إلى الهروب هو وأسرته إلى حصن ببشتر Bobastro. وأطلق سراح ابني عمه محمد والحسن، وبويع الحسن منهما خليفة، وكان أكثر المبايعين له من السود، وتلقب بالمهدي. أما إدريس فقد ظل معظم العامة متمسكين ببقيته. ودارت بين أنصاره وأنصار المهدي عدة مواجهات انتهت بلجوء إدريس إلى سبتة وطنجة، اللتين كانتا تحت إدارة برغواطيين من عبيد أبيه، كما كان واحداً من أبنائه يعيش معهما؛ فرحبا به وأقاما الدعوة باسمه، لكنهما حجاباه عن الناس.

أما المهدي فقد حدث خلاف بينه وبين أخيه الحسن، نفي على إثره الحسن إلى العدو المغربية، وهناك لجأ إلى جبال غمارة، التي كان أهلها من الشيعة. ولكن لم تهدأ الأحوال للمهدي من بعد؛ إذ حاول أهل مالقة استبداله بمحمد بن القاسم، ولكنهم تراجعوا عن قرارهم، فبقى حاكماً حتى وفاته في عام 445هـ/1053م. وبعد وفاته أعاد العامة إدريس العالِي. الذي كان قد أخرج الصقليين من مالقة، واستقر عند بني يفرن أصحاب

تأكرونا . إلى الخلافة، وبقى خليفة حتى وفاته. ثم خلفه ابنه محمد المستعلي، و في عهده بدأت تظهر على الدولة علامات الشيخوخة. وأنظار الطامعين . وعلى رأسهم المعتضد بن عباد صاحب إشبيلية . تتجة إليها؛ الشئ الذي دفع حليفها باديس بن حبوس صاحب غرناطة ليسارع الخطى ويضمها إلى ملكه في عام 449هـ/1057م، وقيل في 29 ربيع الثاني 448هـ/16 يوليو 1056م. أما عن مصير المستعلي فقد استدعاه أهل مليلية بالعدوة المغربية وملكوه عليهم، وبقى على ذلك حتى وفاته في عام 460هـ/1067م (المراكشي، 1978م، والنباهي، تاريخ قضاة الأندلس و H,R. Idris, 1964) وبذلك أسدل الستار على دولة بني حمود بالأندلس.

تدريب(3)

1. لماذا أقدمت قبيلة زناتة علي اختيار أبي القاسم بن حمود خليفة لأخيه؟
2. ما ذا فعلت قبيلة زناتة عندما مال أبو القاسم إلي إضعافها؟
3. متي بايعت قبائل البربر يحي بن علي للرئاسة؟
4. كيف انتهى حكم آل حمود بقرطبة؟ وإلى أين انتقلت رئاستهم؟
5. من هو أول خلفاء يحي بن حمود بمالقة؟ وهل كان بها نفوذ لغيره؟



6.2 ملاحظات عامة عن دولة بني حمود

من خلال تتبع دولة بني حمود بالدراسة والتمحيص تمكنا من الوصول إلى الملاحظات والنتائج الآتية:

أولاً: افتقار بني حمود للخبرة السياسية

لم يكن لبني حمود تجربة سياسية سابقة مهمة يمكنهم الاعتماد عليها في مواجهة التحديات السياسية التي واجهتهم في مسيرتهم السياسية. فكانت النتيجة عجزهم عن تسيير دفة الحكم بالصورة التي تكفل الأمن لرعاياهم، وتوفر الاستقرار والتنمية وتوحيد الجبهة الداخلية.

ثانياً: عدم وجود أسس وضوابط لتنظيم ولاية العهد

عجز بنو حمود عن وضع أسس ثابتة تنظم تداول السلطة بينهم، الشيء الذي فتح المجال أمام كبار القادة والزعماء للتدخل لاختيار الشخصية التي تلي طموحاتهم السياسية والمادية، فانعكس ذلك سلباً على دولتهم.

ثالثاً : عدم تجانس العناصر المؤيدة لهم

تعددت العناصر المكونة والداعمة لدولة بني حمود - بربر وعرب، وعبيد وصقالبة وسودان. وأهم ما يميز هذه العناصر هو عدم التجانس والاتفاق في الأهواء. ولقد كان الرابط الوحيد بينها هو المصالح الشخصية، وليس الولاء لشخص الخليفة، ولذلك وجدناها تنتقل في ولائها من الخليفة إلى منافسه حينما يعجز عن تلبية مطالبها، أو يقف حجر عثرة أمام طموحاتها الغير مشروعة وأطماعها. وهذا التحول السريع في الولاء من الخليفة إلى خصمه هو السمة البارزة والمميزة للقوى السياسية الحية في مالقة ومن قبلها قرطبة. وقد كان للخلفاء نصيب الأسد في تكريس هذه الظاهرة السيئة.

رابعاً: الحفاظ على معظم أراضيها حتى سقوطها

على الرغم من حالة عدم الاستقرار التي كانت السمة المميزة لدولة بني حمود إلا أن حكامها قد استطاعوا فرض سيطرتهم على قرطبة وإشبيلية لفترة من الزمن، وعلى مالقة وسبتة ومناطق أخرى من شرق الأندلس والعدوة المغربية حتى وفاة الخليفة العالي إدريس.

خامساً: الاحتفاظ بعلاقات ودية مع دولة غرناطة

احتفظت دولة بني حمود بعلاقات جيدة وقوية مع مملكة غرناطة منذ البداية. وقد كانت لهذه العلاقات آثار إيجابية بالنسبة للطرفين. وقد استمرت هذه العلاقات حتى

اللحظات الأخيرة من دولة بني حمود حيث شعر باديس حاكم غرناطة بأن بني حمود قد أصبحوا عاجزين عن الدفاع عن دولتهم، وأنها ستقع فريسة سهلة في يد منافسه المعتضد بن عباد، الذي بدأ التحرش بها، فأسرع الخطى نحوها وأضافها إلى دولته بغرناطة.

أسئلة للتقويم الذاتي



1. "ظهر ملوك الطوائف بالأندلس كان مرحلة طبيعية وحتمية في تاريخ الأندلس." ناقش.
2. عرف ببني حمود وكيفية وصول علي بن حمود إلى السلطة بقرطبة ومصيره.
3. "كان لقبيلة زناتة البربرية دور في وصول القاسم بن حمود إلى السلطة بقرطبة وزوال ملكه." ناقش.
4. قوم دولة بني حمود تقوياً يبرز جوانب القوة والضعف فيها.

3. مملكة إشبيلية

تضم مملكة إشبيلية أقاليم وضياع زراعية مهمة اشتهرت بإنتاج الزيتون وقصب السكر.. (الحميري، 1975م) وفي القرن الخامس الهجري أصبحت حاضرتها إشبيلية قاعدة الجانب الغربي من الأندلس (ابن بسام، 1978م، ق2، ج1) وتمتلك دولة إشبيلية حدوداً مع دولة بني حمود بمالقة ودولة طليطلة ودولة بطليوس Badajoz ودولة غرناطة. أما عن وضعها السياسي في القرن الخامس الهجري فهي قد دخلت في طاعة بني حمود بعد مقتل الخليفة سليمان المستعين. ولكنها خرجت عن طاعتهم بعد زحف يحيى بن علي بن حمود للمرة الثانية على قرطبة، وهروب صاحبها القاسم بن حمود إلى إشبيلية، وقفل أهلها الأبواب في وجهه وتقديم القاضي محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي

حاكماً عليهم، وتحديد مجموعة من أعيانهم ليكونوا مستشارين وشركاء معه في الأمر، لا يقطع أمراً دونهم ومن هؤلاء الشركاء الوزير أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي.(المراكشي، 1978م).

1.3 فترة القاضي أبي القاسم محمد بن إسماعيل

ينتمي القاضي أبو القاسم محمد بن إسماعيل إلى أسرة من الأسر العريقة في إشبيلية. ويرجع تاريخ استقرار هذه الأسرة بإشبيلية إلى سلفها عطف بن نعيم الذي دخل الأندلس في طاعة بلج بن بشر القشيري، واستقر في قرية يومين من إقليم طلسانة Tacina، أحد أقاليم إشبيلية. وقد كان والده إسماعيل من أغنى رجال الأندلس ومن المشهود لهم برجاحة الرأي، كما كان محسناً و يتجلى ذلك في تلك المساعدات الكبيرة التي قدمها للاجئين من قرطبة إلى إشبيلية نتيجة لانتشار الفتنة، التي أدت إلى نهاية الخلافة الأموية بقرطبة. أما ابنه محمد فقد أدت مكانة أسرته الاجتماعية إلى بروز شخصيته، ثم ازدادت شخصيته بريقاً ولمعاً بعد ما أسند إليه القاسم بن حمود وظيفة القضاء، فأصبح محل تقدير واحترام العامة والخاصة. ومن خلال وضعه الاجتماعي والوظيفي تمكن من لعب دور كبير ومهم في إضعاف الموقف السياسي لبني حمود بإشبيلية، وزوال سلطتهم عنها (ابن بسام 1978م، ق1، ج1).

التزم أبو القاسم باستشارة المختارين معه لإدارة المدينة لفترة من الزمن. وبعد أن شعر بقوة موقفه تنكر لهم واستبد بالأمر دونهم، واتخذ محمد بن أحمد بن عامر الحميري الملقب بنجيب، وزيراً له. وبلاشك فإن العصبية القبلية قد كانت من وراء هذا الاختيار؛ لأن القاضي نفسه ينتمي للقبائل اليمانية. وكان أبو القاسم داهية وسياسياً محنكاً، ولذلك لما أحس بحنين الإشبيليين إلى الخلافة الأموية بعد مضي سنوات من حكمه لهم، ورغبتهم في الانضمام إلى لواء الخلافة بقرطبة، الذي كان يحمله بنو حمود أعداؤه، وبأطماع الآخرين . [بني حمود]. في إشبيلية، وبالمحاولات المبذولة من قبل بعض المجموعات المعادية له ولبقية ملوك الطوائف لإعادة الخلافة لبني أمية؛ لما أحس بكل ذلك خشي على ملكه، وجدّ في التفكير في وسيلة لسد الأبواب أمام الطامعين في دولته، وإقناع رعيته بشرعية حكمه.

فوجد ضالته في الاعتقادات السائدة في أوساط العامة في الأندلس بصفة عامة وإشبيلية بصفة خاصة، بغيبة الخليفة هشام المؤيد ثم رجوعه إلى الأندلس، فادعى أنه موجود في مملكته، وجاء برجل كان يسكن في قرية من قرى إشبيلية، شديد الشبه بهشام المؤيد، وانتقى من الرجال والخدم من شهدوا بصحة الخبر. ثم راسل جميع رؤساء الأندلس طالباً منهم البيعة إلى هشام، فلبى بعضهم نداءه؛ لشئ في أنفسهم، كابن جهور صاحب قرطبة. (ابن بسام، 1978م، ق2، ج1، وابن عذاري، 1983م، ج3) وبهذه الحيلة تمكن من القبض على زمام السلطة والمحافظة عليها حتى وفاته في عام 433هـ/1041م (ابن بسام، 1978م، ق2، ج1)

2.3 فترة المعتضد بالله عباد بن محمد

خلف أبو القاسم ابنه المعتضد بالله عباد في يوم الاثنين غرة جمادى الآخر عام 433هـ/26 يناير 1042م واشتهر المعتضد باستعمال الحيلة والقسوة وسفك الدماء وأخذ الناس بالظنة، والكلف بالنساء، ومعاقرة الخمر، فابتدر عهده بقتل وزير أبيه نجيب (ابن بسام، 1978م، وابن عذاري، 1983م، ج3، وابن الأبار، 1963م)، وقد صممت المصادر عن الحديث عن أسباب هذا القتل. والراجح أن السبب ربما هو تخوفه من استبداده بالسلطة دونه، أو لحساسية كانت بينهما أثناء وزارته لأبيه. وقد تميز عهده بتوسيع رقعة الدولة غرباً على حساب الممالك الصغيرة التي كانت توجد هنالك كلبلة Niebla وشلب Silves وشلطيش Saltis كما تمكن من انتزاع الجزيرة الخضراء من بني حمود، (ابن بسام، 1978م، ق2، و الحميري، 1975م، ج1، وابن عذاري، 1983م، ج3) وكورة مورور Moron de la Frontera من بني برزال الزناتيين البربر (ابن بسام، 1978م، ق2).

وبعد أن خلق المعتضد لنفسه أمجاداً سياسية، وثبت أقدامه في السلطة، وذاع صيته في الآفاق، وتأكد من قوة موقفه في الداخل، واجتماع الرعية على تأييده وطاعته؛ أعلن وفاة الخليفة هشام المؤيد، وإيقاف الخطبة له، وذلك في عام 451هـ/1059م؛ (ابن

بسام، 1978م، ق2) فصحت توقعات المعتضد حيث تقبل العامة والخاصة النبأ، وتواصل التفاهم حول المعتضد وتأييدهم له حتى وفاته في يوم السبت 2 جمادى الآخر 461هـ/ 30 مارس و106م. (ابن بسام، 1978م، وابن عذاري، 1983م، ج3).

3.3 فترة المعتمد بن عباد

خلف المعتضد ابنه المعتمد على الله محمد، الذي كان يده اليمنى في مجال الحرب والسياسة والإدارة. وقد أكسبته هذه التجارب حنكة في مجال السياسة، وخبرة في شؤون الحكم والإدارة. وإلى جانب هذه الصفات فهو شاعر مطبوع، وله ميول نحو الشعراء والأدباء، واشتهر بإسناد الوظائف العليا في دولته إليهم، ولذلك أصبحت دولته كعبة لهم. واجتمع عنده منهم ما لم يجتمع عند أحد قبله من ملوك الأندلس (ابن بسام، 1978م، ق2، ج1، والمراكشي، 1978م) ومن بين الذين استوزرهم من الأدباء: ابن عمار، وابن زيدون.

وفي عهده تمت إضافة قرطبة إلى إشبيلية بعد انتزاعها من صاحبها عبد الملك بن جهور أولاً، وابن ذى النون صاحب طليطلة الذي استولى عليها منه أي المعتمد، ثانياً... وظل المعتمد حاكماً على إشبيلية إلى أن دخل المرابطون للأندلس بهدف عزل ملوكه، فعزلوه كبقية رصفائه، ثم نفوه إلى أغمات التي تقع بالقرب من مراكش وذلك في 18 جمادى الأولى 484هـ / 8 سبتمبر 1091م، وبقي المعتمد هنالك إلى أن وافته منيته في عام 487هـ/ 1094م، وقيل 488هـ/ 1095م (ابن خاقان، 1320هـ، وابن بسام، 1978م، والمراكشي، 1978م، والمقرئ، 1968م، ج4). وقد عاش المعتمد بأغمات معدماً لأن المرابطين قد صادروا كل ممتلكاته، لدرجة أن بناته قد أصبحن يغزلن للناس، وأن أحد أبنائه قد اشتغل بالصياغة. ومعلوم أن دخول المرابطين إلى الأندلس قد كان بمبادرة من المعتمد، وأنه أبلى بلاء حسناً في معركة الزلاقة إلى جانب المرابطين، وكان يقود جيوش الأندلس. (جاد الرب، المرابطون ومعركة الزلاقة، مجلة دراسات إفريقية، العدد الخامس والعشرون)



1. كيف كان الوضع السياسي لإشبيلية في القرن الخامس الهجري؟
2. من هو أول أسلاف القاضي أبي القاسم دخولاً للأندلس؟
3. من هو وزير القاضي أبي القاسم؟
4. ما هي الحيلة التي مكنت أبا القاسم من الإمساك بزمام السلطة؟
5. "صمتت المصادر عن أسباب قتل المعتضد بالله لوزير أبيه" ولكن ما الراجح حول ذلك؟
6. ما هي النتيجة المباشرة لإعلان المعتضد بالله وفاة هشام المؤيد؟
7. من هو خليفة المعتضد؟ وما أهم إنجازاته؟
8. على يد من كانت نهاية المملكة؟

4.3 العلاقات السياسية لدولة إشبيلية

الحديث عن العلاقات السياسية لأي دولة من الدول كعضو مستقل أمر بالغ التعقيد؛ لأنه من الصعب تقسيم الدولة إلى وضعية داخلية، وعلاقات خارجية، وجوانب اجتماعية...، إذ أن الخيوط التي تفصل بين هذه الجوانب إن وجدت خيوط رفيعة وضعيفة، ومن الصعب رؤيتها وتمييزها، لأن هذه الجوانب متداخلة ومتشابكة ومؤثرة ومتأثرة ببعضها البعض. وإذا كنا سنقسم دولة بنى عباد إلى سياسة داخلية وخارجية، وإسهامات ثقافية، فهذا لا يعني أن هذه المحاور مستقلة عن بعضها البعض، وإنما هي كل متكامل. وهذا التقسيم اضطررتنا إليه الضرورة المنهجية، والرغبة في الوقوف عند النصوص وقفة متأنية؛ لسبر أغوارها والتعرف على أبعادها ودلالاتها وتوظيفها التوظيف الأمثل في الدراسة.

وهناك عوامل تلعب دوراً أساسياً في رسم السياسة الخارجية لأي دولة، وتحديد نوعية العلاقات بينها وبين نظيراتها، ومن هذه العوامل: الدين، واللغة، والثقافة،

والاقتصاد، والتاريخ المشترك، والجوار الجغرافي، والتجهيزات الدفاعية، والتركيبية السكانية، وعدد السكان، ونوعية نظام الحكم السائد، ووضعية الجبهة الداخلية، والتحديات الخارجية المطروحة، والمستوى الثقافي، للقائمين على أمر الدولة؛ وقد سبقت الإشارة إلى بعض هذه العوامل أثناء الحديث عن حكام إشبيلية.

أولاً: العلاقة بين دولتي إشبيلية وغرناطة

السمة الغالبة للعلاقات السياسية بين إشبيلية وغرناطة هي التوتر والعداء. ويمكن تلخيص العوامل التي أدت إلى توتر العلاقات بين الجانبين في: احتفاظ غرناطة بعلاقات جيدة مع بني حمود، وخروج إشبيلية عن طاعتهم. بل وادعاء صاحبها القاضي أبو القاسم محمد بظهور الخليفة هشام المؤيد بحاضرتة إشبيلية ودعوته لجميع رؤساء الأندلس إلى الدخول في طاعة هشام والدعوة إليه. ورفض ملك غرناطة باديس وبشدة لهذه الدعوة، وإصراره على البقاء على دعوة بني حمود. وكذلك لوجود حدود مشتركة بين الدولتين، ومحاولة إشبيلية النفوذ من خلالها للتوسع على حساب غرناطة وحلفائها، وخاصة بني حمود. وفتح إشبيلية أبوابها أمام اللاجئين السياسيين المناوئين لحكام غرناطة. (ابن بلقين، 1955م، و Cl.Sanch ez- Albornoz. 1973) واليهود، الذين لجأوا إليها بعد نجاتهم من المذابح التي حلت بإخوانهم بعد اغتيال زعيم اليهود ووزير باديس بن حبوس ملك غرناطة يوسف بن اسماعيل بن النغيلة. (Luis Suarnez Fernandez, lejuifs) ومحاولتها توظيفهم في التعرف على الثغرات في دفاعات غرناطة للنيل منها، ومعاملة غرناطة لها بالمثل بفتح أبوابها أمام الفارين من بطش حكام إشبيلية وعلى رأسهم المعتضد، والمناوئين السياسيين لملوك إشبيلية.

أدت هذه العوامل إلى عدة صدامات عسكرية بين الجانبين، فحينما أرسل القاضي أبو القاسم عباد ابنه إسماعيل على رأس جيش كبير لإجبار ابن جهور للعودة للدعوة إلى الخليفة هشام المؤيد، تدخلت غرناطة وزحف ملكها باديس بجيش كبير لنجدة ابن جهور (ابن عذاري، 1983م، ج3)

لم تكن غرناطة مرتبطة بأي أحلاف دفاعية مع بني جهور أصحاب قرطبة، كما أن المصادر لم تتحدث عن طلب الأخيرين لأي نوع من العون من غرناطة، لذلك فإننا نرى أن تدخل غرناطة لم يكن شفقة على بني جهور أو مؤازرة لهم، وإنما كان خدمة لمصالحها السياسية، فبنو جهور اتسمت سياساتهم بالحياد، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، ولذلك فإن وجودهم يعني اطمئنان غرناطة على حدودها المشتركة معهم. أما في حالة تغلب ابن عباد على قرطبة فإنه بلا شك ستتوجه أنظاره نحو غرناطة، لأن موقفها من الدعوة للخليفة هشام المؤيد هو موقف قرطبة نفسه، وكذلك فإن استيلاء إشبيلية على قرطبة سيقوي من موقفها في أي هجوم على غرناطة. وعلاوة على ما سبق فإن وجود بعض الزعماء الغرناطيين المناوئين لغرناطة بإشبيلية يشكل خطراً على مستقبلها السياسي. ولهذه الأسباب لم يكن مستغرباً أن تكون غرناطة هي البادئة بالعداء وقد تمكنت جيوش غرناطة من إنزال الهزيمة بجيوش إشبيلية وقتل قائدها إسماعيل بن أبي القاسم بن عباد الذي كان ولياً للعهد في صدر عام 431هـ/23 سبتمبر 1039م. فعين أخوه عباد خلفاً له. (ابن عذاري، 1983م، ج3)

قامت إشبيلية بعدة مناوشات ضد غرناطة للتأثر منها، ولكن كفة غرناطة كانت هي الراجحة (ابن عذاري، 1983م، ج3، و Emilio Garcia, 1981). ثم اشتد الصراع بين الجانبين حينما بدأت غرناطة في الاستيلاء على أملاك بني حمود ووراثته دولتهم، حيث ظهرت إشبيلية منافسة لها. ولكن غرناطة قد تمكنت من السيطرة على معظم أراضي دولة بني حمود، ولم تخرج إشبيلية إلا بمنطقة الجزيرة الخضراء الاستراتيجية (ابن بلقين، 1955م، وابن خاقان، 1320هـ، وابن بسام، 1978م، ق3، ج1، والمراكشي، 1978م، وابن عذاري، 1983م، ج3).

وفي عهد المعتمد بن عباد اشتد العداء بين الجانبين، وذلك لأن وزيره ابن عمار كغيره من الأندلسيين، كان يبغض جنس البربر، ويرى أنهم السبب في خراب الأندلس، وعلى الأندلسيين، إن أرادوا لبلادهم الاستقرار والنماء، طردهم منها. واستطاع إقناع المعتمد بوجهة النظر هذه، وأعد عدة حملات وقادها ضد غرناطة والدول البربرية الأخرى

كألمرية Almeria، واستعان بالفونسو السادس Alfonso VI ملك قشتالة Castilla عسكرياً لتقوية موقفه، واستطاع أن يحدث أضراراً هائلة بغرناطة، ولكن في نهاية المطاف توسط بينهما ابن ذي النون صاحب طليطلة والفونسو السادس، ونجحت وساطتهما في تهدئة الأحوال بين الجانبين (ابن بلقين، 1955م، وأشباخ، 1958م، و Cl.sanchez-Albornoz, Ben Amar de, Sevilla) وازدادت الأحوال بين الدولتين هدوءاً بعد قبض المعتمد على وزيره ابن عمار ووضع في الحبس لمحاولته الاستقلال بحكم مرسية Murcia دونه (ابن سعيد، 1955م، ج1) ثم عاودت التوتر مرة أخرى بعد عودة المرابطين مرة أخرى إلى الأندلس لإخراج النصارى من حصن لبيب Aledo لاتهام المعتمد لعبد الله بن بلقين صاحب غرناطة بموالاته ابن رشيق، الذي استبد بحكم مرسية دون المعتمد، وبالتأمر مع الفونسو السادس ضده، بعد عودة المرابطين من حصار حصن لبيب لمهاجمة الفونسو أراضى إشبيلية وعدم مهاجمته لأراضي غرناطة ثم استمرت على ذلك حتى عزل عبد الله بلقين بوساطة المرابطين ونفيه إلى أغمات في عام 483هـ/1090م. (ابن بلقين، 1955م، و Emilio Garcia, 1981)

ثانياً: العلاقات بين إشبيلية ومملكة قشتالة

تطورت حركة المقاومة والاسترداد الاسبانية النصرانية التي غرس نواتها بلاي Pelayo (ت 120هـ/ 737) في كوبادونجا Cova d'onga حيث ظهرت في القرن الخامس الهجري مملكة قشتالة مملكة قوية ومتحدة بزعماء الفونسو السادس. وكان الفونسو ملكاً قوياً مسكوناً بمشروع استرداد الأندلس من العرب المسلمين وطردهم منها، ولذلك واصل وبحماس الجهود التي بذلها أسلافه. (أشباخ، 1958م، و Jose Luis Asian-Pena, 1953)

وبالنسبة لعلاقات إشبيلية مع قشتالة، فإشبيلية ملتزمة بدفع الجزية لمملكة قشتالة منذ عام 1063/455 أيام الملك فيرناندو بن سانشو الكبير (أشباخ، 1958م، وعنان، 1960م).

وفي فترة المعتمد بن عباد كانت العلاقة بين الدولتين قوية، وذلك لعلاقات الصداقة بين ابن عمار وزير المعتمد، والفونسو السادس. وقدمت قشتالة لإشبيلية في نزاعاتها مع دول الطوائف، وخاصة غرناطة. مساعدات كثيرة ولكن توترت العلاقات بين الجانبين بسبب عدم اكتفاء الفونسو بالجزية من إشبيلية، ومطالبتها بالتنازل له عن بعض المواقع الحساسة من ترابها (الحميري، 1975م) الشي الذي دفع المعتمد إلى الاستعانة بالمرابطين وسيأتي شرح ذلك عند الحديث عن دولة المرابطين.



1. هل هناك عوامل تحدد السياسة الخارجية لكل دولة؟ إذا كانت الإجابة نعم هات أمثلة لتلك العوامل؟
2. ما هي العوامل التي أدت إلي تعزيز العلاقات بين إشبيلية وغرناطة؟
3. لماذا ساهم ابن عمار وزير المعتمد بن عباد في سوء علاقته بغرناطة؟
4. كيف كانت العلاقة بين مملكتي إشبيلية و قشتالة؟

5.3 إسهامات إشبيلية في الحركة الثقافية

شغل الشعر حيزاً كبيراً في الثقافة الأندلسية منذ بداية عصر الإمارة بالأندلس، وذلك لدعم الحكام والأرستقراطية العربية له منذ عصر الإمارة، ولعدم الرقابة عليه مقارنة بكتب الفقه التي كانت الدولة تفرض رقابة مشددة عليها (Juan Vernet, 1970) بعد تبنيتها للمذهب المالكي، خوفاً من أن يتخذ ستاراً لزراع الفرقة وتحقيق بعض المكاسب السياسية.

وفي القرن الخامس الهجري كانت إشبيلية بحكم وضعها السياسي كأقوى مملكة في الأندلس، وكثرة ثروات حكامها، وانتمائهم إلى العنصر العربي اليميني، وتذوقهم للشعر وقرضهم له، وتوفير سبل الرعاية والحياة الكريمة للناهبين من الشعراء، أكثر دول الطوائف اجتذاباً للشعراء وإسهاماً في الحياة الأدبية بالأندلس (ابن بسام، 1978م، ق2، ج1، وبالنتيـا، 1955م). وعلاوة على ما سبق فإن المعتضد كان له سجل خاص بالشعراء المعتمدين في دولته، وأن ابنه المعتمد كان لا يستورز إلا شاعراً (ابن بسام، 1978م، ق2).

نتيجة لكل هذه العوامل السابقة الذكر انتشر الشعر في مملكة إشبيلية، لدرجة أن طبقة المزارعين كانت على علم بطرق وآداب نظم الشعر، ويرتلون أشعاراً وهم وراء

محاربتهم أو في حفلات الحصاد، وخاصة في منطقة شلب (Manuel Garcia) Silves (Rato, 1993). أما بالنسبة لملوكها فإنهم إلى جانب دعمهم المادي والأدبي للشعراء كانوا يقرضون الشعر في مواضيع مثل الفخر والحماسة والوصف. فالقاضي أبو القاسم بن عباد له شعر منه قوله في وصف الياسمين:

وياسمين حسن المنظر	يفوق في المرأى وفي المخبر
كأنه من فوق أغصانه	دراهم في مطرف أخضر

كما أن ابنه وخليفته المعتضد كان هو الآخر شاعراً ومن شعره هذه الأبيات من قصيدته التي أرسلها إلى والده بعد أن خرج من إشبيلية لخلاف حدث بينهما

وما هزنى إلا رسولك داعياً	فقلت أمير المؤمنين مجاب
فجئت أغذ السير حتى كأنما	تطير بسرجي في الفلاة عقاب
وما كنت بعد البين إلا موطناً	بعزمي على أن لا يكون إياب
ولكنك الدنيا إلى حبيبة	فما عنك لي إلا إليك ذهاب

أما المعتمد بن عباد فهو أشعرهم وأغزهم إنتاجاً. ومن شعره:

ولولا عيون من الواشين ترمقني	وما أحاذره من قول حراس
لزرتكم لأكافيم لجفوتكم	مشياً على الوجه أو حبواً على الرأس

إلى جانب الملوك فهناك مجموعة كبيرة من الشعراء اخترنا اثنين منها لنعرف بهما كنماذج وهما أبو عامر بن مسلمة وابن عمار.

أولاً : أبو عامر بن مسلمة

ينتمي إلى أسرة أرستقراطية إشبيلية. (ابن بسام، 1978م، ق1، ج1) وقد ارتحل إلى قرطبة في أواخر عهد الخلافة. لكنه عاد إلى وطنه في ولاية القاضي أبي القاسم بن عباد (الحميري، 1987م). وقد كان ميسور الحال وعلى علاقة طيبة وقوية بالقاضي أبي القاسم ولكنه ابتعد عن القصر في ولاية المعتضد، لتوجس المعتضد خيفة من الأثرياء، لاعتقاده أنهم سيوظفون ثراءهم في القضاء عليه، وحاول أن يأمن شر المعتضد فأهدى إليه كتابه (حديقة الارتياح في وصف حقيقة الراح)، وهو كتاب جمع فيه نصوصاً ذات قيمة أدبية انتخبها مما قاله الشعراء الأندلسيون، وهناك جزء كبير من الكتاب من قصائد المؤلف نفسه ومراسلاته الشعرية مع شخصيات عصره.

أما عن إسهاماته الأدبية الأخرى فهي تدور حول ما يهتم به أمثاله من المترفين، الذين تفصل بينهم وهموم العامة وأحاسيسها جدر فولاذية ثخينة، كوصف الخمر والتشبيب بالنساء ووصف الزهور وهذا مثال من شعره يصف فيه البهار

قد جاءنا رائد الربيع	منظر رائع بديع
هو البهار الذي تعالى	وجل في حسنه الرفيع
كأنه مقلة تشتكي	إلى الحياة قلة الهجوع
أو كف كافورة قد أوصت	بكأس تبر إلى الربيع
أو شعلة النار وسط	ماء جسد في ثوبه النصوع

كانت نهاية حياته مأساوية حيث وجد ميتاً في أحد أحواض القصر بعد عام 441هـ/1049م، وتحوم التهم حول المعتضد بقتله؛ لأن العلاقة بينهما قد كانت سيئة (ابن خاقان، 1320هـ).

ثانياً : ابن عمار الإشبيلي

هو أبو بكر محمد بن عمار، أصله من شلب وكان يستجدي بشعره قبل أن يتعرف بالمعتمد ابن عباد، وقد تم التعارف بينهما حينما جاء المعتمد في مهمة إدارية إلى شلب من قبل والده. وقد أعجب المعتمد بشعره، واصطحبه معه إلى إشبيلية، وهناك اقنع والده بتسجيله في سجل شعراء دولته ثم أصبح وزيراً للمعتمد بعد وصوله إلى السلطة ولكن خلافاً قد حدث بينهما بسبب محاولة ابن عمار الاستبداد بحكم مرسية وإساءته للمعتمد، انتهى بالقبض علي ابن عمار في 24 ربيع الأول 477هـ / 29 أغسطس 1084م وحبسه ثم قتل المعتمد له بيده بعد ذلك (ابن بسام، 1978م، ق2، ج1 وابن سعيد، 1955م، ج1).

وابن عمار له شعر غزير ورصين. ومن أمثلة شعره هذه الأبيات من قصيدة يستجدي بها المعتمد ليعفو عنه بعد حبسه له.

سجايك إن عاقبت أندى وأسمح	وعذرك إن عاقبت أجلي وأوضح
وإن كان بين الخطتين مزية	فأنت إلى الأدنى من الله أجنح
حنانيك في أخذى برأيك لا تطع	عداي ولو أثنوا علي وأوفصحا
فإن رجائي أن عندك غيرما	يخوض عدوى اليوم فيه ويمرح

تدريب (6)



1. لماذا فرضت إشبيلية رقابة على علوم الفقه في الأندلس ولم تفرض على الشعر؟
2. ماهو الامتياز الذي وجده الشعراء عند المعتضد بالله وابنه المعتمد؟
3. هات مثال لشعراء من إشبيلية غير الملوك؟

أسئلة للتقويم الذاتي



1. عرف بمملكة إشبيلية مركزاً حديثاً على فترة مؤسسها القاضي أبي القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد.
2. " العلاقات بين الدول تتحكم فيها وتوجهها عوامل كثيرة" تحدث عن علاقات إشبيلية مع مملكة غرناطة مبرزاً هذه العوامل وما ترتب عليها من نتائج؟
3. "ازدهر الشعر في مملكة إشبيلية في عهد بني عباد" ما هي العوامل التي أدت إلى ازدهاره وعرف بابن عمار كشاعر من شعراء إشبيلية؟

4. دولة غرناطة

تعد مملكة غرناطة ثاني أكبر وأقوى دولة في عصر ملوك الطوائف بعد إشبيلية، كما أنها تعتبر ظاهرة فريدة في عصرها؛ لأن الأسرة التي أسستها أسرة بربرية صنهاجية إفريقية وحديثة عهد بالأندلس، ولأن اليهود كانوا يتمتعون بحضور ونفوذ قوي في الساحة السياسية والاقتصادية فيها. ولذلك وقع الاختيار عليها للدراسة. وسينحصر الحديث عنها في ثلاثة محاور: أسباب هجرة بني زيري إلى الأندلس، والتعريف بحكام غرناطة، والدور الثقافي لليهود بغرناطة.

1.4 أسباب هجرة بني زيري إلى الأندلس

ذكر المؤرخون القدامى والمحدثون أسباباً مختلفة لهجرة بعض أفراد أسرة بني زيري الحاكمة بإفريقية إلى الأندلس، فليفي بروفنسال يرى أنها قد حدثت نتيجة لخلافات داخل الأسرة الزيرية، وأن الهجرة قد تمت بعد طلب المهاجرين الإذن بالدخول من المنصور بن أبي عامر وموافقة لهم (E.Levi Provencal, 1973) وقد كانت التكلفة التي استندوا إليها في طلبهم هي الرغبة في إفناء عمرهم في الجهاد في سبيل الله (ابن بلقين، 1955م). أما هادي روجي إدريس فقد رجح أن الهجرة تمت نتيجة للخلاف الذي حدث بين باديس بن منصور بن زيري وعمه زاوي ومجموعته بعد هزيمة زناتة لباديس عام 389 هـ / 909 م، والذي اتصل بعده زاوي ومجموعته بالمنصور بن أبي عامر وعرضوا عليه خدماتهم، وطلبوا منه الإذن بالعبور إلى الأندلس. فأعطى لهم الإذن بعد وفاة المنصور، فوصلوا الأندلس في عام 393 هـ / 1002م في عهد ابنه عبد الملك المظفر (H.R.Idris, 1964) أما الأمير عبد الله وهو من ملوك غرناطة، فلم يشر إلى أي نوع من الخلافات داخل الأسرة الزيرية، وإنما ركز على أن هذه الهجرة حدث طبيعي نتج عن رغبة بعض أفراد أسرته في الهجرة للالتحاق بالخدمة العسكرية بالأندلس واستجابة السلطة الحاكمة هناك لرغبتهم، لتماشيتها مع سياستها الرامية إلى تنويع الأعراق في جيشها (ابن بلقين، 1955م).

والراجع . انطلاقاً من الإجماع النسبي للمصادر . أن المنصور بن أبي عامر هو الذي منح الإذن للمجموعة الزيرية المهاجرة بزعامه زاوي بن زيري، والبغض المشترك بينه وبينهم لبني أمية، ورغبته هو في إبعاد بني أمية عن السلطة والاستبداد بها دونهم، ورغبة بني زيري في الثأر منهم لإعانتهم لزناطة عدوهم في حربها ضدهم، والتي قتل فيها زيري والد زاوي، والإمكانات المادية الهائلة والقدرات العسكرية، والصفات القيادية التي يتوافر عليها المهاجرون. (ابن بلقين، 1955م، وابن الخطيب، 1973م، ج1)، وعدم ملاحقة السلطات الحاكمة بإفريقية لهم، وما وجده من احترام وتقدير من قبل المنصور بن أبي عامر وأبنائه من بعده (ابن الخطيب، 1973م، ج1) ورجوع زاوي إلى مسقط رأسه، بعد أن أخذ بثأر أبيه، وزهده فيما تيسر له من ملك وجاه بغرناطة، والاستقبال والإكرام الذي لقيه من حكام إفريقية، (ابن الخطيب، 1973م، ج1، وابن خلدون، 1966م، ج6) واستمرار التواصل بين من تبقى من المهاجرين بالأندلس وإخوتهم الجالسين على سدة الحكم بإفريقية (ابن بلقين، 1955م) نرى أن هذه الهجرة مخطط لها، وتهدف في الأساس إلى الثأر من الدولة الأموية، ولا نستبعد أن تكون قد تمت بتنسيق بين المنصور بن أبي عامر وحكام إفريقية.

أما عن أعداد المهاجرين فهي كبيرة نسبياً، ويتزعمهم زاوي بن زيري ويلييه في الرتبة ابن أخيه حبوس بن ماكسن (ابن بلقين، 1955م، H.R.I dris,op.cit) و لما حلل المهاجرون بالأندلس، أكرم المنصور وفادتهم، وقرب زعيمهم زاوي إليه، وأدناه من مجلسه، وجعله حاجباً من حجابيه. وقد اتسمت العلاقة بينه وبينهم بالود والإخلاص، وبقي ولاؤهم له ولأبنائه من بعده قوياً وحظهم في المجد وأفرأ حتى غياب شمس الدولة العامرية بقتل عبد الرحمن بن منصور عام 399هـ/1008م وعودة الحكم لبني أمية بزعامه المهدي محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الثالث (ابن الخطيب، 1973م، ج1). وقد تحامل المهدي على جنس البربر لذلك انحازت القبائل البربرية وعلى رأسها مجموعة زاوي إلى منافسه هشام بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر، ولكن المهدي تمكن من هزيمته وقتله، فقدموا بعده ابن أخيه سليمان بن الحكم الذي تلقب بالمستعين، وقد تمكن سليمان من دخول

قرطبة، والانتقام من المهدي (ابن الخطيب، 1973م، ج1). وكمكافأة لزاوي ومجموعته أقطع إليه سليمان المستعين إلبيرة (ابن عذاري، 1983م، وابن الخطيب، 1956م).

تدريب (7)



1. لماذا تعد مملكة غرناطة ظاهرة فريدة في عصرها؟
2. ماهو الرأي الراجح حول هجرة بني زيري للأندلس؟
3. من هو زعيم هؤلاء المهاجرين؟

2.4 التعريف بحكام غرناطة

ارتحل بنو زيري إلى إلبيرة Elvira بعد إقطاعها لهم، فاستقبلهم أهلها بالترحاب، وتعهدوا لهم بتوفير كل احتياجاتهم الضرورية، والالتزام بطاعتهم، فساس بنو زيري أهلها سياسة حسنة ووفروا لهم الأمن والاستقرار فذاع صيتهم في الآفاق، وقصدتهم المدن والأماكن المروعة للاحتماء بهم، فدخلت في طاعتهم جيان Jaen، وأنظارها، وحصر آشر (ابن بلقين، 1955م) ولم تغر هذه المكاسب السياسية القيادة الزيرية أو تضعف من تماسكها، بل تعاملت معها تعاملًا واعيًا ومسؤولًا، فتقارعوا على إدارتها، وفقًا للعرف السياسي السائد بينهم، بعد أن اتفقوا على أن يكونوا يدًا واحدة على من سواهم. ف وقعت إلبيرة من نصيب زاوي وحسن آشر وجيان من نصيب ابن أخيه حبوس بن ماكسن (ابن بلقين، 1955م).

ومن جانب آخر فقد أزعج تنامي نفوذ (زاوي) ومجموعته البربرية أنصار بني أمية من الأندلسيين، الذين كانوا في معظمهم ييغضون جنس البربر، لأنهم يعتقدون أن البربر هم السبب الأساسي في انهيار دولة بني أمية بالأندلس وتفتت الفتن بها. فاجتمعوا حول المرتضي، ونصبوه خليفة، وعقدوا العزم على مهاجمة إلبيرة. فعلم زاوي بتحركاتهم بدولته، فجمع أهل المدينة واتفقوا على تجنيد الصالحين للجنديّة من الشباب، وتسليحهم، واختيار مجموعة من الجواسيس لمراقبة تحركات الأعداء. ثم اجتمع بهم زاوي مرة أخرى، وتشاوروا

حول الدفاع عن المدينة، ومدى حصانتها، فاجتمع رأيهم على هجرها لضعف تحصيناتها، والبحث عن مكان آخر يتمتع بالحصانة واستراتيجية الموقع، وتوافر المقومات الحياتية، فوقع اختيارهم على غرناطة، فارتحلوا إليها (ابن بلقين، 1955م، والبكري، بدون تاريخ).

توسعت مدينة غرناطة بعد رحيل بني زيري وأهل البيرة إليها، وأصبحت دولة. وإذا أردنا وضع حدود تقريبيّة لها فيمكن القول إنها تحد من جهة الجنوب بجبل شلير Sierra Nevada ومن الشرق بالمرية والجزء الشرقي من جبل شلير، ومن الغرب بلوشة Loja ونهر شنيل Jenil. ومن الشمال بنهايات حدود جيان.

وفي غرناطة تمكن زاوي وأنصاره من هزيمة المرتضي وأتباعه، على الرغم من كثرة عدتهم وعتادهم، وغنموا أموالهم وعتادهم (ابن بسام، 1978م، ق1، ج1، وCl, Sanchez, 1973) ولكن مع ذلك قرر زاوي وفي ظروف غامضة، الرجوع إلى مسقط رأسه بإفريقية، وتنازل عن السلطة لابن أخيه حبوس بن ماكسن (ابن بسام، 1978م، وابن الخطيب، 1973م، ج1) وبذلك تكون كل أملاك بني زيري الترابية بالأندلس قد وضعت تحت إدارة رجل واحد. فهل كانت وراء هذا القرار ضغوط سياسية داخلية ؟ أو أى نوع من العواطف الإنسانية أو الطموحات السياسية بالموطن بإفريقية؟

خلف زاوي حبوس بن ماكسن وقد كان حكيماً وسياسياً محنكاً، ساس الدولة سياسة راشدة، والتزم بتعاليم الإسلام في سلوكه، واهتم بالعلم والعلماء، وأعطى القضاء استقلاليتة ووضع مواصفات دقيقة لاختيار القضاء وكفل للقضاة النظر في كل الظلمات والشكاوى التي تعرض عليهم، حتى ولو كانت ضد السلطان نفسه.

وعلاوة على ذلك فقد عين حكاماً على المدن والكور من أبناء قبيلته صنهاجة، وأوصاهم بالسهر على خدمة الرعية، والاهتمام بالجيش، وأعفاهم من أي التزام مالي تجاهه، وحثهم على الابتعاد عن حياة الترف والبذخ والخلود إلى الراحة (ابن بلقين، 1955م، وCl.Sanchez Albornoz, 1973) فكانت نتيجة هذه السياسات استقرار دولته في الداخل واستتباب الأمن في الطرق، وهيبة الأعداء له في الخارج. ولكن يؤخذ على حبوس عدم حسمه لمسألة ولاية العهد خلال فترة طويلة من حكمه، الشيء الذي فتح

الأبواب أمام كبار القادة والوزراء وزعماء صنهاجة للتدخل في اختيار ولي العهد، والبحث عن يليي طموحاتهم. ولما رأى حبوس اشتداد التنافس والصراع حولها حسم الأمر واختار ابنه باديساً خلفاً له وفي رمضان 429هـ/ يونيو 1038م توفي حبوس وخلفه ابنه باديس (ابن بلقين، 1955م، و Cl. Sanchez Albornoz , 1973) كانت السلطة في عهد باديس في يد الوزراء، لأن باديس قد خلد إلى الراحة، ومال إلى إشباع رغباته ونزواته. وكان أبرز هؤلاء الوزراء وأشهرهم إسماعيل بن النغيلة وابنه يوسف من بعده. وقد كانت كل السلطات في أيديهما حتى تاريخ اغتيال يوسف بن إسماعيل بوساطة العامة والغوغاء في 20 محرم 459هـ/ 31 ديسمبر 1066م في مجموعة من بنى جلدته (ابن بلقين، 1955م، وابن بسام، 1978م، ق2، ج1 و Davil Gonzalo Maeso, Garanat Al Yahud) فوق اختيار باديس على الناية وهو عبد من عبيد المعتضد بن عباد الفارين من بطشه وقد قربه باديس واستوزره ليحد به من نفوذ زعماء صنهاجة وتدخلهم في السياسة فتفقد الناية سياسته وقام بتهميش زعماء صنهاجة، إلا أن الأخيرين قد تمكنوا من دس من تمكن من اغتياله وهو في مهمة بمدينة وادي آش Guadix (ابن بلقين، 1955م، و Emilio Garcia, 1981) فاستوزر باديس من بعده أبا الربيع النصراني وبقي هذا الوزير في منصبه حتى وفاة باديس في عام 465هـ/ 1073م (ابن بلقين، 1955م).

خلف باديس حفيده عبد الله بن بلقين بن باديس وقد كانت السلطات في السنوات الأولى من عهده في يد وزيره سماجة الصنهاجي الذي كان بمثابة الوصي عليه، ولكن بعد أن بلغ الأمير عبد الله سن الرشد واشتد عوده، عزل وزيره سماجة، والغى منصب كبير الوزراء في دولته، وجمع كل السلطات في يده. وقد كانت أهم الأحداث في عهده على المستوى الخارجي، الصراع بينه وبين المعتمد بن عباد على عدد من المواقع، وتوتر العلاقات بينه وبين الفونسو السادس، وتأزم العلاقة بينه وبين المرابطين بعد جوازهم الثاني إلى الأندلس. أما على المستوى الداخلي فهناك الصراع بينه وبين أخيه تميم حول تقاسم السلطة والثروة، والذي ازدادت حدته واتسعت دائرته بعد ما رفع تميم ظلامته للمرابطين

عندما عبروا إلى الأندلس، والفتن التي آثارتها أنصار المرابطين في دولته لزعة الأمن بها وإثارة الفتن بهدف تهيئة الطريق للمرابطين للتدخل في شؤون غرناطة.

كان لهذه العوامل الداخلية والخارجية ورغبة المرابطين في ضم الأندلس إلى ملكهم في مراكش دور في عزل المرابطين للأمير عبد الله في عام 483هـ/1090م ونفيه إلى أغمات، وضم ملكه إلى ملكهم وبذلك أسدل الستار على غرناطة كدولة وأصبحت ولاية تابعة للمرابطين وتدار من مراكش. (ابن بلقين، 1955م و Mignel Lafuente 1992)

تدريب (8)

اختر رمز الإجابة الصحيحة لكل عبارة من العبارات التالية:

1. استقبل أهل البيرة بني زيري ب:
أ. الترحاب ب. التردد ج. الوعود د. الهروب أمامهم
2. بعد أن هجر ينو زيري مدينة البيرة استقروا في:
أ. سرقسطة ب. إشبيلية ج. غرناطة د. قرطبة
3. قرر (زلوي) وجوعه إلى مسقط رأسه بأفريقية ل:
أ. نكوص أتباعه ب. لتهديد أعدائه ج. عجزه عن القتال د. لأسباب غامضة
4. تاريخ اغتيال يوسف بن إسماعيل هو:
أ محرم 459هـ. ب. 10 صفر 459هـ. ج. 31 ديسمبر 1060م. د. غير معروف.
5. عزل المرابطون الأمير عبد الله 1090م ونفوه إلى:
أ. فاس. ب. الصين. ج. دمشق. د. أغمات.



3.4 الدور الثقافي لليهود بغرناطة

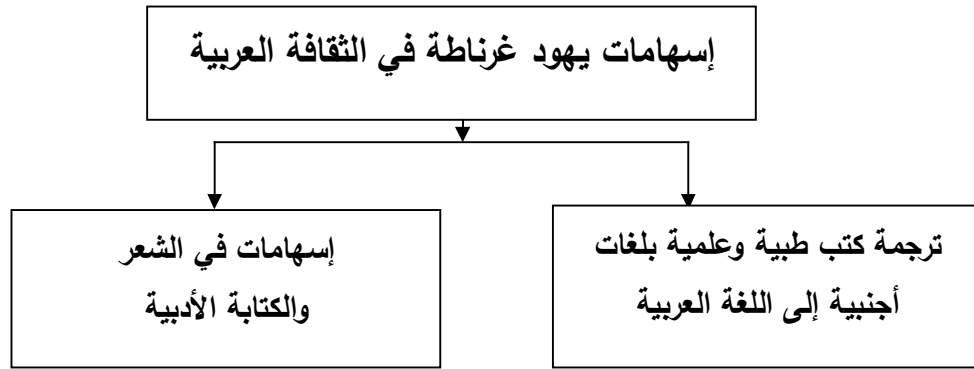
بدأ نجم اليهود في سماء الأندلس الثقافي عامة وغرناطة بصفة خاصة في الطلوع منذ عهد الخليفة عبد الرحمن الثالث، ثم أصبح قمرًا في عهد الطوائف مستفيدًا من المناخ

الفكري اللبرالي، والتسامح الديني النسبي الذي اتسمت به هذه الفترة (Luis Suardez, 1983) ومن قدراتهم العقلية، خاصة في مجال اللغة، حيث كان عدد لا بأس به منهم يجيد عدداً من لغات الثقافة والحضارة وقتذاك (العمرى، 1924م، وبروفنسال، بدون تاريخ) وإضافة إلى ذلك انفتاحهم على الثقافة العربية والمساعدات المادية والأدبية التي قدمها زعماءهم، خاصة إسماعيل بن النغيلة، للفقراء من طلاب العلم منهم، والتي تعدت التراب الغرناطي لتصل فقراء الطلبة اليهود في مناطق أخرى. (David Gonzalo Maeso, 1990) وقد استفاد من هذا المناخ الأدب العبري الأندلسي فبلغ عصره الذهبي في هذه الفترة واستطاع أن يتخطى الحدود (E. Ashtor, 1973) هذا وقد كان ابرز رواد المدرسة الشعرية العبرية بغرناطة إسماعيل بن النغيلة (Sasoon, 1934). (D.S., 1934).

أما بالنسبة للثقافة العربية فإن إسهام اليهود فيها تمثل في ترجمة مجموعات من الكتب الطبية والعلمية والأدبية من لغاتها الأصلية كالألمانية واليونانية الخ. إلى العربية (عبد الحليم، بدون تاريخ)، كما كان لبعضهم إسهامات في مجال الشعر والكتابة، خاصة كتابة الرسائل، ومن أشهر هؤلاء يوسف بن إسماعيل بن النغيلة، الذي كانت له إلى جانب ذلك مؤلفات في فنون أخرى. ولكن أهمها فيما يخص خدمة الثقافة العربية، ومن وجهة نظرنا، هو كتابه الذي حاول فيه . وفقاً لما أورده ابن حزم . إبراز التناقض، من وجهة نظره، في القرآن الكريم. (ابن حزم، 1981م، ج3، وابن سعيد، 1955م) فلماذا هذه الأهمية على الرغم من أن جوهر الكتاب هو محاولة لهدم عقيدتنا الإسلامية؟

إننا نؤمن بأن القرآن هو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولكننا في الوقت نفسه لا نرى حرجاً في تلك التهم التي يحاول البعض من غير المسلمين، إلصاقها به، لأن القرآن نفسه لم يتحرج منها، وإنما أظهرها وأبانها كجزء من محتواه فمنها على سبيل المثال قوله تعالى {إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين} (سورة القلم: 15) ثم قام بالرد عليها مقارناً بالحجة بالحجة لبذر بذرة استمرارية الدعوة إلى الله وتغذيتها ونحن واجبنا المسلمين هو الاقتداء بالقرآن وذلك بتنفيذ حجج وأباطيل المدعين، ولكن بعد دراستها

وتمحيصها. وهذا ما فعله علماء المسلمين وقتذاك حيث سارعوا إلى الرد علي ابن النخيلة، ودحضوا حججه، ومن بينهم ابن حزم، الذي دفعه الرد إلى الاطلاع على كتب اليهود والملل الأخرى فكانت النتيجة رده الشافي وكتابه، الفصل في الملل والأهواء والنحل، الذي يعد أول لبنة حقيقية للتأليف في علم مقارنة الأديان (ابن حزم، 1981م، ج3) هذه لمحة قصيرة عن الدور الثقافي لليهود غرناطة قصدنا بها اختتام الحديث عن غرناطة لأن غرناطة اشتهرت في الكتابات العربية ب: غرناطة اليهود.



أسئلة للتقويم الذاتي



أجب عن الأسئلة التالية

1. "في فترة المنصور بن أبي عامر وابنه من بعده هاجرت مجموعة من أسرة بنى زيري الحاكمة بإفريقية إلى الأندلس." وضح أسباب الهجرة ونتائجها؟
2. عرف بزاي بن زيري تعريفاً يشمل دوره في تأسيس مملكة غرناطة، وتوسيع رقعتها وتنظيم شؤونها الداخلية، والدفاع عن أراضيها، وأسباب رجوعه إلى إفريقية؟
3. "اتسم عصر الطوائف بالأندلس في القرن الخامس الهجري بالتسامح الديني وإنتاج الثقافة." وضح دور يهود غرناطة في الحياة العلمية والثقافية؟

الخلاصة

درسنا في الوحدة السابقة (عصر ملوك الطوائف بالأندلس) وذلك في أربعة أقسام رئيسة، واستطعنا أن نتعرف على الظروف التي أدت إلى ظهور ملوك الطوائف وأسبابه في القسم الأول، وفي الأقسام التالية درسنا ثلاث أهم دول في هذا العصر، وهي كالاتي: درسنا في القسم الثاني دولة بني حمود: نسبهم، وظهورهم على مسرح الأحداث بالأندلس، ودولة علي بن حمود والقاسم بن حمود بقرطبة ودولة بني حمود بمالقة، فملاحظات عامة عن هذه الدولة. وفي القسم الثالث تناولنا مملكة إشبيلية ووقفنا عند حكامها: القاضي أبو القاسم وابنه المعتضد، والمعتد بن المعتضد، وعلاقاتها السياسية مع مملكة غرناطة، ومع قشتالة، وإسهاماتها في الحركة الثقافية بالأندلس. ثم ناقشنا في القسم الرابع مملكة غرناطة وجاء الحديث فيها عن هجرة بعض أفراد أسرة بني زيري الحاكمة بإفريقية إلى الأندلس ونتائج تلك الهجرة ومن ثم التعريف بحكام غرناطة والدور الثقافي ليهود غرناطة.

نأمل أن تكون قد استفدت من هذه الوحدة، ونرجو رجوعك لأهدافها في البداية؛ للتأكد من تحققها.

لمحة مسبقة عن الوحدة التالية

سنتناول في الوحدة التالية دولتي الموحدين والمرابطين. أولاً بدراسة دولة المرابطين في مراحل تأسيسها وعظمتها وحتى مرحلة الضعف، ثم دور المرابطين في الأندلس والصعاب التي قابلتهم هنالك.. مع دراسة معركة (الزلاقة)، ثم عزل المرابطين لملوك الطوائف. وفي قسم ثانٍ نأتي لدراسة دولة الموحدين، بالتعريف بها وبنشأتها. ونختتم الوحدة بالتطرق للأندلس منذ ضعف الموحدين وحتى سقوط غرناطة. نرجو أن تتحقق لديك الفائدة العظمى من تلك الوحدة.

إجابات التدريبات

تدريب (1)

1. عام 400هـ / 1009م.
2. توصل إلي أن عصر الطوائف مرحلة حتمية في تطور العناصر السكانية التي فتحت الأندلس.
3. لا، والراجح أن ظهور عصر الطوائف جاء نتيجة للسياسات الخرقاء وقصيرة النظر للخلفاء الأمويين بالأندلس.

تدريب (2)

1. هارون الرشيد.
2. علي على سبتة وطنجة، والقاسم على الجزيرة الخضراء.
3. في عام 407هـ / 1016م.
4. التقاف الناس حوله ، ونسبه القرشي.
5. صقالبة من بني مروان، وكان له من الأبناء يحيى الوالي علي العدو، وإدريس الوالي علي مالقة.

تدريب (3)

1. لأنها كانت السند الرئيس لدولة بني حمود.
2. دعمت ابني أخيه يحيى وإدريس ضده.
3. عام 416هـ / 1025م، أما مصير أبي القاسم فقد كان الأسر والسجن في 431هـ / 1039م.
4. انتهى نسبة لمقتل يحيى بن علي بن حمود علي يد أهالي إشبيلية وانتقل ملك بني حمود إلي مالقة.
5. هو إدريس بن، وهناك نفوذ لأبي جعفر احمد بن موسي و نجا الصقلبي.

تدريب (4)

1. دخلت في طاعة بني حمود بعد الخليفة المستعين ولكنها خرجت عن طاعته.
2. هو عطف بن نعيم.
3. محمد بن احمد الحميري الملقب بنجيب.
4. ادعائه بوجود الخليفة هشام المؤيد (الغائب) داخل مملكته.
5. لتخوفه من استبداده بالسلطة دونه أو لحساسية كانت بينهما.
6. تصديق الرعية له والتفافهم حوله.
7. هو المعتمد بن عباد وفي عهده تمت إضافة قرطبة لإشبيلية.
8. على يد المرابطين.

تدريب (5)

1. نعم، مثل: التقدم، والثقافة، والاقتصاد، والتاريخ المشترك، والجوار الجغرافي، والتجهيزات الدفاعية، والتركيبية السكانية... إلخ.
- 2.

- (1) احتفاظ غرناطة بعلاقات جيدة مع بني حمود وخروج إشبيلية عن طاعتهم.
- (2) وجود حدود مشتركة بين الدولتين حاولت إشبيلية التوسع داخلها.
- (3) فتح إشبيلية أبوابها أمام اللاجئين المناوئين لحكام غرناطة .. والعكس.
3. لأن ابن عمار كان يكره جنس البربر ويرى أن حكمهم كان السبب في خراب الأندلس.
4. كانت العلاقة قوية لالتزام إشبيلية بدفع الجزية لفشتاله منذ أيام الملك فيرناندو سانشو الكبير، ولكنها ساءت علي أيام المعتمد بن عباد لعدم اكتفاء الفونسو بالجزية فقط.

تدريب (6)

1. لأنها بعد تبنيها للمذهب المالكي خافت من أن يتخذ ستاراً لزرع الفرقة وتحقيق المكاسب السياسية.
2. كان للمعتضد بالله سجل خاص بالشعراء المعتمدين، وكان المعتمد لا يستوزر إلا شاعراً.

3. هم شعراء كثيرون مثل: أبو عامر بن مسلمة، وابن عمار الإشبيلي.

تدريب (7)

1. لأن الأسرة التي أسستها أسرة بربرية صنهاجية إفريقية وحديثة عهد بالأندلس ولتمتع اليهود بنفوذ قوي فيها.
2. الثأر من بني أمية.
3. زاواي ابن زيري.

تدريب (8)

1. (أ) 2. (ج) 3. (د) 4. (ب) 5. (د)

مسرد المصطلحات

Antonio ViVes	الباحث الإسباني أنطونيو بيس
Jerez de laFrontera	[مدينة] شرش
Comares	[مدينة] كمارش
Badajoz	[مملكة] بطليوس
Bobastro	[حصن] ببشتر
Tacina	[إقليم] طلسانة
Niebla	[مدينة] لبله
Silves	[مدينة] شالب
Saltis	[مدينة] شلطيش
Moron de la Frontera	وكورة مورور
Almeria	[مدينة] ألمرية
Alfonso VI	الفونسو السادس
Castilla	قشتالة
Pelayo	بلاي
Sierra Nevada	جبل شلير
Loja	[مدينة] بلوشة
Jenil	[نهر] شنيل

المصادر المراجع

المصادر المراجع العربية

1. ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. ق 1، ج 1، وق 2، ج 1، ليبيا . تونس، 1978 م
2. ابن الأبار، الحلة السيرة. القاهرة، 1963م.
3. ابن الخطيب، أعمال الأعلام. تحقيق إ. ليفي بروفنسال، بيروت، 1956م.
4. ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة. ج 1، القاهرة، 1973م.
5. ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس. تحقيق العبادي أحمد مختار، مدريد، 1975م
6. ابن بلقين، عبد الله، مذكراته، تحقيق بروفنسال، مصر، 1955م.
7. ابن حزم، رسائل ابن حزم. تحقيق إحسان عباس، ج 2، ج 3، بيروت، 1981م.
8. ابن خاقان، الفتوح، قلائد العقيان. مصر، 1320هـ.
9. ابن خلدون، عبد الرحمن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر في ملوك العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج 6، بيروت، 1966م.
10. ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب. ج 1، القاهرة، 1955م.
11. ابن عذاري، المراكشي، البيان المغرب... ج 2، ج 3، بيروت، 1983م.
12. ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. القاهرة، 1983م.
13. أشباح، يوسف، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين. القاهرة، 1958م.
14. الحميري، ابن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار. بيروت، 1975م.
15. الحميري، أبو الوليد، البديع في وصف الربيع. جدة، 1987م.
16. العذري، نصوص عن الأندلس. من كتابه ترصيع الأخبار...، تحقيق عبد العزيز الأهواني، مدريد، 1965م.
17. المراكشي، عبد الواحد، المعجب في أخبار المغرب، الدار البيضاء 1978م.
18. المقرئ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس ج 4،

بيروت، 1968م.

19. بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس. بيروت (بدون تاريخ)،.

20. عبد الحليم، رجب محمد، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في

عهد

بني أمية. بيروت (بدون تاريخ)،.

21. البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا. تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، بيروت ،

1968م،.

المراجع الأجنبية

22. Antonio Vives y Escudero, **Monedas de los dinastios Arabigo Espanol**. Madria, 1893,.
23. Cl. Sanchez- Albornoz, , **La Espana Musulmana**, Madria, 1973.
24. David Gonzalo Maeso, **Garanat Al- yahud**. Granada, 1990.
25. E. Ashtor, **The Jews of Moslem Spain**, VoL.111, Philadelphia, 1973.
26. E. levi Provencal, **Histoire de l'Espagne Musulmane**, Paris 1950.
27. Emilio Garcia, **Elsiglo XI en I, persona**, Madrid (1981).
28. H. R. Idris , **Les Zirides d, Espagne , Revista Al- Andalus**. Madrid, 1964.
29. Luis Suarnez Fernandez, **Les Juifs Espanols**. Gallinard, 1983.
30. Jose Luis Asian Pena , **Elementos de Historia de Espana**. Barcelona, 1953.
31. Juan Vernet, **Les traditions sientifique dans l, Espagne du XI, siecle**, Le Cahiers de Tunisie , No 69 et 70, Tunis, 1970.
32. Manuel Garcia Rato, **La literature Espanola en la lengua arabe** , el periodico l, Opinion , 7-2-, 1993.
33. Miguel lafuente, **Historia de Granada**, T.I, Granada 1992.
34. Sasoon , **D.S., Diwan Samuel Hannagid**, Oxford, 1934.



محتويات الوحدة

الصفحة	الموضوع
155	المقدمة
155	تمهيد
156	أهداف الوحدة
157	1. دولة المرابطين
157	1.1 التعريف بدولة المرابطين
161	2.1 ضم المرابطين الأندلس لملكهم بمراكش
166	3.1 دور المرابطين في الدفاع عن الأندلس
181	2. دولة الموحيدين
181	1.2 التعريف بدولة الموحيدين
187	2.2 دور الموحيدين في الدفاع عن الأندلس
191	3.2 الأندلس منذ ضعف الموحيدين وحتى سقوط غرناطة
197	الخلاصة
197	لمحة مسبقة عن الوحدة التالية
198	إجابات التدريبات
202	مسرد المصطلحات
204	المصادر و المراجع

المقدمة

تمهيد

عزيزي الدارس،

نرحب بك معنا في الوحدة الرابعة من هذا المقرر وهي بعنوان، (دولتا المرابطين والموحدين بالأندلس) وتتكون من قسمين، تحتل دولة المرابطين القسم الأول، والذي يعرفك بدولة المرابطين من حيث المصطلح ومرحلة التأسيس ومن ثم مرحلة الازدهار (العظمة) وتليها مرحلة الضعف والسقوط، كما يشرح لك هذا القسم أهم الأسباب التي دفعت المرابطين لضم الأندلس لملكهم في المغرب والكيفية التي تم بها ذلك، بالإضافة إلى دور المرابطين في الدفاع عن الأندلس ضد تحركات الممالك الأندلسية (الأسبانية) النصرانية.

يتناول القسم الثاني دولة الموحدين ويبدأ بتعريف دولة الموحدين من حيث النشأة والتكوين ودور المهدي ابن تومرت (محمد بن عبد الله) في ذلك. وينتقل بك القسم إلى دور الموحدين في الدفاع عن الأندلس ووحدتها بعد أن استبد بها الحكام المسلمون، واقتطاع النصارى لأجزاء كبيرة منها. ومن بعد ذلك تدهور دولة الموحدين وضعف سيطرتهم على الأندلس حتى سقوط غرناطة.

عزيزي الدارس رجاءً توقف عند كل أسئلة تقويم ذاتي وتدريبات وأنشطة تجدها داخل هذه الوحدة لأنها تساعدك في فهم هذه الوحدة ومن ثم نرجو منك أن لا تبخل علينا بنقدها وتقييمها وإبداء الرأي فيها.

أهداف الوحدة



عزيزي الدارس، بعد فراغك من دراسة هذه الوحدة ينبغي أن تكون قادراً على أن:

1. تعرّف بنشأة وتأسيس دولتي المرابطين والموحدين.
2. تصف دوافع كل دولة لضم الأندلس ودورها هناك.
3. تشرح أحداث الحروب التي خاضها الموحدون من أجل حماية الأندلس.
4. تبين أحوال الأندلس علي أيام مملكة غرناطة.

1. دولة المرابطين

سينحصر حديثنا عن دولة المرابطين في التعريف بها، وسيطرتها على الأندلس، ودورها في الدفاع عن الأندلس من تحرشات النصارى.

1.1 التعريف بدولة المرابطين

أولاً: مرحلة التأسيس

مصطلح المرابطين أطلق على قبائل صنهاجة التي تعمر صحاري المغرب الأقصى، وهي قبائل كثيرة منها: جدالة ولمتونة ومسوفة ولمطة ومسرارة. وكانت معظمها على دين الإسلام، إلا أن إسلامها كان مشوهاً وممزوجاً بالقيم والتقاليد الجاهلية؛ لجهلها بتعاليم الإسلام. ومن حسن طالعها أن أحد زعمائها وهو الأمير يحيى بن إبراهيم قد ذهب لأداء فريضة الحج. وفي طريق عودته إلى بلاده مر بالقيروان، ومكث فيها أياماً مداوماً على الحضور لحلقات الدرس التي كان يقيمها الفقيه أبو عمران الفاسي. ومن خلال استماعه وتمعنه في القضايا الفقهية والدينية المطروحة من قبل أبي عمران، والأسئلة والاستفسارات التي وجهها إليه تلاميذه وإجاباته عنها، اتضح ليحيى جهله وجهل قومه بتعاليم الإسلام، فطلب من الفقيه أبي عمران أن يبعث معه أحد تلاميذه ليفقهه هو وقومه في الدين. فعرض أبو عمران المشروع على تلاميذه، فلم يتحمسوا له، وأبدوا فتوراً نحوه، لعلمهم بقسوة الحياة في الصحراء، ولذلك صرف أبو عمران النظر عنهم وأعطى يحيى خطاباً لأحد تلاميذ بالسوس الأقصى، وهو الفقيه وجاج بن زولو اللمطي، وطلب منه إرسال أحد تلاميذه مع يحيى ليقوم بأعباء تفقيه يحيى وقومه في أمور دينهم، فوقع الاختيار على عبد الله بن يس الجزولي (ابن عذاري، 1983م، ج4، وابن أبي زرع، 1972م).

دور ابن يس في تأسيس الدولة

لم يكن ابن يس فقيهاً تقليدياً، بل كان رجلاً طموحاً غيوراً على دينه، عالماً بالسياسة ومتطلباتها وشروطها (ابن أبي زرع، 1972م)، تمكن من خلال رحلاته في طلب العلم من الإلمام بأحوال دول المسلمين وغيرهم من الملل بالمغرب والأندلس، والوقوف عن

كثب على حالة الضعف والفرقة التي يعيشونها. فحزت في نفسه وضعية المسلمين المتردية، وربما كانت هي الدافع الأساسي له لتلبية طلب شيخه وجاج للذهاب مع يحيى بن إبراهيم للصحراء (ابن عذاري، 1983م، ج4، ومجهول المؤلف، الحلل الموشية، 1975م، وابن الأحمر، 1972م). والتفكير في استغلال الطاقات البشرية المتوفرة هنالك في رسم مشروع سياسي إصلاحي للأخذ بيد المسلمين وإخراجهم من نفق الضعف إلى بر الإيمان والقوة. وتزداد هذه الفرضية قوة إذا أخذنا في الاعتبار بأنه كان على علم بكثرة أعداد صنهاجة الصحراء.

باشر ابن ياسين مهمته في الصحراء فبدأ في تبصير جدالة بأمور دينهم وضرورة توحيد كلمتهم، فنجح في ذلك، كما استطاع إرغام لمتونة على الدخول في طاعة جدالة. ولكن بعد وفاة الأمير يحيى اختلف الجدلون مع ابن يس، فاضطر إلى الارتحال إلى خصمهم لمتونة فأكرمه زعيمها يحيى بن عمر. فانتهاز هذه الفرصة وبدأ يعد العدة لتأديب جدالة وإعادتها للطاعة. فتم له ما أراد بكل سهولة ويسر، كما تمكن أيضاً من إدخال قبيلة مسوفة في طاعته. فذاع صيته في الآفاق، وتسارعت القبائل الصنهاجية الصحراوية الأخرى لمبايعته، والدخول في طاعته (ابن عذاري، 1983م، ج4).

كان ابن يس واعياً منذ الوهلة الأولى بدوره التاريخي، واضعاً في الحسبان مشروعه الإصلاحي السياسي الديني، وهذا واضح في اهتمامه بأخذ الزكاة والعشر من أتباعه وتوظيف عائدها في شراء الزاد والعتاد، وإعداد الجيوش وتسييرها لحرب أعدائه وأعداء الإسلام. وبهذا التدبير تمكن من توحيد قبائل صنهاجة تحت زعامة لمتونة السياسية، والاحتفاظ لنفسه بالزعامة الدينية، وإن كان هو في حقيقة الأمر، يجمع بين الزعامتين (ابن أبي زرع، 1972م، و Cl.Sanchez- Alborno, 1973). أما عن تنازله الظاهري عن الزعامة السياسية فإن دل على شيء فإنما يدل على وعيه بالقوانين التي تحكم العمل السياسي في عصره.

وبعد تأكد المرابطين من وحدة صفوفهم، ونجاح دعوتهم في بلادهم، وكمال عدتهم وعتادهم، تطلعت أنظارهم للعب دور سياسي أكبر، فوقع اختياريهم على الزحف نحو

الغرب للاستيلاء على النافذة المؤدية إلى تجارة الجنوب، التي كانت مدينة سجلماصة المركز التجاري الرئيسي لها، والسيطرة على الطريقين التجاريين، الساحلي والأوسط (بوتشيش ، 1993م). فتمكنوا من الاستيلاء على سجلماصة ودرعة اللتين كانتا تابعتين لزناتة المغراويين بعد معارك خاضوها ضد الأخيرين فقدوا خلالها زعيمهم السياسي يحيى بن عمر، وكان ذلك في عام 448هـ/1056م، فخلفه أخوه أبوبكر بتزكية من ابن ياسين فواصل أبو بكر سياسة سلفه التوسعية، فاستولى على أغمات وريكة وجعلها مركزاً لدولته، ثم انطلق منها إلى تامسنا التي كانت تسكنها قبائل برغواطة فامتدت عن الدخول في طاعته، فدخل معها في حروب استشهد أثناءها عبد الله بن ياسين في 24 جمادى الأولى 451هـ/8 يوليو 1059 م ودفن بموضع بتامسنا، يعرف بكريفة، فواصل أبو بكر الحرب ضد برغواطة وقبائل زناتة، وحقق عليها انتصارات هامة، وكان يده اليمنى في كل ذلك ابن عمه يوسف بن تاشفين (ابن عذاري، 1983م، ج4، وابن أبي زرع، 1972م).

ثانياً: مرحله العظيمة

لم يستقر أبو بكر بالمغرب بعد وفاة ابن ياسين لوصول أنباء بحدوث اضطرابات في الصحراء اضطرت له للتوجه لوضع حل سريع لها، فترك ابن عمه يوسف بن تاشفين ليدبر الدولة نيابة عنه (ابن أبي زرع، 1972م).

واصل يوسف إكمال مجهودات موكله فاهتم ببناء وتعمير مدينة مراكش، والاحتفاظ بالسيطرة على المغريين الأقصى والأوسط، وتقوية الجيش، حيث قام بتغذيته بعناصر فنية من الأتراك الغز والعبيد تقدر بألفين وبمائتين وأربعين فارساً من علوج الأندلس (ابن عذاري، 1983م، ج4، وهويكنز، 1980م). وهذه الاستعانة المبكرة بالمرتزقة قد تعنى ثقة المرابطين بأنفسهم (التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج5). أما على الصعيد الإداري فقد اهتم يوسف بتدوين الدواوين، وصك العملة. أما على المستوى السياسي فقد بدأ يهيئ الرأي العام والخاص لقبوله زعيماً سياسياً، ويخطب ود قبيلتي زناتة وصنهاجة، فكللت مساعيه بالنجاح (ابن عذاري، 1983م، ج4، وابن أبي زرع، 1972م).

رجع أبو بكر من الصحراء، فشرع برغبة يوسف بالاستبداد بالسلطة دونه، وبقوة موقفه، فاضطر للتنازل له عنها، والرجوع إلى الصحراء لمواصلة الجهاد منها في بلاد السودان، وظل حاله هكذا إلى أن استشهد في إحدى معاركه هنالك في 468هـ/1075م (ابن عذاري، 1983م، ج4، ومجهول المؤلف، الحل الموشية، 1975م).

وفي عهد يوسف توسعت الدولة المرابطية فأصبحت تمتد في المغرب من جزائر بني مزغنة إلى طنجة إلى آخر السوس الأقصى إلى ساحل الذهب من بلاد السودان، وبالأندلس من مدينة أفرغة في أقصى الشرق وأول بلاد الإفرنجية إلى آخر أعمال شنترين والأشبونة على المحيط الأطلسي بجهة الغرب. وفي علم 500هـ/1106م توفي يوسف بن تاشفين (ابن أبي زرع، 1972م)

تدريب (1)



1. أذكر أسماء أربع من قبائل صنهاجية.
2. ماذا كسب بن يس من رحلاته لطلب العلم ؟
3. متي توفي يحيى بن عمر؟ ومن هو خليفته؟
4. بماذا اهتم يوسف بن تاشفين في مجال الإدارة والسياسة عندما تركه أبوبكر ليدير شؤون الدولة؟
5. هل سار يوسف بن علي على سياسة أبيه في الجهاد؟
6. ما هي العوامل الخارجية التي أدت إلى ضعف دولة المرابطين؟

ثالثاً: مرحلة الضعف والسقوط

خلف يوسف ابنه علي وسار على سياسة أبيه فيما يخص الجهاد في الأندلس ولكن تركيبته النفسية تختلف عن أبيه حيث كان يميل إلى التنسك والعبادة أكثر من الانشغال بالسياسة وقضاياها واشكالياتها فاستغل الوزراء والفقهاء هذه الثغرة، فكثر تدخلهم

في شؤون الدولة، وأصبحوا يواجهون سياساتها لخدمة مصالحهم الخاصة، و إشباع رغباتهم، وتحقيق طموحاتهم فانعكس ذلك سلباً على أوضاع الدولة السياسية والأمنية والاقتصادية والاجتماعية. وفي هذا الأثناء ظهر الموحدون وتمكنوا من استغلال هذه الوضعية في تنظيم وتقوية صفوفهم، وتحقيق بعض الانتصارات على المرابطين. وبعد وفاة على وأيلولة الخلافة إلى ابنه ناشفين ازداد نشاط الموحيدين العسكري وتمكنوا من هزيمة ناشفين بتلمسان وقتله في 27 رمضان 539هـ/ 24 مارس 1145 م، فبيع لابنه إبراهيم من بعده. ثم عدل عنه إلى عمه اسحاق بن علي، الذي اضطر للاستسلام للموحيدين حينما قدموا إلى مراكش، فقتلوه (البندق، 1971م). وبموته أسدل الستار على دولة المرابطين وحلت مكانها دولة الموحيدين.

2.1 ضم المرابطين الأندلس لملكهم بمراكش

كان أول جواز للمرابطين للأندلس في عام 479هـ/1086م بطلب من ملوك الطوائف لمعاونتهم في جهادهم ضد الفونسو السادس ملك قشتالة Castilla. ثم عبروا للمرة الثانية، بطلب أيضاً من الملوك أنفسهم في عام 481هـ/1088م (جاد الرب، المرابطون وعزل ملوك الطوائف بالأندلس، مجلة دراسات إفريقية العدد السابع والعشرون)، وستأتي تفاصيل ذلك في الوحدة القادمة. وقد أتاح الجواز إلى الأندلس الفرصة للمرابطين للوقوف على أحواله السياسية، وإمكانياته الاقتصادية، وتركيبته السكانية، ومدى التجانس بينها، ونظرتها إلى حكامها، ونوعية العلاقة القائمة بينها وبينهم وبين الحكام أنفسهم، والمهددات الحقيقية للأمن والاستقرار بالأندلس. وقد كانت خلاصة هذه المعاينة والمعايشة هي اتخاذهم القرار بضم الأندلس إلى ملكهم بمراكش.

من الصعب تحديد عوامل بعينها والجزم على أنها قد كانت المحرك الأساسي لقوى سياسية معينة لاتخاذ قرار بعينه، لأن القرار مصدره الإنسان، والسلوك الإنساني سلوك معقد لتشابك العوامل المؤثرة فيه - نفسية، واجتماعية، واقتصادية...، ولكننا من

خلال دراستنا لأحوال المرابطين وملوك الطوائف في الأندلس توصلنا إلى أن الأسباب الآتية ربما كانت هي المحرك الأساسي لهم لاتخاذ قرار الضم.

أولاً: موقع الأندلس

يحتل الأندلس موقعاً استراتيجياً بالنسبة للمغرب، إذ لا يفصل بينهما سوى مضيق جبل طارق، وهذا الموقع يمكن أن تستغله القوى المعادية للإسلام بالأندلس لضرب المغرب إذا نجحت في إخضاع ملوك الطوائف إلى سلطانها. ومن هنا فإن حكمة السياسة تفرض على المرابطين سبق أعدائهم في السيطرة عليه.

ثانياً: إنقاذ الأندلس من الوقوع في يد الفونسو السادس

لمس يوسف بن تاشفين من خلال تواجده بالأندلس مدى تقاعس ملوكه عن الجهاد في سبيل الله، وعمق هوة الخلافات بينهم ووقوعهم فريسة في يد الفونسو السادس، وابتزاز هذا الأخير لهم، وتوجيه ما ابتزهم منهم من أموال في بناء جيشه، وتقوية دولته، استعداداً لعزلهم، وإرجاع الأندلس نصرانية كما كانت. وقد بدأ في تنفيذ هذا المشروع فاحتل طليطلة عام 478هـ/ 1085م، وبدأ يمارس الضغوط على ملوك الطوائف ليتنازلوا له عن مناطق هامة في دولهم (ابن بلقين، 1955م و ابن أبي زرع، 1972م)، ولذلك شعر ابن تاشفين بأن الواجب الديني يفرض عليه المسارعة في اتخاذ قرار الضم لإنقاذ الأندلس من سيطرة الفونسو السادس.

ثالثاً: الاستفادة من إمكانيات الأندلس الاقتصادية

يتمتع الأندلس بإمكانيات اقتصادية هائلة، فهو يمتلك أراضي فلاحية شاسعة، ومصادر مياه كثيرة ومتنوعة، وثروة حيوانية وسمكية، هذا إضافة إلى المعادن كالحديد والنحاس والذهب (الإدريسي، بدون تاريخ، ج5). ولكن إمكانياته هذه غير مستغلة استغلالاً كاملاً بسبب انفراط حبل الأمن، كما أن الجزء المستغل منها موظف في إشباع رغبات ونزوات ملوك الطوائف، وفي إرضاء الفونسو السادس. وهذا التوظيف من شأنه أن يقلب هذه الخيرات والنعم إلى نقمة إذا ترك الأمر هكذا، لأنها ستؤول إلى الفونسو

السادس وسيوجهها ضد الإسلام والمسلمين (ابن بلقين، 1955م، و Emilio Garcia)
(Garcia)

رابعاً: الخوف من تحالف ملوك الطوائف مع الفونسو السادس ضد المرابطين

بعد عجز ابن تاشفين وملوك الأندلس عن اقتحام حصن لبيب Aledo اضطر ابن تاشفين للرجوع إلى المغرب لحسم بعض القضايا العاجلة هنالك. فتيين لبيع دول الطوائف كغرناطة ضعف موقف المرابطين أمام الفونسو على الرغم من انتصاراتهم السابقة عليه، فسارعت إلى الاعتذار له، وجددت عهودها السابقة معه، ودفعت له ما عليها من متأخرات، لكي تضمن عدم اعتدائه عليها والثأر منها لموالاتها عدوه ابن تاشفين (ابن بلقين، 1955م). فوصلت أنباء تحركاتها هذه إلى ابن تاشفين، فخشي من ازدياد مساحة هذا التحالف. لأنه سيصبح عقبة أمام رغبته في الجهاد في الأندلس، وخطراً يهدد دولته بالمغرب. ولهذا كان من الطبيعي أن يسارع إلى القضاء على هذا الداء قبل أن يستشري أمره.

خامساً: الخوف من تحالف غرناطة مع عصبيتها بإفريقية والمغرب الأوسط

تنتمي الأسرة التي أسست غرناطة في القرن الخامس الهجري إلى أسرة بني زيري الحاكمة بإفريقية والمغرب الأوسط، وهذا الانتماء من شأنه تسهيل التحالف بينهما، خاصة وأن كلا الدولتين تشعران بخطر الدولة المرابطية على وجودها السياسي (ابن بلقين، و E. Levi Provencal, 1950)

ونتيجة لكل العوامل السابقة وغيرها اتخذ المرابطون قرار عزل ملوك الطوائف بالأندلس وضم ملكهم إلى دولتهم بالمغرب. وضع المرابطون خطة محكمة لعزل ملوك الطوائف تدل على مدى نضجهم السياسي وعلو كعبهم في مجال التخطيط والتنفيذ، تقوم على الآتي:

أولاً: إحاطة المشروع بالسرية التامة

جاز يوسف بن تاشفين للمرة الثالثة إلى الأندلس في عام 483هـ/ 1090م بنية عزل ملك غرناطة وبقية ملوك الطوائف. ولكنه تظاهر بأنه يريد الجهاد ضد الفونسو السادس، وطلب من ملوك الأندلس المجيء كالعادة، لاستقباله والتوجه معه. كما أن ملوك الأندلس قد اطمأنت قلوبهم له، وظنوا أنه لن يقدم إلى خلعهم إلا بعد حسم صراعه ضد الفونسو السادس (ابن بلقين، 1955م).

ثانياً: استعمال أسلوب المباغثة

لم يفصح ابن تاشفين عن نواياه الحقيقية تجاه أول ملك من ملوك الطوائف يريد خلعه وهو الأمير عبد الله بن بلقين، إلا بعد أن أصبحت كل المنافذ المؤدية من وإلى دولته تحت السيطرة الكاملة لجنده

ثالثاً: استعمال أسلوب فرق تسد

كان ابن تاشفين على قناعة تامة بأن مشروعه الرامي إلى خلع رؤساء الأندلس لن يكمل بالنجاح إذا اجتمع رأي هؤلاء الرؤساء على الوقوف ضده، وأن ابتداء مشروعه بخلع صاحب غرناطة لن يكتب له النجاح إذا لم ينل مباركة المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية، ولذلك كاشف المعتمد وصارحه، لتحبيده من النزاع وأقنعه بأن صاحب غرناطة قد خان المسلمين، لتحالفه مع عدوهم الفونسو السادس، ولذلك لا بد من عزله، وأنه لا يرغب في ضم غرناطة لملكه لبعد المسافة، ولا يثق في شخص غيره ليوكل أمرها إليه (ابن بلقين، 1955م).

رابعاً: التدرج في التنفيذ

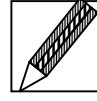
رسم المرابطون خطة لعزل رؤساء الأندلس تدل على امتلاكهم قدرات واسعة في التخطيط، ونظرات بعيدة لمسألة استدباب الأمن، ونجاح استكمال المشروع، والمحافظة على المكتسبات الجديدة، وتقوم هذه الخطة على الابتداء بالاستيلاء على الدول التي

تتحكم في المنافذ المؤدية إلى التغلغل داخل الأندلس والجواز منه إلى المغرب فاستولوا على غرناطة ثم انتقلوا منها إلى مملكة ألمرية Almeria، ثم واصلوا بعد ذلك في عزل من تبقى من الملوك والرؤساء وفقاً للخطة نفسها (ابن بلقين، 1955م).

خامساً: التذرع بضعف ملوك الأندلس واختلاف كلمتهم

كانت الأندلس في الوقت الذي ظهر فيه المرابطون كقوة سياسية بالمغرب هدفاً بالنسبة للفونسو السادس ملك قشتالة، الذي لم يكتف بالجزية التي كان يدفعها له كل رؤساء الأندلس (أشباح، 1958م، ج 1، و Jose Luis Asian Pena, 1953) بل امتدت يده إلى ما تحت أيدي هؤلاء الرؤساء من أراض، منتهزاً فرصة الخلافات والصراعات المسلحة التي كانت السمة المميزة لعلاقة هؤلاء الرؤساء ببعضهم البعض. وقد بذل المرابطون جهداً مقدراً لرأب الصدع، وتوحيد كلمة هؤلاء الملوك، وتصفية الخلافات بينهم، ومساعدتهم في التصدي لعدوهم المشترك الفونسو السادس، ولكن محاولاتهم قد باءت بالفشل ونتيجة لذلك أصبحت الأندلس مهددة بالسقوط في أيدي النصارى بقيادة الفونسو، الشيء الذي لم يترك خياراً أمام المرابطين سوى عزل ملوك الطوائف، وضم ملكهم إلى مركز دولتهم بمراكش، وتحمل مسؤولية الدفاع عن الأندلس، فكان لهم ما أرادوا.

تدريب (2)



1. ما هي أسباب ضم المرابطين الأندلس لملكهم بالمغرب؟
2. " وضع المرابطون خطة محكمة لعزل ملوك الطوائف تدل على مدى نضجهم السياسي وعلو كعبهم في مجال التخطيط والتنفيذ " على ماذا قامت تلك الخطة؟

أسئلة للتقويم الذاتي



- اجب عن الأسئلة التالية
1. وضح كيف تأسست دولة المرابطين على العصبية القبلية والدين؟
 2. لماذا قرر المرابطون ضم الأندلس لملكهم بالمغرب؟
 3. كيف استطاع المرابطون عزل ملوك الطوائف بالأندلس، وضم ممالكهم إلى ملكهم بالمغرب؟

3.1 دور المرابطين في الدفاع عن الأندلس

يمكن تقسيم الدور الذي لعبه المرابطون في الأندلس إلى مرحلتين، المرحلة الأولى وهي المرحلة السابقة لعزلهم لملوك الطوائف وفي هذه المرحلة انحصر دورهم في مد يد العون والمساعدة لإخوانهم ملوك الطوائف في جهادهم ضد الفونسو السادس. أما المرحلة الثانية فهي المرحلة التي أعقبت عزلهم لملوك الطوائف وفي هذه المرحلة وقع عليهم عبء الدفاع عن الأندلس بمفردهم وسنقوم بتسليط الضوء على كل مرحلة على حدة.

1.3.1 المرحلة الأولى

بالنسبة لدورهم في مساعدة ملوك الطوائف ضد الفونسو فقد ارتبط دور المرابطين في فترة ملوك الطوائف بحدثين هامين هما معركة الزلاقة وحصار حصن لبيب. وفيما يلي إبراز لكل واحدة على حدة

أولاً: معركة الزلاقة Labatalla de Zagrajas

في الوقت الذي كان فيه ملوك الطوائف يعيشون حالة من النزاعات والصراعات المسلحة بسبب رغبة كل واحد منهم في ضم ملك الآخر إلى ملكه، ودخوله في تحالفات مع مجموعة من الدويلات ضد مجموعة أخرى لأجل الوصول إلى أهدافه، ثم الانقلاب عليها لاتهامها هي الأخرى (ابن عذاري المراكشي، 1983م، ج3). كانت حينها دول إسبانيا النصرانية في الشمال تسير نحو التوحد لأجل استرداد الأندلس من المسلمين؛ فقد نجح فيرناندو الأول Fernando I في بسط سيطرته على مملكة قشتالة Castilla وليون Leon في عام 429هـ/1037م (عنان، 1960م). وفي عام 458هـ/1065م توفي فيرناندو الأول، ونفذت وصيته القاضية بتقسيم مملكته بين أبنائه، إلا أن ابنه الفونسو السادس Alfonso VI قد تمكن في عام 465هـ/1072م من إعادة توحيد المملكة مرة أخرى، وفرض نفسه ملكاً عليها بعد نضال طويل خاضه ضد إخوانه ومساعدات قدمتها له أخته أورাকা Urraca (أشباخ، 1958م)

انتهجت مملكة قشتالة وليون سياسة تجاه ممالك الطوائف بالأندلس تقوم على استنزافها مالياً، وإضعافها اقتصادياً وعسكرياً، بالزامها بدفع إتاوة سنوية، وتركها على حالها من الاحتراب، ومساعدة فريق ضد الفريق الآخر، ثم الزحف نحوها لاقتلاعها وإحياء ملك الآباء في مكانها (ابن بلقين، 1955م، و Bernard F. Reilly, 1962) وعندما شعرت قشتالة بنجاح سياستها تجاه ممالك الطوائف بالأندلس وضعت استراتيجية لانتزاع الأندلس تدريجياً من ملوك الطوائف. وفي 27 محرم 478هـ/25 مايو 1085م استولى الفونسو السادس على مملكة طليطية Toledo، (أشباخ، 1958م، ج1). ثم بدأ يتحرش بملوك الطوائف، وخاصة المعتمد بن عباد، ويتعدى حدود اللياقة في مخاطبته

وطلباته منهم، حيث طلب من غرناطة وإشبيلية التنازل له عن بعض المواقع الحساسة من ترابهما (الحميري، 1975م)، و أساء مندوبوه الأدب مع المعتمد؛ فقام المعتمد بقتل رئيسهم. ولما وصلت الأنباء إلى الفونسو بدأ يعدّ العدة للتأثر من المعتمد. وقد أتى تصرف المعتمد هذا في وقت نفذ فيه الرصيد المالي الموقوف إلى الحرب من قبل ملوك الأندلس لكثرة بذخهم وترفعهم، والإتاوات التي يقدمونها سنوياً إلى الفونسو السادس، وأصبح فرض ضرائب إضافية على الرعية . التي هي أصلاً مثقلة بالضرائب . أمراً محفوفاً بالمخاطر، لإرضاء الفونسو (بروفنسال، بدون تاريخ). وأمام هذه التحديات لم يكن أمام ملوك الأندلس من خيار سوى الاستعانة بالمرابطين، فاجتمع رأيهم على إرسال سفارة ليوسف بن تاشفين لشرح موقفهم، والأخطار التي تحدد بدولة الإسلام بالأندلس، وطلب عونه للحفاظ على عزة الإسلام وكرامة المسلمين بالأندلس (ابن بلقين، 1955م).

إن الأساس الذي قامت عليه دولة المرابطين هو الدين، ولذلك من الصعب على يوسف بن تاشفين رفض مد يد العون والمساعدة لإخوته بالأندلس في فترة كان الإسلام مهدداً بالزوال في تلك البقعة من أرض الإسلام. وفضلاً عن ذلك فقد أرسل ملوك الأندلس وفوداً رسمية يقودها قاضي الجماعة بقرطبة وابن زيدون وزير المعتمد بن عباد للالتقاء بابن تاشفين وشرح أوضاع المسلمين بالأندلس له، والتماس العون منه والمساعدة (ابن بلقين، 1955م، والحميري، 1975م، والمقري، 1968م، ج4). وعلاوة على ما سبق فإن المعتمد ابن عباد كتعبير عن حسن نواياه تجاه المرابطين تنازل لهم عن حصن الجزيرة الخضراء، الذي يتحكم في حركة التواصل ما بين المغرب والأندلس، وبالتالي فهو يضمن للمرابطين الاتصال بقواعدهم، واستمرار المدد العسكري، هذا وقد كان ابن تاشفين هو الذي طلب من المعتمد التنازل له عن الحصن وذلك بإيعاز من مستشاريه (ابن بلقين، 1955م، ومجهول المؤلف، الحلل الموشية، 1975م، و Jose (angel tapia garrido, 1976

تدريب (3)



1. متي نجح فيرناندو الأول في بسط سيطرته على مملكتي قشتالة وليون؟
2. على ماذا قامت السياسة التي انتهجتها مملكة قشتالة وليون منذ توحيدها، تجاه ممالك الطوائف بالأندلس؟
3. " من الصعب على يوسف بن تاشفين رفض مد يد العون والمساعدة لإخوته بالأندلس " لماذا؟

أ. وصف المعركة

بعد تمحيص ودراسة ابن تاشفين لطلب رؤساء الأندلس اتخاذ قراره بالعبور، وأعد الجيوش، وجهاز لها الزاد والعتاد. وقبل التحرك أرسل ابنه المعز لافتتاح سبتة، فافتتحها في ربيع الأول 477هـ / يوليو 1084م (ابن أبي زرع، 1972م). فتحرك هو بعد ذلك نحو سبتة، ثم أخليت له الجزيرة الخضراء، ولكن بعد تلكع، فعبر بجيوشه إليها. ومنها توجه نحو إشبيلية، وفقاً للاتفاقيات السابقة بينه وبين الوفود الأندلسية. فهب لاستقباله المعتمد ابن عباد، والتقى به خارجها، ثم اصطحبه هو وجنده إلى أماكن الضيافة المعدة لهم. ومن إشبيلية خاطب ابن تاشفين رؤساء الأندلس أجمعين حاثاً لهم على الخروج إلى الجهاد، والالتحاق به بإشبيلية فسارعت مجموعة منهم إلى تلبية ندائه وكان من بينهم الأمير عبد الله بن بلقين، الذي التقى بابن تاشفين حينما كان متوجهاً بجيوشه نحو بطليوس Badajoz، فبالغ في إكرامه، وقدم له الأمير عبد الله بعض الهدايا. وفي بطليوس تجمعت الجيوش الإسلامية، فبالغ المتوكل ابن الأفطس صاحبها في إكرام وفادتهم (ابن بلقين، 1955م، والحجي، 1994م).

أما عن الفونسو السادس فقد ركز اهتمامه على مواجهة الجيش المرابطي، وأوقف كل نشاطاته الأخرى، واستنفر إخوانه في الدين للوقوف إلى جانبه فاجتمعت إليه الجيوش

من كل أنحاء إسبانيا النصرانية، ومن الولايات الجنوبية لإيطاليا وفرنسا. فعمل على تعبئتها وتنظيمها. ولما تأكد له تمام قوتها وتماسكها، واكتمال عدتها وعتادها، زحف بها نحو ابن تاشفين وحلفائه ببطلينوس (ابن الكردبوس، 1975م، وأشباخ، 1958م، و Jose Angel Garrido , 1976). وعندما حل بضواحي المدينة أرسل إليه ابن تاشفين رسولاً ليعرض عليه اختيار واحد من خيارات ثلاثة وهي: الإسلام، والجزية والحرب، وفقاً للقاعدة المتبعة عند المسلمين، بالنسبة لأهل الديانات الأخرى. فاشتاط الفونسو ومن معه من الرهبان غضباً على المسلمين، وأعلنوها حرباً صليبية شعواء ضدهم (الحميري، 1975م). فوصلت أخبارهم إلى المسلمين، فكثفوا من استعداداتهم، وأكثروا من الحيلة والحدز، وقد كانت معسكرات الجيشين قريبة من بعضها البعض، إذ لا تتعدى المسافة بينهما الثلاثة أميال (ابن بلقين، 1955م). وعلى صعيد التنظيم الحربي فقد كان الجيش الإسلامي مقسماً إلى قسمين: الجيوش الأندلسية بقيادة المعتمد بن عباد، والجيوش المرابطية بقيادة يوسف بن تاشفين، وقد كانت تفصل بين الجيشين روبة (الناصري، 1954م)

إن الجيوش الإسلامية على الرغم من وحدة عقيدتها وهدفها متباينة من حيث التركيبة النفسية والقيم، الاجتماعية، وأساليب القتال، وتلقي الأوامر والتوجيهات عن القيادة العامة والفرعية، وأساليب المراقبة والتشجيع، والمعرفة بطبيعة الأندلس، واختلاف اللهجات، والتركيبة القبلية. وهذه العوامل السابقة تجعل الجمع بين هذه الجيوش أمراً محفوفاً بالمخاطر من الناحية الأمنية، كما أن مراقبتها وتوجيهها أثناء المعركة سيصبح أمراً بالغ التعقيد من الناحية العملية. ولتفادي كل هذه المثالب وقع الاختيار على الفصل بين الجيوش؛ على الأرجح.

وبعد استقرار طرفي النزاع على قرار الحرب، دارت مراسلات بينهما لتحديد يوم اللقاء، فحاول الفونسو أعمال الحيلة والمكر فأظهر نفسه كزعيم متسامح يحترم الديانات الثلاث: اليهودية والمسيحية والإسلام، فاقترح أن لا تبدأ الحرب في يوم الجمعة أو السبت أو الأحد، احتراماً لمشاعر الجند، الذين يتوزعون على هذه الديانات، فوقع الاختيار على يوم الاثنين 14 من رجب 479هـ/ أكتوبر 1086م ولكن ابن عباد كان على علم بمكر

الفونسو، ولذلك كان عيناً ساهرة له، وجواسيسه في حركة ويقظة مستمرة تواتيه بأخباره وتحركاته في كل لحظة، ولذلك حينما تحرك بجيوشه بنية الغدر والخيانة في يوم الجمعة 11 رجب من العام السابق الذكر كانت جيوش المسلمين على أهبة الاستعداد، فدارت معركة حامية الوطيس بين الجانبين انجلت لصالح المسلمين.

وقد نجا الفونسو بأعجوبة من الموت في كوكبة صغيرة من فرسانه، وهو مثقل بالجراح، بعد أن قتل معظم أفراد جيشه. أما الجيش الإسلامي فقد كانت خسائره في الأرواح أقل بكثير من خسائر خصمه، هذا وتعرف هذه المعركة في الكتابات الإسلامية بمعركة الزلاقة Labatalla de Zagrajas وفي الكتابات النصرانية بساكرالياس Sacralias (ابن الأثير، 1966م، ج10، والمراكشي، 1978م، والحجي، 1994م). وبعد مضي ثلاثة أيام على انجلاء المعركة رجع يوسف إلى المغرب لسماعه خبر وفاة ابنه أبي بكر الذي كان قد تركه بسبته لإصابته بعلته هنالك (ابن الكردبوس، 1975م).

تدريب (4)

1. ما هي المدن التي مر بها ابن تاشفين عند عبوره قبل معركة الزلاقة؟
2. من أين وصلت الجيوش الصليبية للفونسو السادس؟
3. لماذا وقع الاختيار على الفصل بين جيوش المسلمين قبل معركة الزلاقة؟
4. متى دارت معركة الزلاقة؟ وما نتيجتها؟



ب. عوامل النصر الإسلامي

إن تحديد عوامل معينة والجزم على أنها كانت وراء انتصار المسلمين في معركة الزلاقة أمر بالغ التعقيد، لأنه يتطلب الوقوف على معطيات كثيرة بعضها جغرافي وبعضها يخص التركيبة النفسية للقادة وللجند، ونوعية الأسلحة والتدريب، والقدرة على التخطيط وهذه المعطيات غير متوفرة أمام الباحثين المحدثين إما لعدم وجود المصادر عنها، وإما لانعدام الكتابة حولها أو ضياع ما كتب. ولكن مع ذلك حاولنا استنتاج

المعلومات المتوفرة لدينا، وقراءة ما خلف السطور فتوصلنا إلى عدد من العوامل رجحنا أنها كانت وراء النصر الإسلامي، وهذه العوامل هي:

1. افتقار جيوش الفونسو للانسجام والتدريب الكافي

تجمعت للفونسو السادس أعداد كبيرة من المتطوعين من داخل مملكته وخارجها. ومن أبجديات القيادة وإعداد الجيوش في مثل هذا الموقف إخضاع هؤلاء المتطوعين لفترة، لأبأس بها، من التدريب العسكري، وغسل أدمغتهم، ليحدث الانسجام والتوافق بينهم وبين أفراد الجيش النظامي، ويلتهب حماسهم، ويزداد اعتقادهم رساخة في قداسة الحرب التي هم بصددتها. ولكن هذه الجوانب لم يعرها الفونسو أي اهتمام يذكر، لأن عنايته كانت منصبة نحو الكم، لاعتقاده بأن النصر يجنى بكثرة الأعداد (الحميري، 1975م).

2. الخلاف بين الفونسو وابن عمه غرثية

يعود الخلاف بين الفونسو وابن عمه غرثية، وفقاً لما أورده صاحب الحل الموشية إلى إعجاب الأول بكثرة جيوشه وإدلائه ببعض التصريحات، التي تتعارض مع تعاليم الدين المسيحي أمام الثاني، وإصراره عليها، وعلى صحتها حينما تناقشا حولها، الشيء الذي أدى إلى تعميق الخلاف بينهما وانسحاب غرثية بالكتيبة المؤيدة له، والتي قدر عددها بألف فارس، من ميدان القتال (مجهول المؤلف، الحل الموشية، 1975م).

3. توغل الفونس بجيوشه داخل الأراضي الإسلامية

كانت وسائل الانتقال في تلك الفترة بدائية، وكذلك الحال بالنسبة للأدوية ووسائل الوقاية الطبية، والألبسة، ووسائل التجسس والاتصال، ولكن مع كل ذلك فقد توغل الفونسو في داخل الأراضي الإسلامية. فما هي نتائج هذا التوغل وانعكاساته على جيوشه؟ .

أدى توغل جيوش الفونسو في الأراضي الإسلامية إلى ابتعادها عن مواقعها الأصلية، ونقاط إمدادها بالغذاء والدواء والماء، وانكشاف ظهرها أمام أعدائها، وكذلك جعلها عرضة لانقطاع المؤن الغذائية في أي لحظة. وعلاوة على ذلك فإن الجند قد أصابهم الإعياء الجسمي والنفسي بسبب طول المسافة، وحمل السلاح، وحالة الاستعداد المستمرة.

4. استناد الفونسو إلى تجربته السابقة مع ملوك الطوائف

لم تكن للفونسو السادس تجربة قتالية سابقة مع جيش مسلم من خارج الأندلس، ورغم ذلك لم يعر دخول المرابطين كعنصر عسكري جديد في المواجهة معه أي اهتمام (ابن بلقين، 1955م).

5. ارتفاع الروح المعنوية للجيش الإسلامي

تميز الجيش الإسلامي بشقيه المغربي والأندلسي بارتفاع الروح المعنوي، فالجيش المرابطي كانت تعمر نفسه الثقة في الله وفي النفس، تلك الثقة التي غرستها ونمتها ورسختها الانتصارات التي حققها على أعدائه بالمغرب، والرغبة في الجهاد لإعلاء كلمة الله. أما الجيش الأندلسي فقد كانت هذه المواجهة مصيرية بالنسبة له، لأن خسرانها كان يعني خسران كل شيء، والوقوع تحت رحمة الفونسو، الذي لا يرحم، ولذلك تميز بصفاء النفس، ووحدة الكلمة، والإخلاص والجدية، وفقاً لتقويم الأمير عبد الله بن بلقين، وهو شاهد عيان. (ابن بلقين، 1955م)

6. رصانة خطة الجيوش الإسلامية

بعد دراسة وتأمل وقع اختيار قادة الجيوش الإسلامية على أن يكونوا في موقع الدفاع لا الهجوم، واختاروا منطقة تقع بالقرب من بطليوس، وهي الزلاقة، تتوافر على معطيات هامة على رأسها الماء الصالح للشرب، وسهولة وصول الامدادات إليها من بطليوس، والانسحاب منها إلى الأخيرة إذا دعت الضرورة، لتكون مكاناً يتريصون فيه لملاقاة الفونسو (ابن بلقين، 1955م). وقد كان لهذا الاختيار أبعاده، فالبنسبة للجندي فإن بقاءه داخل أراضيه يوفر له الراحة البدنية والنفسية، ويفرض عليه الاستماتة في قتال أعدائه. أما بالنسبة للتجمع الإسلامي، بصفة عامة، فقد وفر الثقة بين قادته، وذلك لأن خروج الجيوش الإسلامية من أراضيتها ومحاولتها التوغل في مملكة الفونسو ربما يفسره المرابطون بأنه ذريعة أو حيلة من الأندلسيين للتخلص منهم وعلاوة على ما سبق فقد وفر للقادة اختيار مكان يمكن من خلاله لكل واحد من الجيشين، المرابطي والأندلسي، أن يقاتل العدو المشترك من اتجاه معين، الشيء الذي يحافظ على خصوصية كل واحد

منهما ويسهل إدارة المعركة بالنسبة للقادة، ويجنبهم التناقض والازدواجية في القرارات والتوجيهات.

ج. نتائج نصر الزلاقة وانعكاساته

يعد نصر الزلاقة بصفة عامة من الأحداث المهمة في تاريخ الإسلام بالأندلس، لأنه أعاد للمسلمين الثقة في أنفسهم، وللأندلس سابق مجدها أيام الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر لدين الله، والحاجب المنصور ابن أبي عامر. وإذا نظرنا إليه نظرة تقويمية تأخذ بعين الاعتبار مصالح القوى الإسلامية التي شاركت في صنعه، وموقفها من بعده، فيمكن القول إن المرابطين قد خرجوا رابحين منه، لأنه أكسبهم شهرة في الأندلس، وحببهم إلى قلوب رعاياه، ومكنهم من الوقوف على حقيقة ملوك الطوائف ونظرة الرعية إليهم.

أما بالنسبة لملوك الطوائف سوى المعتمد بن عباد فإن النصر قد أخرج موقفهم أمام رعاياهم، لأنه أوضح مدى تقصيرهم وعجزهم عن الدفاع عن أراضيهم، وخضوعهم إلى الفونسو السادس. أما بالنسبة للمعتمد بن عباد فقد رفع النصر من مكانته في الأوساط الأندلسية للدور الكبير الذي لعبه في تحقيقه، ولكنه من جهة أخرى قد جر إليه الوبال، وذلك لأن الفونسو قد حمله ما لحق به من هزيمة وخسارات مادية وبشرية، وهدده بالثأر منه، وراسله بذلك ثم شرع في تنفيذ تهديداته (ابن أبي زرع، 1972 م).



1. ابرز الأسباب الكامنة وراء انتصار المسلمين في معركة الزلاقة.
2. "معركة الزلاقة من المعارك الهامة في تاريخ الإسلام في الأندلس." عرف وبأسبابها.
3. "ترتبت على نصر الزلاقة نتائج وتطورات مهمة، كانت لها انعكاساتها السلبية، وخاصة على مملكة إشبيلية." وضح ذلك.

ثانياً: حصار حصن لبيب

اختار الفونسو كوكبة من خيرة جنده، وجهزهم بالزاد والعتاد والمؤن، وحشدتهم في حصن لبيب، الذي كان قد استولى عليه ما بين عامي 475هـ و 479هـ/ 1083م و 1086م وأمرهم بالتسلل خلسة في أراضي ابن عباد، وضرب وتخريب المناطق الحساسة فيها، فقاموا بالمهمة خير قيام.

وقد ساعدتهم في أدائها إضافة إلى ما سبق تلك المساعدات الهامة التي قدمها لهم المستعربون والمسلمون المناوئون لابن عباد، وضعف ملوك الطوائف. فتضررت مملكة إشبيلية كثيراً من الضربات التي لحقتها من جند الفونسو المرابطين بالحصن، ولم تستطع اعتماداً على إمكانياتها الذاتية إزالة هذا الضرر، لذلك عبر صاحبها المعتمد إلى العدو المغربية، واتصل بابن تاشفين، وطلب منه العون والمساعدة، فوعده خيراً، وفي ربيع الأول 481هـ/ يونيو 1088م عبر ابن تاشفين بجيوشه إلى الأندلس (ابن بلقين، 1955م، و جاد الرب، المرابطون وعزل ملوك الطوائف بالأندلس، مجلة دراسات إفريقية، العدد 27)، وبعد نزوله بالجزيرة الخضراء خاطب رؤساء الأندلس، حاثاً لهم على الخروج بجيوشهم، والالتحاق به بحصن لبيب لإجلاء النصارى عنه، فلبى نداءه ابن عبد العزيز صاحب مرسية Murcia، والمعتمد بن عباد صاحب إشبيلية، وابن

صمادح صاحب ألمرية Almeria وعبد الله ابن بلقين صاحب غرناطة (ابن بلقين، 1955م، وابن أبي زرع، 1972م). وبعد اجتماع الجيوش الإسلامية عند الحصن ضربت عليه حصاراً مشدداً استمر لمدة أربعة أشهر، ولكنها لم تقدر عليه في شيء (ابن أبي زرع، 1972م).

وقد أدى طول الحصار إلى إضعاف الروح المعنوية للجند، وظهور الخلافات القديمة بين قاداته على السطح، كالخلاف بين المعتمد ابن عباد وابن صمادح على بعض المناطق، والخلاف بين المعتمد وقائده عبد الرحمن بن رشيق حول مرسية، وقد كان هذا الخلاف الأخير أخطرهما. وإذا كان ابن تاشفين قد استعمل الدهاء والفتنة، وحل المشكلة لصالح المعتمد، إلا أن أهل مرسية قد رفضوا ولاية الرازي بن المعتمد عليهم، وأصرروا على واليهم القديم ابن رشيق. ولما رأوا استحالة تحقيق مطلبهم قاموا بقطاع الميرة التي كانوا يقدمونها للجيوش الإسلامية المحاصرة للحصن، وراسلوا الفونسو السادس طالبيين منه المجيء لمساعدتهم ضد إخوتهم المسلمين (ابن أبي زرع، 1972م، وابن الخطيب، 1956م).

أدى تصرف أهل مرسية إلى إحراج موقف التحالف الإسلامي، خاصة وأن أوضاع الجند المعنوية والصحية والمعيشية قد تدهورت، وأن أنباء قد وصلت إليه بتحريك جيوش الفونسو لنجده جنده المحاصرين.

وأمام هذه الظروف المزرية اضطر ابن تاشفين لاتخاذ قرار العودة إلى المغرب، وحذا حذوه بقية ملوك الطوائف (ابن بلقين، 1955م، ومجهول المؤلف، الحل الموشية، 1975م). أما الحصن فقد بقي به جند الفونسو حتى عام 485هـ / 1091م حيث اضطر لسحبهم أمام اشتداد وطأة الجيوش المرابطية عليهم (Jose Angel Tapia Garrido, 1976).

2.3.1 المرحلة الثانية

بالنسبة لدورهم في الأندلس بعد عزلهم لملوك الطوائف، فقد بذل المرابطون جهداً مقدراً في توحيد كلمة ملوك الطوائف بالأندلس، ولم صفوفهم، لأجل تمكينهم من الوقوف في وجه تحركات الممالك الإسبانية النصرانية ضدهم، وخاصة مملكة قشتالة، ولم يبخلوا عليهم بالعون متى ما طلبوه منهم. ولكنهم أدركوا في نهاية المطاف أن استقامة هؤلاء الملوك من سابع المستحيلات، وأن مصلحة الإسلام بشبه الجزيرة الأندلسية تقتضي عزلهم وضم الأندلس إلى سلطانهم بالمغرب، وتعيين ولاية من قبلهم على الأندلس ليسوسوا أهله سياسة راشدة، ويوحدوا كلمتهم، ويكونوا يداً واحدة مع القوات المغربية التي سوف تتمركز في الأندلس لوقف اعتداءات النصارى على ترابه.

ولتسهيل إدارة الأندلس قسمه المرابطون إلى ست ولايات هي : إشبيلية وغرناطة وقرطبة ومرسية وبلنسية Valencia وسرقسطة وجعلوا قرطبة مقراً للوالي العام للأندلس وقائد الجيوش وفي بداية عهد علي بن يوسف نقل مقر الوالي إلى غرناطة ولكن في نهاية عهده أعاده مرة أخرى إلى قرطبة (أشباح، 1958م).

أما عن دور المرابطين الجهادي بالأندلس فإن يوسف بن تاشفين بعد جوازه الثالث للأندلس وعزله لملك غرناطة قد ترك مهمة استكمال العزل ورعاية شؤون الأندلس إلى قائده سير بن أبي بكر، فقام بالمهمة خير قيام وفي عام 490هـ / 1096م عبر يوسف إلى الأندلس عبوره الرابع لتفقد أحواله، وأرسل حملة بقيادة القائد محمد بن الحاج إلى طليطلة، التي أصبحت حاضرة مملكة قشتالة، فتمكن من إلحاق الهزيمة بجيوش الفونسو السادس قرب منشرة Consuegra، ولكنه لم يتمكن من استعادة طليطلة، وذلك في عام 491 هـ / 1097 م (ابن الكردبوس، 1975م).

وفي 8 جمادى الأولى 487هـ / 15 يونيو 1094 م استولى السيد القمبيطور Rodrigo de Diaz de vivar على مدينة بلنسية، فاهتزت لهذا النبأ الأندلس كلها. وتحركت الجيوش الإسلامية الأندلسية نحو المدينة لتحريرها بعد بضعة أشهر من سقوطها وضربت حصاراً عليها، ثم أصبحت تداوم غزوها، لكنها لم تقدر على

افتتاحها. وفي عام 493هـ/ 1099م توفي السيد القمبيطور، فخلفته زوجته خمينة على إدارة المدينة. ولكنها أمام اشتداد وطأة الجيوش المرابطية اضطرت إلى الاستنجاد بالفونسو السادس في عام 495هـ/ 1102م. فذهب إلى نجدها، ولكنه لما رأى كثرة الجيوش المرابطة التي يقودها أبو محمد المزدي قرر إخلاء المدينة وحرقها بعد خروج النصارى منها فنفذ قراره ثم جاءت الجيوش الإسلامية ودخلت المدينة. وذلك في رجب 495هـ/ مايو 1102م (ابن بسام، 1978م، ق1، ج1). ويعتبر هذا الحدث من أهم الأحداث في فترة يوسف ابن تاشفين بعد عزله لملوك الطوائف.

أما ابنه وخليفته علي فقد أولى الأندلس اهتماماً خاصاً فعبر إليها بنفسه في العام نفسه الذي تولى فيه السلطة، وعين أخاه تميماً قائداً أعلى لجيوشها، وأوصاه بمداومة الجهاد، فانتصح تميم له. فتوجه في بداية عام 501هـ/ 1107م صوب مدينة أقليم قاعدة كورة شنت برية santaver التي تقع في شرقي طليطلة، فضيق عليها الخناق، فاضطر الجيش القشتالي للإنسحاب منها، والتحصن بقصبتها المنيعة. فدخل الجيش المرابطي المدينة وضرب حصاراً على القصبة، فأرسل الفونسو السادس مدداً للمحاصرين بقيادة ابنه الوحيد وولي عهده شانجة Sancho مصحوباً بقائده الأعلى للجيش وعدد من كبار القادة فدارت معركة حامية بين الجانبين هزم فيها القشتاليون، وقتل قائدهم شانجو وذلك في 16 شوال 501هـ/ 29 مايو 1108م، وقد عرفت هذه المعركة بمعركة الأقماط. (الأمرء). السبعة Batalla de los siete Condes. وبعد عام من هذه المعركة توفي الفونسو السادس مكلوماً بوفاة ابنه، فأراح الله المسلمين من شره (ابن القطان، نظم الجمان، وابن الكردبوس، 1975م، وابن عذاري، 1983م، ج3).

وبعد وفاة الفونسو عبر علي بن يوسف إلى الأندلس، لأجل انتهاز فرصة وفاة الفونسو في استرجاع طليطلة، وذلك في عام 503هـ/ 1109م فتمكن من استرجاع بعض الحصون والمدن كمجريط Madrid ووادي الحجرة Uad aljara وطلبيرة Talavera، غير أنه لم يتمكن من استرجاع طليطلة (ابن القطان، نظم الجمان، وابن الأبار، 1375هـ، ج2).

وفي عام 508هـ/1115م اتسعت دائرة المواجهة النصرانية ضد مسلمي الأندلس، حيث تآمر حكام بيشة Pisa وجنوة Genoa وبرشلونة Barcelona ضد جزيرة يابسة Ibeza وميورقة Mallorca الإسلاميتين، ولكن الجيوش المرابطية قد تمكنت من استرجاعهما بعد عام وبضعة أشهر (ابن الكردبوس، 1975م). واضطرت جيوش الحلفاء للانسحاب.

لم تنثن هذه الهزيمة النصارى من عزمهم على طرد المسلمين من الأندلس، وإنما زادت من عزمهم. ففي شهر صفر من عام 512هـ/ مايو 1118م ظهر ابن رديمير (الفونسو الأول المحارب) ملك أراغون Aragon مدعوماً بقوات فرنجية، وضرب حصاراً على مدينة سرقسطة Zaragoza استمر أكثر من نصف عام، فاضطر أهلها للاستسلام، فدخلها النصارى وعاثوا فيها فساداً (ابن الأبار، 1963م، وابن الكردبوس، 1975م، وأشباح، 1958م) وقد جرت محاولات عديدة من قبل المرابطين لاستعادة هذه المدينة أشهرها تلك التي قادها أبو اسحاق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين والتي انتهت بوقعة قنتدة Cutanda التي جرت أحداثها في يوم الخميس 24 ربيع الأول 514 هـ/ يونيو 1120م واستشهد فيها كثير من العلماء. ولكن المسلمين لم يستطيعوا استرجاع المدينة (ابن الأبار، المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي).

رفعت المكاسب المادية التي حققتها الممالك النصرانية الإسبانية وحلفاؤها على حساب الإسلام بالأندلس من الروح المعنوية للنصارى المعاهدين بالأندلس. وخاصة نصارى غرناطة، وظنوا أنه بإمكانهم بالتعاون مع بني ملتهم طرد المسلمين عن الأندلس. فقاموا بمراسلة الفونسو الأول المحارب، وكشفوا له أسرار وخفايا التحصينات الدفاعية لغرناطة، وإمكانياتها الاقتصادية، وضعف أهلها وكثرة أعداد النصارى القادرين على حمل السلاح بها. ورغبتهم في التعاون معه لطرد المسلمين منها، واستعدادهم لعونه عسكرياً ومادياً واستخباراتياً. فنظر في طلبهم، وتحقق من صدق نواياهم، ثم توجهه في جيش بلغ أكثر من خمسين ألف مقاتل من سرقسطة في أول شعبان 519هـ/ سبتمبر 1125م نحو غرناطة وفي طريقه أهلك الحرث والضرع. ولما وصل إلى غرناطة ضرب عليها حصاراً

شديداً ولكنه لم يتمكن من دخولها، فاضطر إلى العودة إلى بلاده بعد مضي أكثر من عام على تحركه نحو غرناطة. وقد نتج عن هذه الحادثة تغريب النصارى المعاهدين إلى المغرب، وعزل تميم عن ولاية الأندلس وتعيين تاشفين بن علي بن يوسف في مكانه بفتوى من الفقيه القاضي أبي الوليد محمد أحمد بن رشد، الذي عبر إلى المغرب، وقابل الخليفة علي لأجل هذا الشأن (ابن عذاري، 1983م، ج3 وابن الخطيب، 1973م، ج1). وبعد فترة من الزمن أعاد الفونسو الأول المحارب الكرة على الأراضي الإسلامية ولكن الجيوش المرابطية قد تمكنت من هزيمته عند مدينة إفراغة Fraga التي تقع إلى الجنوب الغربي من لاردة Lerida في رمضان 528هـ/ 1134م (ابن الخطيب، 1956م). وقد كان لهذا النصر صدى طيب في الأوساط الإسلامية.

ظلت الدولة المرابطية بعد هذا النصر متماسكة، نسبياً، لفترة قصيرة من الزمن. ثم بدأ الضعف يشق طريقه إليها لتقشى الفتن، وظهور الانقسامات بداخلها. وفي هذا الوقت كانت الممالك الإسبانية النصرانية قد اتحدت كلمتها ضد عدوها المشترك وهو الإسلام، وتوفر لها الدعم والمساندة من ما وراء البورتات والمدن الإيطالية، فسارعت في انتهاز هذه الفرصة، وتمكنت من الاستيلاء على كثير من المدن والقلاع والحصون الأندلسية كالمرية في عام 542هـ/ 1147م وطرطوشة Tortosa في 16 شوال 542هـ/ 28 فبراير 1149م ولاردة Lerida في عام 544هـ/ 1149م. وهكذا تمزقت الأندلس وضعف موقف المرابطين بها، وظلت على هذه الحالة حتى ظهرت دولة الموحدين.



1. مَنْ مِنْ رؤساء الأندلس لبى نداء ابن تاشفين ولحق به في حصن لبيط؟
2. إلى متي بقي جند الفونسو السادس بحصن لبيط؟
3. إلى كم ولاية قسم المرابطون الأندلس حتى تسهل إدارته؟ وما هي؟
4. لماذا عبر علي بن يوسف إلى الأندلس عند توليته السلطة؟

2. دولة الموحدين

1.2 التعريف بدولة الموحدين

بدأ الضعف يدب في دولة المرابطين ابتداء من عهد الخليفة علي بن يوسف بن تاشفين، لميله إلى الزهد والتقشف ومجالسة العلماء، وتركه الحبل على الغارب فيما يخص الشؤون السياسية لنساء القصر، وأبناء الأسرة الحاكمة، والمتطلعين للسلطة من الفقهاء. فحاول كل منهم توجيه سياسية الدولة إلى الوجهة التي تخدم مصالحه، فكانت النتيجة ظهور الصراعات بين هذه العناصر المتنافسة. لتباين مصالحها وأهدافها، وضعف الدولة، وانتهاز أعدائها لهذه الفرصة لتحقيق أهدافهم وخاصة في الأندلس. ومن جانب آخر فإن الدولة كانت متعصبة للمذهب المالكي ومتحاملة على ما سواه، كما أن علماءها من المالكية قد عطلوا باب الاجتهاد وإعمال العقل في المسائل المتجددة، وأهملوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكثر المنكرات في الشوارع (المراكشي، 1978م، وحركات، 1984م، ج1، وبرو كلمان، 1965م).

وفي ظل الدولة المرابطية وفي أراضي قبيلة هرغة من البربر المصامدة بمنطقة السوس الأقصى ولد طفل في عام 486هـ/1093م، تقريباً. وهو محمد بن عبد الله، الذي اشتهر بالمهدي بن تومرت، كان له دور كبير في قلب موازين القوى بالمغرب، لذكائه وقدرته على استغلال ظروف عصره لصالحه. كان المهدي محباً للعلم منذ نعومة أظفاره.

حفظ القرآن كغيره من الأطفال في منطقته ثم شد الرجال طالباً للعلم في المغرب والأندلس والمشرق ومصر، وتتلذذ على أساطين العلماء هنالك كالإمام الغزالي والطرطوشي (ابن القطان، نظم الجمان، و ابن خلدون، 1966م، ج 6 و ابن الأثير، 1966م، ، ج 10). وقد تشبع من خلال جولاته بآراء الأشعرية وأعجب بطريقتهم في إعمال العقل للدفاع عن عقيدة السلف، وتمسك برأيهم في تأويل المتشابه من الآيات والأحاديث، وهذا يخالف ما عليه أهل المغرب، الذين لا يميلون إلى التأويل اقتداء بالسلف، كما أخذ من الفكر الشيعي القول بعصمة الإمام. وإضافة إلى ذلك فإن جولاته هذه قد مكنته من الوقوف على أحوال بلاده، وأرض الإسلام، وحفزته على التفكير في إنشاء دولة تقوم على أفكاره، لتأخذ بيد المسلمين إلى بر الإيمان. ولبلوغ هذه الغاية اختار مبدأً إسلامياً وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، و طبقه في مصر وفي السفينة التي ركبها للعودة من مصر إلى بلاده، وفي طرابلس والقيروان وتونس وبجاية، وكل المناطق التي مر بها وهو في طريقه إلى المغرب الأقصى (ابن صاحب الصلاة، 1964م، وابن خلدون، 1966م، والصنهاجي، 1971م).

وعن طريق هذا المبدأ تمكن من الالتقاء بالناس والوقوف على أحاسيسهم وهمومهم، ومدى استعدادهم للوقوف إلى جانب فكره الإصلاحية، وتأليبهم ضد المرابطين الذين تمسكوا بحرفية النص القرآني فوقوا في التجسيم والتشبيه في مجال العقيدة، خاصة وأن هذا المبدأ يلزم المؤمنين بمحاربة المنحرفين عن الإسلام. أما من ناحية الشريعة فإن استعمالهم لقياس الغائب على الشاهد قد أدى بهم إلى الابتعاد عن الأصول – القرآن والسنة – وقد تمكن ابن تومرت من استغلال هذه الثغرات، وطرح مشروعه الإصلاحية الذي يدعو إلى قراءة جديدة إلى النصوص الدينية تختلف تماماً عن تلك التي قامت بها المذاهب القائمة بالمغرب التي ابتعدت بفروعها المتسلسلة عن الأصول الأولى، وتفتح المجال لقيام حركة عقلانية نقدية جديدة (الجابري، 1985م).

وفي المغرب الأقصى اصطدمت دعوة ابن تومرت بالفكر الديني المسيطر، وسياسة الدولة، فدعي ابن تومرت إلى مناظرة الفقهاء المالكية في مجلس الخليفة علي

بن يوسف بمراكش. فتمكن ابن تومرت من إقحامهم بالحجج المنطقية، لمعرفته بعلم الكلام (ابن خلدون، 1966م، ج6، والمراكشي، 1978م) ولاستفادته من تجاربه السابقة. كشفت هذه المناظرة عن الأبعاد السياسية لدعوة ابن تومرت وخطورتها على المستقبل السياسي لدولة علي بن يوسف، وهذا واضح من نصح مجموعة من الفقهاء له بالتخلص منه بالنفي أو القتل أو الحبس، وإفتاء مجموعة أخرى بأن الدين لا يسمح بقتل رجل يدعو إلى الله (الصنهاجي، 1971م، و ابن خلدون، 1966م، وابن الأثير، 1966م، ج10). ولما وصلت أنباء هذه الفتاوي إلى ابن تومرت تيقن بأن السلطان لن يتركه وشأنه، ولذلك خرج من مراكش إلى أغمات، ثم إلى جبال المصامدة حيث وجد الاستقبال من زعماء قبيلة هنتانة، وعلى رأسهم الشيخ عمر بن يحيى المعروف بأبي حفص، جد حفصبي إفريقية. فعرض عليهم دعوته فدخلوا فيها.

وفي عام 514هـ/1120م ارتحل إلى بلاد سوس حيث توجد قبيلته، وبدأ ينشر فكره ودعوته، ويعرف الناس بعقيدة المهدي المنتظر، تمهيداً لادعاء المهدية، وقد نجح في ذلك حيث بايعه عشرة من أصحابه على أنه المهدي المنتظر (ابن خلدون، 1966م، Unesco, 1984) فأدى ذلك إلى توسع نطاق دعوته، فشعرت الدولة بخطورتها عليها. وطلبت من عاملها على سوس بالقبض على ابن تومرت، ولكن قبيلته هرغة قد رفضت تسليمه. فتيقن المهدي بأن المواجهة بينه وبين المرابطين قد أوشكت، فسارع في إعداد أصحابه وتعبئتهم للجهاد، فصدق حسه، وكللت مساعيه بالنجاح، واستطاع هزيمة جيش الحكومة، الشيء الذي أدى إلى ذبوع صيته، وتدافع القبائل البربرية في الدخول في دعوته، كهننتانة وتينمل، وتلقبه بالمهدي (ابن خلدون، 1966م، الاستقصاء، ج2).

وللحفاظ على المكاسب السياسية التي حققها، والاستمرار في تنميتها وتطويرها حتى يتحقق مشروعه الإصلاحية ارتحل المهدي بأصحابه وأتباعه إلى منطقة استراتيجية وحصينة، وهي جبل تينمل وهناك بنى مسجداً، ما زالت آثاره باقية إلى اليوم، وبدأ ينظم دعوته، فألف كتاباً في العقيدة وكتاباً في الفقه، ونظم أتباعه حيث كون من وجهائهم وأهل الحنكة والعصبية منهم مجلس العشرة، ومجلس الخمسين كمجالس استشارية في

الأمر السياسي والديني، ويوسع من نطاقها ويعد العدة للمواجهة الكبرى مع المرابطين. وبعد أن تأكد من اكتمال استعداداته العسكرية أرسل حملة إلى مراكش بقيادة عبد المؤمن بن علي القومي، الذي التحق بدعوة ابن تومرت عند مروره ببجاية، ولكنها لم توفق في مهمتها. ولما علم ابن تومرت بأمرها بشر أصحابه بأن النصر سيكون حليفهم ما دام عبد المؤمن على قيد الحياة. وبعد فترة وجيزة من ذلك توفي ابن تومرت دون أن يترك ذرية، لأنه لم يتزوج قط، ورجع عبد المؤمن بمن تبقى من جيشه (ابن القطان، نظم الجمان).

تدريب (6)



1. أين درس ابن تومرت ؟
2. ما هو المبدأ الذي عمل به بن تومرت؟
3. أين ناظر ابن تومرت فقهاء المالكية؟ وما نتيجة تلك المناظرة ؟
4. متى ارتحل ابن تومرت إلى بلاد السوس (موطنه الأول) ؟
5. كيف نظم ابن تومرت أتباعه؟

خلف ابن تومرت عبد المؤمن بن علي المزداد بقرية تاجرا من أعمال تلمسان بالمغرب الأوسط في عام 487هـ/1094م وهو من قبيلة كومية، إحدى قبائل زناتة. وقد اختلفت الروايات في التاريخ الذي تمت فيه البيعة العامة له بجامع تينملل، فهناك من يحددها في عام 524هـ/1129م، هنالك من يرى بأنها تمت في يوم الجمعة 20 ربيع الأول 526هـ/ وفبراير 1132م (المراكشي 1978م، وابن أبي زرع، 1972م). ويمكن التوفيق بين الروايتين بافتراض أن بيعة العشرة قد تمت له في التاريخ الأول. أما البيعة العامة فقد كانت في التاريخ الثاني وذلك لتهيئة الظروف المناسبة لها، خاصة وأن عبد المؤمن ليس من قبيلة المهدي. وبعد أن تأكد عبد المؤمن من اجتماع الناس حوله واصل مجهوداته للقضاء على المرابطين، فاستولى على درعة في عام 526هـ/1132م، ثم توجه إلى المغرب الأوسط فهزم قبائله المساندة للمرابطين، كما تمكن من هزيمة جيوش

المرابطين التي يقودها الخليفة تاشفين بن علي في عدة معارك، الشيء الذي اضطر تاشفين إلى اللجوء إلى وهران، وإرسال ابنه وولي عهده إبراهيم إلى مراكش. ومن جانب آخر فإن جيوش الموحدين بقيادة أبي حفص عمر قد حققت انتصارات عديدة بالمغرب الأوسط، وهزمت جيوش تاشفين في وهران. وتوفي تاشفين بعد الهزيمة في عام 539 هـ / 1144م، وخضع أتباعه إلى حكم الموحدين، ثم خضعت لهم تلمسان. وفي عام 540 هـ / 1145م توجه عبد المؤمن نحو مراكش وفي طريقه افتتح مدينة فاس، وسلا. ولما حل بمراكش ضرب عليها حصاراً مشدداً، وتمكن من افتتاحها في أواخر شوال 541 هـ / مارس 1147م، وقتل اسحاق بن علي بن يوسف آخر أمراء المرابطين (الصهناجي، 1971م، وحركات، 1984م). وبذلك أسدل الستار على دولة المرابطين بالمغرب، وحلت محلها دولة الموحدين.

واجه عبد المؤمن عدداً من حركات المقاومة، لكنه تمكن من القضاء عليها، كما تمكن في عام 555 هـ / 1160م من ضم إفريقية إلى ملكه، هذا إضافة إلى تحقيقه بعض الانتصارات في الأندلس. وفي عام 558 هـ / 1163م توفي عبد المؤمن بن علي ودفن بتينمل (الصهناجي، 1971م، ابن خلدون، 1966م، وابن خلكان، 1966م، ج3). وخلفه ابنه أبو يعقوب يوسف بإجماع من العامة والخاصة. ولكن مع ذلك فإن وصوله إلى السلطة قد أظهر عدم وجود نظم ثابتة ومتفق عليها لولاية العهد، لأن هذه الولاية قد كانت لأخيه محمد ولكن والده قد نجاه عنها قبل وفاته (ابن عذاري، 1983م، قسم الموحدين). كما أن ثلاثة من إخوانه قد امتنعوا عن البيعة له وهم : علي حاكم فاس وعبد الله حاكم بجاية وعثمان حاكم قرطبة، وبقي اثنان منهما على امتناعها حتى وفاتهما. أما الثالث وهو عثمان فقد تراجع عن رأيه وبايع لأخيه (Terasse, Histoire du Maroc, Vol. 1). وقد مكث يوسف فترته في جهاد مستمر ما بين المغرب والأندلس حتى وفاته في عام 580 هـ / 1184م (ابن أبي زرع، 1972م).

خلف يوسف ابنه يعقوب المنصور، الذي يعتبر من أعظم حكام الدولة الموحدية، لكثرة إنجازاته في المجالات المختلفة، فهو الذي بنى مسجد حسان بالرباط

ومسجد الكتبية بمراكش ومسجد إشبيلية وصومعته، وهو بطل معركة الأرك بالأندلس... وفي عام 595هـ/1198م توفي يعقوب المنصور (Encyclopedia of Islam, vol.I, 1946). وجاء من بعده ابنه الناصر لدين الله محمد وظهرت العديد من الفتن بالمغرب والاندلس في عهد الناصر وتمكن من إخماد جزء كبير منها. ويعتبر عهده امتداداً لعهد القوة في الدولة الموحدية. ولكن بعد هزيمة الناصر في معركة العقاب Las Nava de Tolosa في عام 609هـ/1212م، ووفاته في العام التالي، دخلت الدولة الموحدية في مرحلة الضعف، وبدأت العديد من الأماكن تتسلخ منها في المغرب والاندلس، فالحفصيون مثلاً استقلوا بحكم إفريقية في عام 627هـ/1229م واستمر الحال هكذا إلى أن تمكن بنومرين بقيادة يعقوب بن عبد الحق من دخول مراكش في عام 668هـ/1269م، وقتل عبد الواحد بن أبي دبوس آخر خلفاء الدولة الموحدية (المراكشي 1978م)، وبذلك انطوت صفحات مشرقة من تاريخ الغرب الإسلامي في العصور الوسطى.

تدريب (7)

هات تواريخ الحوادث التالية:

1. الاستيلاء على درعة.
2. وفاة تاشفين بن علي وخضوع اتباعه للموحدين.
3. ضم الموحيدين لمراكش.
4. ضم عبد المؤمن لإفريقية.
5. دخول يعقوب بن عبد الحق لمراكش.



2.2 دور الموحيدين في الدفاع عن الأندلس

ظهر الموحدون على الخارطة السياسية بالمغرب كقوة فنية يحدوها طموح كبير في الإسهام في النهوض بالمسلمين داخل المغرب وخارجه وبعد أن استقرت أوضاعهم

بالمغرب كان من الطبيعي أن تتجه أنظارهم نحو الأندلس باعتبارها امتداداً طبيعياً، وبعداً استراتيجياً للمغرب، وكل ما يحدث فيها تكون له انعكاساته على الساحة المغاربية وقتذاك، وقد كانت الأندلس عند ظهورهم تعاني من افتراق الكلمة، حيث استبد بعض الولاة المسلمين بما تحت أيديهم من أراضٍ كمحمد بن مردنيش الذي استبد بمرسية، وابن همشك الذي استبد بجيان Jaen وأعمالها إلى حصن شقورة، ولم يبق تحت أيدي المرابطين سوى قرطبة وإشبيلية، كما أن أجزاء كبيرة منها قد اقتطعها النصارى، وما زالت محاولاتهم مستمرة وجيوشهم معبأة لضم الجزء المتبقي لحوزتهم (المراكشي، 1978م).

ساء بعض وجهاء الأندلس ما آلت إليه بلادهم، ورأوا بثاقب فكرهم أن الخلاص لن يكون إلا بوساطة الموحدين، فعبروا إليهم في عام 540هـ/1145م، واتصلوا بعبد المؤمن بن علي بفاس، وزينوا له فكرة إنقاذ الأندلس وضمها إلى ملكه بالمغرب، فاستجاب إلى رغبتهم، وتمكن من استرجاع الكثير من المدن والحصون كقرطبة وإشبيلية وغرناطة، ولكنهم واجهوا بعد فترة تمرداً قاده إبراهيم بن همشك مدعوماً بالنصارى وصهره محمد بن مردنيش وقد حاصر ابن همشك قرطبة بعد أن استولى على جيان منتهزاً فرصة انشغال الموحدين بفتح إفريقية ولما وصلت أخباره إلى عبد المؤمن أرسل الجيوش لإخمادها، وخاطب الأندلسيين بالوقوف إلى جانبها، فتمكنت من هزيمة ابن همشك في قرمونة Carmona. ولكن ابن همشك سرعان ما غدر بأهل غرناطة، واستولى عليها، وهزم جيوش الموحدين التي جاءت لنجدتها، فاضطر عبد المؤمن إلى إرسال مدد لها بقيادة ابنه أبي يعقوب يوسف. فكانت النتيجة هزيمة ابن همشك وصهره ابن مردنيش الذي جاء لمساعدته، وهروب الأخير إلى شرق الأندلس، وابن همشك إلى جيان، وتتبع جيوش الموحدين لابن همشك ومحاصرتها له. وقد بقيت على ذلك حتى رجوع أبي يعقوب لاستلام ولاية العهد بمراكش (ابن صاحب الصلاة، 1964م، وابن خلكان، 1966م، ج3، و ابن خلدون، 1966م، ج6).

ولما آلت السلطة إلى أبي يعقوب يوسف بعد وفاة والده أولى الأندلس اهتماماً خاصاً، فزحف نحوها بجيش لتأديب ابن مردنيش الذي أثار الفتنة بها، واستطاع هزيمته بفحص مرسية، فهرب ابن مردنيش إلى مرسية وتحصن بها، فحاصره يوسف هنالك. ولكنه اضطر للرجوع إلى المغرب في عام 561هـ / 1165م. وفي عام 567هـ / 1171م توفي ابن مردنيش، وبادر أخوه أبو الحجاج إلى الطاعة، وكذلك ابنه هلال، وبذلك خمدت هذه الفتنة الداخلية (ابن خلدون، 1966م، والساوي، 1954م).

أما بخصوص العلاقة مع الممالك النصرانية الإسبانية فإن أبا يعقوب قد تمكن من الوصول إلى معاهدة صلح مع فرنده الثاني Fernando11 ملك ليون Leon. ولكن هذا الأخير لم يحترم المعاهدة وهاجم الأراضي الإسلامية في عام 570هـ / 1174م. فردت عليه القوات الموحدية بالمثل حيث هاجمت أراضيه (ابن صاحب الصلاة، 1964م، والمراكشي، 1978م) ولكن أهم حدث في فترته هو محاولاته القضاء على مملكة قلمرية Coimbra (البرتغال). وصاحبها ابن الرنك. وقد انفصلت البرتغال عن قشتالة وليون في عام 523هـ / 1128م. ولأنها كانت ناشئة فقد اضطرت للاستجداء بالقوات الصليبية المكونة من الإنجليز والألمان والهولنديين المتجهة إلى المشرق لمساعدتها في الاستيلاء على مدينة لشبونة Lisbona، فتم لها ذلك في عام 542هـ / 1147م. ثم استولت على مدينة شنترين Santarem. في عام 555هـ / 1160م وأمام هذا الخطر الجديد الذي اقتطع أجزاء كبيرة من غرب الأندلس عبر أبو يعقوب في عام 579 / 1183م إلى الأندلس متوجهاً إلى غربه، ونزل بإشبيلية وهناك نظم جيوشه وتوجه نحو مدينة شنترين فحاصرها. وفي أثناء ذلك فكر في غزو لشبونة، وشن الغارات على أرجائها. فأصدر أوامره إلى ابنه أبي اسحاق صاحب مدينة إشبيلية للقيام بذلك، على أن يصطحب معه جيوش الأندلس، خاصة، وأن يكون رجليه نهراً. فأساء ابنه الفهم، وتحرك ليلاً، وتبعته الجيوش المرابطة مع الخليفة يوسف، ظناً منها بأن الخليفة قد أمره بذلك. ولما أصبح الصبح وجد الخليفة نفسه في مجموعة قليلة من أتباعه، ثم باغته أهل المدينة، ودافع جنده عنه دفاعاً مستميتاً، ولكنه مع ذلك أصيب بطعنة نافذة. وفي هذا

الأثناء رجعت بعض كتائب جيشه التي كانت قريبة من المدينة، وهزمت الأعداء، ثم رجع الخليفة بجيشه إلى مراكش وفي الطريق أُنْتَه منيته، ودفن بتينملل (ابن أبي زرع، 1972م، والمراكشي، 1978م، والحجي، 1994م).

لم تهدأ الأحوال في الأندلس في فترة يعقوب المنصور إذ قام ملك البرتغال بمعاونة السفن الصليبية باحتلال مدينة شلب Silves في عام 585هـ/ 1189م، فعبر يعقوب المنصور في عام 586هـ/ 1190م وتمكن من استعادة المدينة (ابن خلدون، 1966م)، وتمت بينه وبين ملك قشتالة الفونسو الثامن معاهدة عدم اعتداء لمدة خمس سنوات. وبعد انتهاء فترة الهدنة بدأ الفونسو يتحرش بالأراضي الأندلسية، واستمد العون والمساعدة من ملك نبرة Navarra وملك أرغون Aragon. ولما وصلت أخباره إلى يعقوب المنصور جهز جيوشه وعبر إلى الأندلس، ونزل بالأرك Arcos. من نواحي بطليوس، فدرات معركة حامية الوطيس بين الجانبين انتهت بهزيمة النصارى وغنيمة المسلمين لأسلحتهم وأموالهم. ويقال إن يعقوب المنصور قد أطلق سراح الأسرى من النصارى وعددهم أربعة وعشرون ألفاً، فعدت هذه من كيواته، لأنهم سرعان ما استعادوا قواهم وأعادوا الكرة على المسلمين. وبعد انجلاء المعركة توجه يعقوب المنصور لمواجهة ملك أرغون الذي يعاونه ملك برشلونة، فالتقى به عند فحص مجريط، فهزمه، ثم رجع إلى إشبيلية وهناك أتاه ملوك النصارى راغبين في السلم فسالمهم، ثم رجع إلى مراكش في عام 594هـ/ 1198م وتوفي هنالك في العام التالي (ابن خلدون، 1966م، ج6، والحجي، 1994م).

وفي فترة محمد الناصر خليفة يعقوب المنصور وابنه بدأ الفونسو الثامن مسنوداً بملك أرغون التحرش بالمسلمين والاعتداء على أراضيهم، فاستغاثوا بمحمد الناصر، فعبر إلى الأندلس وتمكن من هزيمة الفونسو واسترجاع قلعة شَلْطَرَة Salavatierra في أوائل عام 608هـ/ 1212م. فأغاظ الفونسو هذا النصر فاستصرخ بني جلدته في جميع ممالك إسبانيا النصرانية والبابوية بزعماء انوسنت الثالث Innocent فهبو جميعاً لنجدته. أما الناصر فلم يكن جنده على قلب رجل واحد لأن جند الأندلس قد كانوا غاضبين عليه

لقتله لوالي قلعة رباح أبي الحجاج، لأنه اضطر لتسليمها للنصارى. والتقى الجمعان في مكان يعرف بالعقاب فدارت الدائرة على المسلمين في 15 صفر 609هـ/16 يوليو 1212م واستشهد في هذه المعركة كثير من العلماء المسلمين (الحميري، 1975م، وابن عذاري، 1985م، قسم الموحدين). وقد نتج عن هذه المعركة استعادة النصارى للغنائم التي غنمت منهم في معركة الأرك كما تمكن الفونسو من استعادة بعض الحصون والمدن كمدينتي بياسة Baeza وأبدة Ubeda (الحجي، 1994م)، وضعف الوجود الموحي بالأندلس، وظهور أمراء محليين استقلوا بما تحت أيديهم من أراضٍ، وتحملوا مسؤولية الدفاع عن الأنلس.

تدريب (8)



1. لماذا يعد من الطبيعي أن تتجه انظار الموحيدين للأندلس بعد استقرار أوضاعهم بالمغرب؟
2. من هو قائد أول تمرد ضد الموحيدين بعد عبورهم إلى الأندلس؟
3. متى انفصلت البرتغال عن قشتالة وليون؟
4. ما هو السبب المباشر وراء هزيمة أبي اسحق بن يوسف في محاولته الاستيلاء على مدينة لشبونة
5. ما هي أولي مساهمات محمد الناصر عندما استعاث به مسلموا الأندلس؟
6. ما هي أهم نتائج معركة العقاب؟

أسئلة للتقويم الذاتي



1. عرف بالمهدي وبفكره ودوره في الانقضااض على دولة المرابطين وإحلال الدولة الموحدية مكانها.
2. تتبع باختصار دارساً و محلاً الدولة الموحدية وأحوالها من عهد عبد المؤمن بن علي وحتى سقوطها عام 668هـ/1269م.

3.2 الأندلس منذ ضعف الموحيدين وحتى سقوط غرناطة

بعد هزيمة العقاب دخلت الدولة الموحدية في مرحلة الضعف، وأصبحت تعاني، داخلياً من الفتن والاضطرابات فاستغل وضعيتها هذه بعض القادة الطموحين في المغرب والأندلس، واستقلوا بما تحت أيديهم من أراضٍ كما أن دول إسبانيا النصرانية هي الأخرى قد استغلت هذه الوضعية وبدأت تتوسع على حساب مسلمي الأندلس.

وبالنسبة للأندلس فإن أول من شق عصا الطاعة على الموحدين هو أبو زيان جميل بن مردنيش، الذي طرد الموحدين عن بلنسية واستقل بحكمها، ثم تلاه أبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود الجذامي، وهو من سلالة بني هود الذين حكموا سرقسطة في القرن الخامس الهجري، الذي هزم جيوش الموحدين بمرسية وسيطر عليها في رجب 625هـ/15 يونيو 1228م، ودعا للعباسيين فدخلت مجموعة من المدن في طاعته كقرطبة وإشبيلية وغرناطة وألمرية (ابن الخطيب، 1956م). وهناك شخصية أخرى أكثر أهمية، ظهرت على الساحة السياسية وهي محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الأحمر، والمتلقب بالشيخ والغالب بالله. وقد ازداد في مدينة أرجونة Arjona من حصون قرطبة في عام 591هـ/1195، وكان جندياً وافر العزم والجرأة، أعلن الثورة في صخرة أرجونة في 26 رمضان 629/18 أبريل في 1232م وخضعت له جيان بعد فترة من الزمن، كما انضمت إليه قرطبة وإشبيلية في فترة ضعف ابن هود، ثم عادت إلى الأخير بعد اعتراف الخليفة العباسي به، وكذلك ضم ابن الأحمر غرناطة في 634هـ/1237م، ثم توفي خصمه ابن هود بعد عدة أشهر من التاريخ السابق، فآلت أملاكه إلى ابن الأحمر، الذي دخل غرناطة في شوال 635هـ/مايو 1238م، واتخذها حاضرة لملكه، ثم دخل مالقة في العام التالي (ابن الخطيب، 1956م، تحقيق بروفنسال، بدون تاريخ، وعنان، 1966م). وتمتد المنطقة التي خضعت لابن الأحمر من جنوب نهر الوادي الكبير إلى بحر الروم حيث الجزيرة الخضراء وجبل طارق. ومن لورقة Lorca في ولاية مرسية شرقاً إلى بحر الروم من الشمال حتى قلعة يحصب Alcala Lareal في ولاية جيان إلى شذونة في ولاية قادس غرباً. وتشمل هذه المنطقة ثلاث ولايات كبيرة: ولاية غرناطة في الوسط وألمرية في الشرق ومالقة في الجنوب والغرب (ابن الخطيب، 1973م وعنان، 1966م).

ومن سوء حظ هؤلاء القادة المسلمين أن الفترة التي ظهوروا فيها قد برزت فيها مملكة أراغون بزعامة خايمي الأول Jaime ومملكة قشتالة بقيادة فرنده الأول Fernandol كمملكتين قويتين وقادرتين على التهام الأندلس، ولكنهما لا يملكان الموارد البشرية

الكافية لتعميره، ولذلك مارستا عليه سياسة الابتزاز والاقتلاع التدريجي Julio (Gonzalez, 1946) وأمام هذه التحديات انتهجت غرناطة، هي الأخرى، سياسة تمكنت من خلالها الصمود لأكثر من قرنين ونصف من الزمان، (مملكة غرناطة 635-897هـ/1238-1492م).

تقوم على التحالف مع هذه الدول النصرانية، والالتزام بدفع الجزية لها، والمهادنة معها من جهة، ومن جهة أخرى الاهتمام ببناء الحصون والقلاع، وامتلاك الأسلحة، والاستفادة من العناصر السكانية التي لجأت إليها من الحصون والمدن التي وقعت في أيدي النصارى في التنمية والبناء وتطوير الذات، ورفع الكفاءات العسكرية، وكذلك توظيف العناصر المسلمة التي فضلت البقاء في الأماكن التي احتلها النصارى، والتي عرفت باسم المدجنين Los Mudejares في إثارة الفتن والقتل، لشغل هذه الدول عنها وعلاوة على ما سبق فإن غرناطة كانت تجد العون من دولة بني مرين المسلمة التي حلت محل الدولة الموحدية بالمغرب، كما كانت غرناطة تنتهج سياسة بروقراطية، في بعض الأحيان، فتتحالف مع الممالك النصرانية ضد بني مرين، وتطلب العون من دول إسلامية أخرى منافسة لبني مرين كبني زيان في المغرب الأوسط والمماليك في مصر (الحجي، 1994م).

وعلى الرغم من هذه السياسة المحكمة التي وضعتها غرناطة وسارت عليها إلا أنها لم تستطع الصمود أمام مخططات دول إسبانيا النصرانية، والحفاظ على كيائها. بل أصبحت مدن الأندلس وحصونه تتساقط تدريجياً منذ ظهور مملكة غرناطة. فقد استطاعت مملكة قشتالة الاستيلاء على قرطبة في عام 633هـ / 1235م ومرسية عام 641هـ / 1243م وجيان في عام 643هـ / 1245م وإشبيلية في عام 646هـ / 1248م. واستولت أراغون على الجزائر الشرقية 631هـ / 1233م وبلنسية في عام 636هـ / 1238م وشاطبة Jativa في عام 641هـ / 1244م ودانية Denia في أواخر 641هـ / مايو 1244م. وهكذا استمرت هاتان المملكتان في الاستيلاء على المدن والحصون الإسلامية، وفقاً لسياسة تدريجية محكمة. ثم شاعت الأقدار أن تتحد هاتان المملكتان بعد زواج إيسابيلا Isabela من ابن عمها فرنده الثالث Fernando 111 في عام 874هـ / 1469م، ووراثتها لملك قشتالة - وليون بعد وفاة أخيها هنرى الرابع Enriquez ووراثه فيرنده لملك أراغون بعد أبيه في عام 884هـ / 1479م (عنان، 1966م، و Jose Luis Asian Pena, 1953) وأن يسخر ملكاهما كل إمكانيات الدولتين لاستعادة ما تبقى من الأندلس في أيدي المسلمين، إذ بلغت التكلفة النهائية لتحقيق هذا المشروع ثمانية ملايين دينار مرابطي. (Joseph Perez, 1982).

وأن يسارعا الخطى في هذه المرة حيث قاموا باحتلال حصن الحامة Alhama الاستراتيجي القريب من غرناطة، والذي يتحكم في التواصل بينها وبين مالقة في عام 887هـ / 1482م وروندة في عام 890هـ / 1485م ومالقة 892هـ / 1487م، ومدن وحصون شرق الأندلس كبسطة Baza في 10 محرم 895هـ / 4 ديسمبر 1489م، ثم أحكموا حصار غرناطة، فاضطر آخر ملكوها أبو عبد الله الملك الصغير بن محمد بن علي بن سعد إلى الاستسلام وفقاً للشروط التي أملاها عليه الملكان الكاثولوكيان، ودخل القشتاليون المدينة في ربيع الأول 897هـ / 2 يناير 1492م (مجهول المؤلف، نبذة العصر، 1940م، والمقري، 1968م، ج6). وغادرها أبو عبد الله الصغير إلى حصن أندروش Andarax بالبشرات Alpujarras جنوب جبل الثلج Sierra Nevada

(جبل شلير). ثم عبر في العام التالي إلى المغرب بإذن من الملكين، واستقر بفاس حتى وفاته في عام 924هـ/1518م تحت رعاية بني وطاس حكام المغرب. وقد ساعد على تسارع هذه الأحداث وتتابعها إضافة إلى ما سبق، كثرة الصراعات الداخلية بين أفراد أسرة بني نصر الحاكمة حول السلطة، وعدم وجود دولة قوية بالمغرب، لأن الوطاسيين الذين جاءوا بعد بني مرين كانوا ضعفاء ومشغولين بشأنهم الداخلي (المقري، 1942م، ج1). وبهذا أسدل الستار على دولة الإسلام بالأندلس.

تدريب (9)



1. من هو أول من شق عصا الطاعة على الموحدين بعد معركة العقاب؟
2. متي دخل ابن الأحمر غرناطة؟
3. من هم "المدحنون" ؟
4. لماذا اتحدت مملكتا قشتالة وليون عام 874هـ/ 1469م؟
5. من هو آخر ملوك غرناطة؟

الخلاصة

عزيزي الدارس تعرفنا معاً في هذه الوحدة على دولتي المرابطين والموحدين، وقد بدأنا أولاً بدراسة دولة المرابطين في مراحل تأسيسها وعظمتها وحتى مرحلة الضعف والسقوط، ثم ضم المرابطين للأندلس والمعارك التي خاضوها هناك، مع الشرح الوافي لمعركة (الزلاقة)، ودورهم في حماية المسلمين، وعزل المرابطين لملوك الطوائف. وفي القسم الثاني من الوحدة تناولنا دولة الموحدين، وذلك بالتعريف بها وبنشأتها، ودورها في الأندلس. واختتمنا الوحدة بالتعرف على ضعف دولة الموحدين في السيطرة على الأندلس، وحتى سقوط مملكة غرناطة.

نأمل أن تكون قد استفدت من دراسة هذه الوحدة، ونرجو منك التحقق من استيفائك لأهدافها الموجودة عند بدايتها.

لمحة مسبقة عن الوحدة التالية

في الوحدة التالية سندرس (الفنون والآداب والفلسفة والعلوم في المغرب والأندلس)؛ ونشرح أولاً أثر التمازج العرقي بالمنطقة وتأثيره في المعارف المختلفة، ثم نتناول في ست وحدات معارف مختلفة عرفها العرب المسلمون خلال الفترة موضوع الدراسة، كما تعرفك الوحدة بأهم العلماء الذين أسهموا في نشأة وتطور هذه المعارف واشتهروا بها ومدى إسهاماتهم في كل مجال. وستأتيك الأقسام الست مرتبة كالتالي:

1. الفلسفة

2. الآداب

3. الطب

4. الصيدلة

5. الجغرافيا

6. العمارة.

نتمنى أن تفيد مما سيرد في تلك الوحدة.

إجابات التدريبات

تدريب (1)

1. جدالة، ولمتونة، ومسوفة، ولمطة، ومسراتة.
2. تمكن من خلال رحلاته في طلب العلم من الإلمام بأحوال دول المسلمين وغيرهم من الملل بالمغرب والأندلس، والوقوف عن كثب على حالة الضعف والفرقة التي يعيشونها.
3. عام 448هـ/1056م، وخلفه أخوه أبوبكر.
4. إدارياً اهتم بتدوين الدواوين، وصك العملة. وبدأ بدأ يهيئ الرأي العام والخاص لقبوله زعيماً سياسياً، ويخطب ود قبيلتي زناتة وصنهاجة.
5. نعم. واختلف عنه في التركيبة النفسية.
6. نجاح الفونسو السادس في توحيد مملكتي قشتالة وليون، وعزمه على استعادة الأندلس من المسلمين، وتأليب أعدائها عليها من الخارج والداخل.

تدريب (2)

1. أولاً: موقع الأندلس.
ثانياً: إنقاذ الأندلس من الوقوع في يد الفونسو السادس.
ثالثاً: الاستفادة من إمكانيات الأندلس الاقتصادية.
رابعاً: الخوف من تحالف ملوك الطوائف مع الفونسو السادس ضد المرابطين.
خامساً: الخوف من تحالف غرناطة مع عصبيتها بإفريقية والمغرب الأوسط.
2. أولاً: إحاطة المشروع بالسرية التامة
ثانياً: استعمال أسلوب المباغثة.
ثالثاً: استعمال أسلوب فرق تسد.
رابعاً: التدرج في التنفيذ.

خامساً: التذرع بضعف ملوك الأندلس واختلاف كلمتهم.

تدريب (3)

1. في عام 429 هـ / 1037م.
2. انتهجت سياسة تقوم على استنزافها مالياً، وإضعافها اقتصادياً وعسكرياً، وتركها على حالها من الاحتراب، ومساعدة فريق ضد الفريق الآخر، ثم الزحف نحوها لاقتلاعها.
3. لأن الأساس الذي قامت عليه دولة المرابطين هو الدين.

تدريب (4)

1. سبتة، والجزيرة الخضراء، إشبيلية.
2. من كل أنحاء إسبانيا ومن الولايات الجنوبية لإيطاليا وفرنسا.
3. لتفادي المثالب الناتجة عن التباين من حيث التركيبة النفسية والقيم، الاجتماعية، وأساليب القتال، وتلقي الأوامر والتوجيهات عن القيادة العامة والفرعية، وأساليب المراقبة والتشجيع، والمعرفة بطبيعة الأندلس، واختلاف اللهجات، والتركيبة القبلية.
4. في يوم الجمعة 11 رجب 479 هـ / أكتوبر 1086م، وكانت النتيجة: انتصار المسلمين.

تدريب (5)

1. ابن عبد العزيز صاحب مرسية، والمعتمد بن عباد صاحب إشبيلية، وابن صمادح صاحب ألمرية، وعبد الله ابن بلقين صاحب غرناطة.
2. حتى عام 485 هـ / 1091م.
3. ست ولايات هي: إشبيلية، وغرناطة، وقرطبة، ومرسية، وبلنسية، وسرقسطة.
4. لانتهاز فرصة وفاة الفونسو في استرجاع طليطلة

تدريب (6)

1. في: المغرب، والأندلس، والمشرق، ومصر.
2. مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
3. في مجلس الخليفة علي بن يوسف بمراكش، وكان النتيجة انتصار بن تومرت.
4. 514هـ / 1120م.
5. كوّن من وجهائهم مجلس العشرة و مجلس العشرين كمجالس استشارية في الأمور الدينية والسياسية.

تدريب (7)

1. 520هـ / 1130م.
2. 539هـ / 1144م
3. 541هـ / 1147م
4. 555هـ / 1160م
5. 668هـ / 1269م

تدريب (8)

1. لأنها امتداد طبيعي وبعد استراتيجي للمغرب.
2. إبراهيم بن همشك.
3. 523هـ / 1128م.
4. لأنه امتنع عن تنفيذ أوامر والده بالتحرك نهائياً فخذلته الجيوش المرابطة.
5. استرجاع قلعة شلبطرة 608هـ / 1212م.
6. استعادة النصارى للغنائم التي غنمت منهم في معركة الأرك كما تمكن الفونسو من استعادة بعض الحصون والمدن كمديني (بياسة وأبدة)، وضعف الوجود الموحي في الأندلس.

تدريب (9)

1. أبو زيان جميل بن مردنيش.
2. في شوال 635هـ/ مايو 1238م.
3. هم العناصر المسلمة التي فضلت البقاء في أراض يملكها النصارى.
4. لزواج إيسابيل من ابن عمها فيرنده الثالث ووراثتها لملك قشتالة وليون بعد وفاة أخيها هنري الرابع، وورثة فيرنده لملك ارغوان بعد وفاة أبيه.
5. أبو عبد الله الملك الصغير بن محمد بن علي بن سعد.

مسرد المصطلحات

Aledo	حصن لبيط
Labatalla de Zagrajas	معركة الزلاقة
Alfonso VI	الفونسو السادس
Batalla de los siete Condes	معركة الأقماط السبعة
Uad aljara	وادي الحجارة
Pisa	[مدينة] بيشة
Barcelona	[مدينة] رشلونة
Mallorca	[مدينة] ميورقة
Barcelona	[مدينة] رشلونة
Sancho	[ولي عهد] شانجة
Rodrigo de Diaz de vivar	السيد القمبيطور
Valencia	[مدينة] بلنسية
Garcia	[ابن عم الفونسو] غرثية
Sacralias	[معركة] ساكرالياس
Badajoz	بطلبيوس
Urraca	[أخت الملك] أوراقة
Alhama	[حصن] الحامة
Fernando III	فرننده الثالث
Jaime I	خايمي الأول
Alcala Lareal	قلعة يحصب
Lorca	[مدينة] لورقة
Arjona	[مدينة] أرجونة
Baeza	[مدينة] بياسة

Innocent	انوسنت الثالث
Salavatierra	قلعة شَلْبَطَرَة
Arcos	الأرك
Navarra	مملكة نبرة
Santarem	[مدينة] شنترين
Leon	مملكة ليون
Coimbra	مملكة قلمرية
Carmona	[مدينة] قرمونة
Fraga	[مدينة] إفراغة
Cutanda	واقعة قَتندة
Andarax	حصن أندروش
Alpujarras	البشرات
Sierra Nevada	جبل الثلج

المصادر و المراجع

المصادر و المراجع العربية

1. ابن أبي زرع، علي، الأنيس المطرب بروض القرطاس، الرباط ، 1972م.
2. ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج 2، القاهرة، 1375هـ.
3. ابن الأبار، الحلة السيرة، القاهرة، 1963م.
4. ابن الأبار، المعجم لأصحاب القاضي أبي علي الصدي، القاهرة، 1967م.
5. ابن الأثير، أبي الحسن على بن محمد بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، بيروت، 1966م.
6. ابن الأحمر، إسماعيل، بيوتات فاس الكبرى، الرباط، 1972م.
7. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، تحقيق إلفي بروفنسال، بيروت، 1956م.
8. ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج 1، القاهرة، 1973م.
9. ابن القطان، نظم الجمان، الرباط، (بدون تاريخ).
10. ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، تحقيق العبادي أحمد مختار، مدريد، 1975م.
11. مجهول المؤلف، الحلل الموشية... الدار البيضاء، 1975م.
12. ابن بلقين، عبد الله، مذكراته، تحقيق بروفنسال، مصر، 1955م.
13. ابن خلدون، أبو عبد الرحمن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر في ملوك العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج 6، بيروت، 1966م.
14. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 3، بيروت، 1966م.
15. ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة. تحقيق عبد الهادي التازي، بيروت، 1964م.
16. ابن عذاري، المراكشي، البيان المغرب... ج 2، ج 3، بيروت، 1983م.
17. ابن عذاري، المراكشي، قسم الموحدين، تحقيق محمد زنيير وآخرين، بيروت، 1985م.
18. أشباخ، يوسف تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، القاهرة، 1958م.

19. الإدريسي، *نزهة المشتاق*. ج 5، روما، (بدون تاريخ).
 20. البيدق، أبو بكر بن علي الصنهاجي، *أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين*، الرباط، 1971م.
 21. الجابري، محمد عابد، *نحن والتراث*، الدار البيضاء، 1985م.
 22. الحجي، عبدالرحمن علي، *التاريخ الأندلسي من الفتح إلى سقوط غرناطة*، دمشق، 1994م.
 23. الحميري، ابن عبد المنعم، *الروض المعطار في خبر الأقطار*، بيروت، 1975م.
 24. السلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، *الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى*، ج 1، الدار البيضاء، 1954م.
 25. الصنهاجي، أبو بكر بن علي، *أخبار المهدي بن تومرت*، الرباط، 1971م.
 26. المراكشي، *المعجب في تلخيص أخبار المغرب*، الدار البيضاء، 1978م.
 27. المقرئ، *أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض*، القاهرة، 1942م.
 28. المقرئ، *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب*، تحقيق إحسان عباس، ج 4، وج 6، بيروت، 1968م.
 29. بروفنسال، *حضارة العرب في الأندلس*، بيروت، (بدون تاريخ).
 30. بروكلمان، كارل، *تاريخ الشعوب الإسلامية*، ترجمة منير البعلبكي، بيروت، 1965م.
 31. بوتشيش، إبراهيم القادري، *المغرب والأندلس في عهد المرابطين*، بيروت، 1993م.
 32. حركات، إبراهيم، *المغرب عبر التاريخ*، ج 1، الدار البيضاء، 1984م.
 33. عنان، محمد عبد الله، *دول الطوائف*، القاهرة، 1960م.
 34. عنان، محمد عبد الله، *نهاية الأندلس*، القاهرة، 1966م.
 35. *مجلة دراسات إفريقية*، العدد السابع والعشرون.
 36. مجهول المؤلف، *نبذة العصر في أخبار بني نصر*، العرائش، 1940م.
 37. هوبكنز، *النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى*، تونس، 1980م.
- المراجع الأجنبية

38. Bernard F. Reilly **Cristianos y musulmanes (1031- 1157)**
Historia de Espana, Vol., Traduccion Castellana Jordi Beltran,
Barcelona, 1962.
39. Cl. Sanchez- Albornoz, **La Espana Musulmana**, Madred, 1973.
40. E. Levi Provençal **Histoire de l'Espagne Musulmane**, Paris, 1950.
41. **Encyclopedia of Islam**, vol. II London, 1946.
42. Jose Angel Tapia Garrido, **Historia General de Almeria y su
provincia**, T. II, 1976.
43. Jose Luis Asian pena **Elementos de Historia de Espana**,
barcelona, 1953.
44. Joseph perez, **La Frustracion de un Emperio** (Aspecto
Politico y sociales), Madred, 1982.
- 45.- Julio Gonzales **La Conquista de Fernando en Andalucia**,
Madrid, 1946.
46. Terrasse, **Histoire du Maroc**, vol. I, Casablanca.
47. Unesco **General History of Africa**. California, 1984.



محتويات الوحدة

الصفحة	الموضوع
210	المقدمة
210	تمهيد
211	أهداف الوحدة
212	1. الفلسفة
215	1.1 ابن باجة
216	1.2 ابن طفيل
217	1.3 ابن رشد
219	1.4 محيي الدين بن عربي
222	2. الأدب الأندلسي المغربي
225	2.1 الشعراء التقليديون ... ابن هاني الأندلسي
226	2.2 شعراء الانطلاق نحو التجديد... ابن زيدون
227	2.3 شعراء الموشحات... لسان الدين ابن الخطيب
230	3. الطب
233	3.1 أبو القاسم الزهراوي
233	3.2 ابن زهر الإشبيلي
236	4. الصيدلة
238	5. الجغرافيا
238	5.1 عبد الله البكري
239	5.2 الإدريسي
241	6. العمارة
241	6.1 العمارة الدينية

245	6. 2 العمارة المدنية
248	6. 3 العمارة الحربية
250	الخلاصة
251	اجابات التدريبات
253	مسرد المصطلحات
254	المصادر و المراجع

المقدمة

تمهيد

مرحباً بك في الوحدة الخامسة والأخيرة من هذا المقرر وهي تتناول الفنون والآداب والفلسفة في المغرب والأندلس، في ست أقسام رئيسية، ففي القسم الأول نعرفك بالفلسفة ومدى اهتمام المسلمون الأوائل بها وكيف اهتم بها علماء المغرب والأندلس، ويستعرض هذا القسم أهم العلماء في هذا المجال. أما القسم الثاني فهو يلقي الضوء على الأدب الأندلسي المغربي، والمجالات و الموضوعات التي انصب حولها هذا الأدب، بالإضافة إلى تعريفك بأهم الشعراء. والقسم الثالث في هذه الوحدة خصص لعلم الطب والذي لم يجد اهتماماً يذكر في المغرب والأندلس إلا في عهد الموحدين حيث أنشأت البيمارستانات (المستشفيات)، ومن ثم التعرف على رواد هذا العلم في كل من المغرب والأندلس. وفي القسم الرابع نتعرف معاً على علم الصيدلة ومدى اهتمام المسلمين به وأهم علماء الصيدلة في المغرب والأندلس. أما في القسم الخامس فتزداد معرفتنا بعلم الجغرافيا، ومدى اهتمام أهل المغرب والأندلس بالرحلة التي تعتبر هي أساس للجغرافيا، بجانب إسهامات أهم العلماء في هذا المجال. وخصصنا القسم السادس لموضوع العمارة والتي وجدت اهتماماً كبيراً من العرب والمسلمين في معظم البلاد التي فتحوها وكان الاهتمام منصباً أولاً على بناء المساجد لأهميته في الإسلام ومن ثم كان الاهتمام بالعمارة الحربية كضرورة أمنية بجانب العمارة المدنية، وكل هذه الأنماط المعمارية شيدها المسلمون في المغرب والأندلس.

عزيزي الدارس، إن الخرائط التوضيحية وأسئلة التقويم الذاتي والتدريبات تجعلك أكثر إماماً بالمادة الدراسية والهدف منها استذكار المادة.

أهداف الوحدة



عزيزي الدارس، بعد فراغك من دراسة هذه الوحدة ينبغي أن تكون قادراً على أن:

1. تكوّن صورة عن حال الفنون والآداب والفلسفة والعلوم في المغرب والأندلس خلال فترة حكم المسلمين لهما.
2. تصف مساهمة مسلمي المغرب والأندلس في الفنون والآداب والفلسفة والعلوم والعمارة.
3. تبيّن مدى استفادة أوروبا من علماء المسلمين

حكم المسلمون الأندلس حوالي ثمانية قرون، كانت الأندلس في معظمها تابعة للمغرب، إما تبعية مباشرة أو شبه مباشرة، كما كانت تعتمد عليها في التصدي لهجمات جيوش حملة الاسترداد الإسبانية النصرانية. ولذلك فإن الحديث عن أي من البلدين في أي جانب من الجوانب، وخاصة الثقافية والحضارية، يعني بالضرورة الحديث عن الآخر، لتأثرهما ببعضهما البعض والتشابه في: التضاريس والمناخ، والمزاج الثقافي، والتركيب السكانية، ولتقل المبدعين بينهما، وبحرية تامة، هذا إضافة إلى تشابه النظم السياسية. ولم تكن الفترة التي قضاها المسلمون في هذا البلد فترة صراعات وفتن، وإن كانت قد تخللتها فتن داخلية واعتداءات خارجية، وإنما كانت فترة بناء وتطوير وتحديث امتزجت فيها العناصر الشرقية والمغربية والأوربية وكونت هجيناً جديداً تميز بـ: رصف الإحساس، وحب الطبيعة والحياة، وخصوصية الخيال، والقدرة على الإبداع، ولذلك كانت إسهاماته في الجوانب الحضارية والثقافية متميزة وذات نكهة خاصة، ولها من البريق واللمعان ما جعلها تتخطى الحدود، وتجذب القبول والترحاب، وتلقي بأشعتها على جاراتها من الدول الأوربية، فتتير لها الطريق، وتأخذ بيدها وتنتشلها من ظلمات الجهل، إلى نور العلم والحضارة، وعلى أصولها المشرقية، فتعطيها أسباب القوة، وأسرار النمو والتطور.

1. الفلسفة

الفلسفة هي محبة الحكمة، والحكمة هي معرفة مسببات الأشياء والفلسفة في سعيها إلى الوصول إلى معرفة مسببات الأشياء لا تصل إلى نتيجة قاطعة، ولذلك شبه الفيلسوف برجل أعمى يبحث عن قطة سوداء في حجرة مظلمة حيث لا قطة. و تشتمل الفلسفة في القرون الوسطى على العلم الطبيعي، وكانت تتفرع منها الفنون السبعة وهي: اللغة، والبيان، والجدل، والموسيقى، والحساب، والهندسة، والفلك. (الطباع، 1986م). وإذا أردنا الوقوف على نشأة الفلسفة عند المسلمين فيمكن القول إن الدولة البيزنطية بعد تبنيها للمسيحية على المذهب الأرثوذكسي قد ضيقت الخناق على الفكر الفلسفي لصالح العقيدة الدينية الأرثوذكسية؛ فأغلقت جميع المدارس الفلسفة في أثينا في

عام 529م بأمر من الإمبراطور جستنيان وبإيعاز من الكنيسة، فكانت النتيجة دخول أوروبا فيما اصطلح عليه **بالقرون المظلمة**. وقد أدى هذا القرار إلى شق مجموعات من الفلاسفة طريقها إلى فارس والاستقرار في مدنها، مثل جنديسابور، وحران، ونصيبين والرها. ولما فتح المسلمون فارس والشام، ومصر، واستقر حكمهم في هذه المناطق عملوا على ترجمة أهم الكتب الفلسفية اليونانية الموجودة في تلك المناطق ابتداءً من بدايات القرن الثالث الهجري. وظهرت نتيجة لذلك حركة فكرية قوية هدفت إلى دعم الإسلام، وهو ما اصطلح عليه بعلم الكلام. وانقسم المفكرون إلى فرق كثيرة أهمها أهل السنة، والمعتزلة، والأشاعرة والشيعة. كما ظهرت مدرسة أخرى حاولت التوفيق بين الإسلام وفلسفة أرسطو، ومن أشهر روادها بالمشرق الكندي (ت 260هـ / 873م). والفارابي (ت 339هـ / 950م). وابن سينا (ت 429هـ / 1037م). (فراج، 1969م).

أما بالنسبة للأندلس فقد تباينت آراء الكتاب حول بداية الفكر الفلسفي بها، فبينما تتحدث بعض الروايات عن تجذر العلوم فيها بما في ذلك الفلسفة ابتداءً من العهد الفينيقي ومروراً بالعهد الأخرى حتى العهد القوطي. الذي شهد ظهور مفكرو فيلسوف كبير وهو القديس **إيزودور الإشبيلي**، الذي كان موسوعياً. وأيد أصحاب هذا الرأي وجهة نظرهم بالازدهار الفكري السريع الذي حققه العرب المسلمون في إسبانيا (الطباع، 1986م). وتصف المصادر العربية المتأخرة إسبانيا بأنها عاطلة عن كل علم قبل الفتح الإسلامي لها. (صاعد الأندلسي، بدون تاريخ) وحقيقة الأمر فإن تأخر الأندلس عن المشرق في مجال الفلسفة ربما يعود إلى نوعية العناصر المسلمة التي دخلت إليه ساعة الفتح وبعده. بربر، و عرب. وتدني مستواها في المجال الثقافي والفكري، وإلى اهتمام طلاب العلم الأوائل من الأندلسيين في المشرق بالعلوم التي يحتاجونها في حياتهم العملية، كعلوم القرآن والحديث والفقه، وإلى انغلاق الأندلس على المذهب المالكي منذ الربع الأخير من القرن الثاني الهجري، وتشديدها الرقابة على كل مذهب سواه، ومحاربتة بشتى السبل، ورفض الإمام مالك لعلم الكلام (الذهبي، 1986م، ج8) واعتبار المشتغلين به من أهل الأهواء الذين لا ينبغي أن تقبل شهادتهم، ويجب أن يستتابوا (ابن الفرضي، 1966م، ج2).

وهذا التشدد له ما يبرره، فمنهج الفلسفة ومنها علم الكلام، ومنطقها في البحث يتميز بالتعقيد، وخاصة بالنسبة للمشتغلين بالعلوم النقلية، وذلك لأن الأخيرين يتعاملون مع نصوص قطعية الدلالة، ولا مجال في الشك في صحتها طالما صح سندها أو روايتها، بينما يتعامل الفلاسفة مع القضايا والمسائل على اختلاف أنواعها بمنهج متفتح وأدوات . كعلم المنطق . لا تحدها حدود غير حدود العقل البشري. ولكن الأمور قد بدأت تتغير في الأندلس في نهايات القرن الثاني الهجري لصالح العلوم العقلية، إذ بدأت مجموعات من طلاب العلم الأندلسيين بالمشرق تجلس في حلقات كبار شيوخ المذاهب الفقهية المعروفة وقتذاك، وتستمتع لآرائهم في المسائل المختلفة، وتغري هؤلاء الشيوخ بالهجرة للأندلس ليشرحوا لأهله آراء الباطنية والخوارج، ليتحصنوا ضدها وقد بدأت هذه الجهود تؤتي ثمارها، فقد ظهرت في الأندلس علوم كعلم الرياضيات والفلك والطب، وهي من العلوم التي قامت عليها الفلسفة، في القرن الثالث الهجري، ولكن نموها وتطورها كانا بطيئين. ومن هنا يمكن القول بأن الفلسفة دخلت الأندلس مستترة من وراء هذه العلوم (الطباع، 1986م).

كان الظهور الحقيقي للفلسفة في الأندلس على يد عبد الله بن مسرة (ت 319هـ/931م) على مذهب الاعتزال، ولكنها مستترة بمذهب أهل السنة وقد ألف ابن مسرة كتابين في الفلسفة هما كتابي التبصرة والحروف. ثم بدأت مساحة حرية التحرك بالنسبة للفلسفة تزداد وتتسع، وإن لم تكن معلنة، في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، وذلك لأن الخليفة الحكم بن عبد الرحمن قد كان من المهتمين بالعلوم كافة والفلسفة بصفة خاصة (ابن عذاري، 1985م، ج2).

وفي القرن الخامس الهجري أشيعت الحريات، ورفعت الحواجز عن كافة العلوم، ولكن مع ذلك لم يظهر بالأندلس فلاسفة لهم شأن يذكر سوى ابن حزم الظاهري. واستمرت مكانة الفلسفة في الأندلس متدنية، مقارنة بالعلوم الأخرى كالفقه والأدب، إلى أن جاء الموحدون، حيث وجدت التشجيع منهم؛ لأن طبيعة دعوة ابن تومرت مؤسس دولتهم تقوم على إعمال العقل في تأكيد آرائها في مسائل العقائد كالتوحيد والتنزيه (ابن تومرت، 1903م). وأصبح هذا التشجيع ينمو ويتزعرع إلى أن بلغ ذروته في عهد الخليفة أبي

يعقوب يوسف بن عبد المؤمن وابنه يعقوب المنصور من بعده (المراكشي، 1978م)، هذا ويعد العصر الموحي العصر الذهبي للفلسفة في المغرب والأندلس، على الرغم من أن الخليفة الموحي المأمون (644. 629هـ/1226-1231م) قد تعقب الفلسفة وعاقبهم (ابن سعيد، 1955م، ج1)؛ لإرضاء مناصريه من أهل الأندلس، الذين كانوا يمتقون الفلسفة، ويكفرون منتحليها، في ثورته ضد أخيه العادل (621-624/1224-1226). وفي حربة ضد المعتصم بن العادل (ابن عذاري، 1985م).

وفيما يلي نسلط الضوء على بعض مشاهير الفلسفة بالمغرب والأندلس:

1.1 ابن باجة

خلال الفترات التي رفعت فيها الرقابة عن الفلسفة في الأندلس شقت كتابات الفلاسفة المشاركة كالفارابي (ت339هـ/950م). وكتب الطب والفلسفة طريقها إلى الأندلس وفي هذه الفترة وهذا المناخ ولد ابن باجة بباجة Beja بالأندلس. وأظهر اهتماماً خاصاً بالفلسفة والطب منذ حداثة سنه. واشتغل بالفلسفة على نهج الفارابي. ودرس نظرية الغزالي والمتصوفة التي تقول بإمكانية الوصول إلى العلم الكشفي (اللدني) بالتصوف وأحواله ومقامه، وأظهر إنكاره لها، وقام بتفنيدها موضحاً أن الحقيقة لا سبيل للوصول إليها سوى بالعقل والتفكير المنطقي. وذهب إلى التفرقة بين النفس التي هي خاصة بكل فرد وبين العقل، الذي هو موهبة إلهية يمتاز بها النوع الإنساني ككل. والنفس الفردية من وجهة نظره تفنى مع الجسم، أما العقل الإنساني العام فخالد لأنه يتحد بالعقل الفعال عاشر العقول الإلهية وأدناها، ولا يتحقق هذا الاتحاد إلا لعقل المفكرين والعباقرة القادرين على اكتشاف الحقائق بالتفكير. وهذه النظرية تتضمن إنكار خلود الروح الفردية، وهو أحد العقائد الدينية الأساسية عند المسيحيين. ومن أشهر كتب ابن باجة **تدبير المتوحد**، وفيه يدعو الفلاسفة إلى العزلة عن مجتمع الجهلة والمتعصبين؛ التماساً للأمن والهدوء، والتأمل في قيام مجتمع مثالي للفلاسفة وحدهم. وفي عام 532هـ/1137م توفي ابن باجة (فراج، 1969م).

2.1 ابن طفيل

هو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل اهتم بالفلسفة منذ شبابه، ودرس الطب واتخذ مهنة في شبابه وكهولته بمدينة غرناطة، ثم التفتت عنايته إلى الفلسفة بعدما دخل في خدمة الخليفة الموحي أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن . الذي كانت له ميول نحو الفلسفة . كطبيب خاص ووزير . وقد كلفه يوسف بأن يجمع له المتوافر من كتب الفلسفة في تلك الحقبة، فجمع له من الكتب ما قارب تلك التي وجدت في خزانة الخليفة الأموي الحكم المستنصر (المراكشي، 1978م). وترك ابن طفيل الطب بعد أن ضمن عناية الدولة ورعايتها للفلسفة على مستوى الحاكم نفسه . (Miguel Cruz, 1992)

ترك ابن طفيل عدداً من المؤلفات في الطب والفلك والفلسفة، ولكن يد الضياع والخراب قد امتدت إليها فلم تصلنا منها سوى رسالة **حي بن يقظان** وهي قصة أسطورية استوحاها من كتاب، تدبير المتوحد، لابن باجة، تقول بقدرة الإنسان على النمو الممتاز في مكان ناء مستقلاً عن المجتمع وتعاليمه الدينية الموروثة، والوصول تلقائياً وبالتفكير الحر وحده إلى أرقى درجات الفلسفة، ومعرفة الحقيقة المجردة. وبذلك يمتاز عن العامة، الذين يتوصل الدين إلى تعليمهم الحقائق بالصور الحسية المجسمة. وهو في ذلك على اتفاق مع ابن سينا، الذي يرى أن الدين بخلاف الفلسفة هو الذي يلائم عامة الناس. وقد كان لهذه القصة أثر كبير في الفكر الأوربي حيث ترجمت إلى عدد من اللغات (Miguel Cruz.1981). توفي ابن طفيل في عام 581هـ/ 1185م.

3.1 ابن رشد

هو أبو الوليد محمد بن رشد الحفيد. ولد بقرطبة في عام 520هـ/ 1126م ونشأ في أسرة اشتهرت باهتمامها ونبوغها في مجال الدراسات الفقهية، والعمل في مهنة القضاء، فقد كان أبوه قاضياً لقرطبة، وكذلك كان جده. واهتمت أسرته بتعليمه وتنقيفه؛ فدرس علوم

الدين والفلسفة واللغة والطب وأظهر تفوقاً في هذه العلوم. وقد كان له اهتمام خاص بدراسة الفلسفة الرسطية، وإعجاباً بصاحبها أرسطو الذي كان يعتبره المفكر الأول. كانت لابن رشد علاقة ود وصداقة مع ابن طفيل لذلك زكاه وقدمه إلى الخليفة الموحيدي يوسف بن عبد المؤمن، فأكرمه واتخذة طبيباً خاصاً بعد ابن طفيل، وولاه القضاء، وكانت له مجالس خاصة مع الخليفة تناقشا فيها حول كثير من الموضوعات الفلسفية، مثل (هل السماء قديمة أم حديثة؟). وقد أظهر ابن رشد قدرات هائلة في المنطق وبراعة في الشرح والتحليل؛ الشيء الذي زاد من إعجاب الخليفة به، وشجعه على تكليفه له بشرح فلسفة أرسطو كلها، وتوفير كل الإمكانيات والوسائل التي من شأنها تمكينه من إنجاز هذا المشروع. وقد تمكن ابن رشد من الوصول إلى فلسفة أرسطو الأصلية قبل أن تختلط بالإفلاطونية الحديثة، وشرحها لدرجة نال بها إعجاب الغربيين بعد ترجمتهم لكتبه، لأنه لم يكتف بالشرح بل تعداه إلى النقد وتصحيح أخطاء الشارحين السابقين له (المراكشي، 1978م).

ومن جانب آخر فقد سار ابن رشد فيما يخص عجز العامة عن الارتفاع فوق مستوى المحسوسات.. إلى تجريد الكليات، الذي هو وسيلة العلم، على طريق من سبقوه من الفلاسفة كابن سينا وابن طفيل، وأن الشرع جاء بتصويرات حسية ليتخيلها العامة وينتفعوا منها، والمراد بهذه التصويرات الرمز إلى الحقيقة وليس شرحها لهم، لأنه ليس من شأن الدين أن يكون مصدر العلم بالحقائق، وإنما الدين مصدر أحكام وأوامر ونواه شرعية قطعية إصلاحية، يطلب الإيمان بها والإذعان لها. ولذلك عاب ابن رشد على الغزالي والمتكلمين استخدام الأساليب الفلسفية في إثبات عقائد علم الكلام، لأن البراهين التي استخدموها في إثبات صحة العقائد الدينية، براهين عقلية قابلة للنقض، وليس من مصلحة الدين إقامته على براهين غير يقينية. وكذلك فقد رد ابن رشد في كتابه، **تهافت التهافت**، على المغالطات والتهم التي وجهها الغزالي للفلاسفة في كتابه، **تهافت الفلاسفة**، ولكنه وجد له العذر؛ حيث اعتبر سياقته لهذه التهم نابعة من الوسط الذي يوجد فيه، ومحاولته لإرضائه، وليست نابعة من قناعاته الشخصية (فراج عبده، 1969م).

وجارى ابن رشد أرسطو كثيراً في آرائه حيث ذهب إلى القول بقدم العالم وأبديته، إذ لا يعقل أن يظهر الوجود من العدم أو أن ينتمي إلى العدم، وامتاز عليه بتدعيم مذهبه بالأدلة الشرعية وكذلك فقد خالف ابن رشد فلاسفة الأندلس مثل ابن باجة وابن طفيل في قولهم ضرورة انعزال الفلاسفة عن مجتمعهم، وعيشهم في مجتمع خاص بهم حيث رأى بأن الفلاسفة باعتبارهم الشريحة المثقفة والواعية في المجتمع، يقع عليهم واجب قيادة المجتمع وتوجيهه نحو النمو والتقدم.

ومن جانب آخر فقد كان ابن رشد ضد قيم وتقاليد مجتمعه التي تجعل من المرأة متاعاً يقتنيه الرجل، وتكبل من طاقاتها وتجعلها عالة على الرجل حيث يرى بأن الوضع الطبيعي للمرأة هو أن يطلق العنان لمواهبها وطاقاتها لتتفجر، حتى تستطيع أن تقف جنباً إلى جنب مع الرجل في مواجهة ظروف الحياة المعقدة والمتعددة (فراج، 1969م).

بعد وفاة الخليفة يوسف ومجيء ابنه يعقوب المنصور إلى السلطة تعرض ابن رشد إلى محنة شديدة بسبب إصااق أعدائه به تهم التحقير ببيعقوب المنصور بذكره له في إحدى كتاباته باسم ملك البربر. فنفاه يعقوب المنصور إلى قرطبة هو وجميع المشتغلين بالفلسفة، وأمر بحرق كتبه. ولكن أصدقاءه قد تشفعوا له عند المنصور وأوضحوا له بأن ملك البربر هي تحريف من قبل النساخ لملك البرين، فعفا عنه وقربه منه. ولكن ابن رشد توفي في العام التالي للعفو عنه أي في عام 594هـ/1197م ونقلت جثته من مراكش إلى قرطبة (المراكشي، 1978م).

أثر ابن رشد تأثيراً كبيراً في الفلسفة الأوروبية ويعد من أشهر الفلاسفة المسلمين في الأوساط الأوروبية حيث كان له معجبون في جامعة باريس وجامعة بادوا بإيطاليا. وكان لتلاميذه أثر واضح في التمهيد لعصر النهضة في أوروبا. ومن أشهر كتبه الفلسفية، تهافت التهافت، والكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، وفصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال. أما في غير الفلسفة فله كتب منها، بداية المجتهد ونهاية المقتصد في الفقه، وكتاب الكليات في الطب. وقد اعتمد فيه على كتابات ابن سينا (فراج، 1969م).

4.1 محيي الدين بن عربي

هو محيي الدين أبو بكر محمد بن علي بن أحمد بن عبد الله الطائي الحاتمي المشهور بابن عربي. ولد بمرسية Murcia بالأندلس في عام 560هـ/ 1164م. وكغيره من الأطفال بدأ دراسته بالقرآن الكريم والحديث الشريف في مدينة إشبيلية التي ارتحلت أسرته الموسرة إليها وقضى عشرين عاماً طالباً للعلم درس خلالها الفلسفة والتصوف، وارتبط بعلاقات وطيدة مع ابن رشد. اشتغل بكتابة الرسائل الإنشائية لبعض أمراء الأندلس، ثم زهد في الدنيا ومال إلى التصوف، وارتحل إلى مراكش وتونس ومصر والشام ومكة وبغداد والموصل، ومكث فترة من الزمن في قونية بآسيا الصغرى حيث تزوج هناك، ثم عاد إلى الشام وبقي بها حتى وفاته في عام 636هـ/ 1240م، ودفن بدمشق (الطباع، 1986م، وفراج، 1969م).

سار ابن عربي في طريق فلسفة التصوف الديني العلمي، الذي يهدف إلى معرفة الحقيقة عوضاً عن نيل السعادة الأخروية، الذي يقال إن معروف الكرخي (ت200هـ/ 815م). هو أول من وضع لبناته. ولكن ابن عربي قد وصل به إلى القمة، إذ تخطى نظريات الاتحاد والحوال ووحد الشهود إلى نظرية وحدة الوجود، التي تقول بأن الوجود واحد في الحقيقة، وأن ذات الله هي كل ما هو موجود، وأن الله والكون والإنسان شيء واحد، وأن ما يدور من كثرة الموجودات وهم باطل، وما هي إلا مظهر لله الموجود الحقيقي. وقد استمد ابن عربي هذه النظرية من القرآن والسنة وعلم الكلام، ومن مذاهب فلسفية مختلفة كالإفلاطونية الحديثة والعلوم الباطنية (فراج عبده 1969م، والطباع، 1986م). وفسر ابن عربي وجود العالم بنظرية الفيض التي قال بها فلاسفة الإسلام، والقائلة بأن الكمال والوجود الإلهي فاض عنه نور الوجود من دون أن ينفصل عن ذات الله شيء بهذا الفيض، كما يمنح الإنسان المرآة صورته التي تنعكس على صفحتها من دون أن يترتب على هذا الصدور والانعكاس انفصال شيء عن الإنسان مصدر الصورة.

أما عن فلسفة الأخلاقية فمنها رؤيته بأن كل شيء في العالم يجري بمقتضى قانون الجبرية الأزلية، أي أن الإنسان مسير وليس مخيراً، وقد يكون ذلك ناتجاً عن نظريته

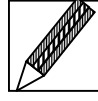
بوحدة الوجود. وانطلاقاً من ذلك فابن عربي يرى بأن وعد الله بالنعيم يتحقق بخلاف وعده بالجحيم، لأنه غفور رحيم (الطويل، بدون تاريخ).

اشتغل ابن عربي بالتأليف حيث بلغت مؤلفاته أكثر من ثلاثمائة أشهرها كتاب، **الفتوحات المكية**، الذي يقع في عشرين مجلداً. وقد شرح فيه تعاليم الصوفية وفلسفته في الفقه والشريعة والإسلام. واختصره الشعراني وسماه، **لواقح الأنوار القدسية**، ثم اختصر المختصر وسمي، **الكبريت الأحمر** من علوم الشيخ الأكبر. وكتاب **فصوص الحكم**، ذكر فيه الرسل، ووضع نواة مذهب الإنسان الكامل، وكتاب **ترجمان الأشواق**، وهو مجموعة قصائد صوفية غزلية، هذا إضافة إلى كتب أخرى في الدين والفلسفة والأخلاق والتاريخ.

درست مجموعة من الفقهاء أفكار ابن عربي، فمنهم من رماه بالكفر والزندقة مثل ابن حجر العسقلاني، وابن تيمية، ومنهم من رفع من شأنه كعبد الوهاب الشعراني صاحب كتاب، **طبقات الصوفية المتوفى في عام 973هـ/1565م (فراج، 1969م)**.

وبعد وفاة ابن رشد وابن عربي انكشفت الفلسفة في الغرب الإسلامي لمواقف الحكام والعامة العدائية لها، ولانشغال دوله بالتصدي لحركة الاسترداد الإسبانية النصرانية، ولم يظهر فيلسوف يذكر سوى ابن خلدون (ت 808هـ/1406م) الذي يعد خاتمة العقد بالنسبة للفلسفة الإسلامية في العصور الوسطى.

تدريب (1)



1. كم دام حكم المسلمين في الأندلس؟ وهل كانت الأندلس خلال هذه الفترة مستقلة أم تابعة للمغرب؟
2. عرّف الفلسفة.
3. من هم أشهر رواد المدرسة التي وقفت بين الإسلام وفلسفة أرسطو.. من المشرق؟
4. "اهتم طلاب العلم الأندلسيين بالعلوم التي يحتاجونها في حياتهم العملية" فكيف أثر ذلك في الفلسفة عندهم؟
5. على يد من كان الظهور الحقيقي للفلسفة بالأندلس؟
6. لماذا شجّع الموحدون الفلسفة في المغرب وبلاد الأندلس؟
7. بيّن صحة أو خطأ العبارات التالية:
 - أ. اشتغل ابن باجة بالفلسفة على نهج الفارابي. ()
 - ب. كتب ابن باجة كتاب (تدبير المتوحد) فقط. ()
 - ج. حفظت المكتبات جميع كتب ابن طفيل. ()
 - د. ولد ابن رشد بقرطبة سنة 520هـ / 1126م. ()
 - هـ. لعللاقة لكتاب تهافت التهافت بما جاء في كتاب تهافت الفلاسفة. ()
 - و. يرى ابن العربي أن الإنسان مخير وليس مسيراً ()
 - ز. يقع كتاب الفتوحات المكية في عشرين مجلداً. ()



اجب عن الأسئلة التالية

1. عرف الفلسفة وتطورها التاريخي بالأندلس؟
2. "يعد ابن رشد رائداً من رواد المدرسة الرسبية، وصاحب آراء خاصة به." عرف به وبآرائه الفلسفية تعريفاً كاملاً؟
3. "محيي الدين بن عربي رائد من رواد فلسفة التصوف بالأندلس." عرف به وبفكره الفلسفي؟

2. الأدب الأندلسي المغربي

الأدب يشمل المنظوم والمنثور من القول، ولكننا نقصد به الشعر. وهو مرآة تعكس ما يختلج ويعتلج في التضاريس النفسية لقارضييه، وآمالهم وتطلعاتهم ونظرتهم إلى أنفسهم ومجتمعهم، وإلى الحياة. والحديث عن الأدب الأندلسي والمغربي لا يعني أن هذا الأدب قد بدأ من مرحلة الصفر بعد الفتح الإسلامي للمغرب والأندلس، وإنما يعني الانطلاق من المرحلة نفسها، التي وصل إليها نظيره المعاصر له في المشرق؛ لأن العرب المسلمين الفاتحين لهذين البلدين هم الذين قادوا مسيرة الأدب العربي فيهما. على الأقل. في العقود الأولى التي تلت الفتح، لأن أهل البلاد الأصليين لم يكن مستواهم في اللغة العربية يمكنهم من قرض الشعر. وفي الفترة الأولى للفتح الإسلامي للأندلس التي عرفت بعهد الولاة (92-138هـ/711-755م) انصب اهتمام العرب الفاتحين على تنظيم الإدارة وتوفير البنيات الأساسية للمجتمع الإسلامي، وأقلمة أنفسهم على المناخ والظروف الحياتية في مجتمعهم الجديد؛ ولذلك لم يجد الشعر حيزاً يذكر في حياتهم (خفاجة، 1962م)، خاصة وأن الشعر يتأثر بالمناخ السياسي السائد، واتجاهات الحكام وعلية القوم نحوه. في عصر الإمارة، وفي فترة الأمير عبد الرحمن الداخل (138-172هـ/755-788م). ظهرت بدايات الأدب الأندلسي، فقد كان الداخل نفسه شاعراً. ولكن الشعر في

هذه المرحلة لم يخرج عن نطاق نظيره في الشرق في الأغراض والاتجاهات، والوزن والقافية، فقد كان شعراء الأندلس أبواقاً لشعر الأخطل (ت114هـ/732م). والكميت الأسدي (ت126هـ/734م) (عاصي، 1970م). ولكن الشعر في هذه المرحلة التمهيدية لم تتوفر له الظروف والإمكانيات اللازمة للانطلاق بالقوة نفسها للارتفاع إلى مستوى نظيره في المشرق.

وبعد وفاة الأمير عبد الرحمن تداول أبناؤه وأحفاده السلطة من بعده، واهتم بعضهم بتشجيع الآداب والفنون، وفتحوا قصورهم في وجه المبدعين من كافة أرض الإسلام، فوجدت شخصيات بارزة من الأدباء والمبدعين طريقها إلى قصور الأمراء، أبرزهم أبو الحسن علي بن نافع المشهور بزرياب، تلميذ إسحاق الموصلي مغني الخليفة هارون الرشيد. وقد حل زرياب بالأندلس في عام 207هـ/822م. وقد كان لهذا الانفتاح آثار إيجابية، إذ ساهم في تطوير المجتمع في المناحي الحياتية المختلفة، وارتقى بأذواق الناس فيما يخص الجانب الأدبي. ولكن فيما يخص تطور الشعر العمودي (المقفى) فلم يحدث فيه تطور يذكر في فترة بنى أمية، بل ظل الأثر المشرقي مسيطراً عليه؛ وربما يعود ذلك إلى اعتماد الأمويين على النهضة الأدبية التي قامت في بغداد في ظل العباسيين، وعدم اهتمامهم بالترجمة والاعتماد على ما يترجم في بغداد (ضيف، 1956م) وإلى كثرة الفتن الداخلية والتحديات الخارجية التي كانت تشكل عائقاً أمام التلقي السريع لما يجد ويستجد في عالم الحياة العقلية في المشرق، وإلى كون أن المجتمع الأندلسي مجتمع متعدد الأعراق والثقافات، ويحتاج صهره في بوتقة واحدة إلى زمن طويل، وظروف سياسية مستقرة، وإرادة سياسية قوية، وقيادة مستنيرة وواعية. وعلاوة على ما سبق فإن الإسلام والعروبة ووجود المقدسات الإسلامية بالشرق كلها عوامل تجعل من الصعب علي مجتمع الأندلس الاستقلال عن المشرق، وخاصة فيما يخص الجانب الأدبي، ولكنها لا تمنعه من الإبداع والتفرد والخصوصية.

وفي القرن الخامس الهجري تفكك النظام المركزي الأموي، وانقسمت الأندلس إلى دويلات مستقلة يحكمها حكام يتوزعون على الأعراق التي يتكون منها المجتمع الأندلسي.

وقد شجع هؤلاء الحكام الشعر كوسيلة للتفوق على خصومهم وإظهار الهيبة لدولهم، كما أن البيئة الأندلسية قد أصبحت بصماتها واضحة في سلوك أبنائها نتيجة لطول الفترة، واختلاط الفاتحين بأهل البلاد الأصليين حتى أصبحوا جزءاً منهم، واختلطت طباعهم بطباعهم؛ وانعكس كل ذلك على الشعر العمودي، الذي وإن كان قد حافظ من ناحية الوزن والقافية على أصوله المشرقية إلا أن موضوعاته قد أصبحت مستقاة من هموم الشعراء الأندلسيين، ومن إحياء بيئتهم ومخزونهم الثقافي. وبذلك انطلق الشعر الأندلسي نحو التجديد، وأصبحت له خصوصيته المميزة.

من جانب آخر فإن التمازج العرقي والثقافي واللغوي الذي حدث في الأندلس والموقع الجغرافي لهذا البلد في جنوب أوروبا قد كان لهما دور في مسيرة الشعر؛ فقد عرفت الأندلس في القرن الرابع الهجري نوعاً فريداً من الشعر لم يعرف في غيرها أطلق عليه اسم **الموشحات**. والموشحة هي شكل استحدثه الأندلسيون للقصيدة العربية شذوا فيه عن مآثور نظامها الموسيقي في الوزن والقافية، إلى نظام آخر يتصف بخصائص معينة تميزه عن القصيدة الكلاسيكية، أبرزها التزامه قواعد معينة من حيث التقفية غير القواعد العمودية، وخروجه عن المعروف من بحور الشعر التي وضعها الخليل بن أحمد الفراهيدي، وخلوه من الوزن الشعري المأثور. أحياناً. واستعمال اللغة الدارجة في بعض أجزائه (الخرجة)، واتصاله الوثيق بالغناء (عاصي، 1970م).

أما عن الشاعر الذي اخترع هذا النوع من الشعر فهناك روايتان الأولى تقول إن مخترعه هو **محمد بن محمود القبري الضير** (ابن بسام 1978م، ق1، ج2). والثانية تقول **مقدم بن معافى القبري** (ابن خلدون، 1966م، المقدمة)، وذلك في نهاية القرن الثالث الهجري. وفي القرن الرابع الهجري. نصح الموشح، وأرسيت قواعده وأصوله المألوفة بواسطة **عبادة بن ماء السماء** (ت422هـ/ 1040م) (ابن بسام، 1978م، ق1، ج2). ولكن مع ذلك فإن كبار الشعراء في القرن الخامس الهجري كابن عمار والمعتمد بن عباد قد زهدوا في الموشح واحتقروه، لرواج الركافة في القصائد المختارة منه للغناء (ابن عبد ربه، 1944م، ج6). ولكن في فترة المرابطين بالأندلس والموحدين من بعدهم بلغ شعر

الموشحات عصره الذهبي، وأصبح كبار الشعراء في تلك الفترة ينظمون قصائدهم على شاكلته، كالأعمى التطيلي (ت520هـ/1126م)، وأبي بكر محمد ابن قزمان (ت555هـ/1198م). وأبوبكر محمد بن عبد الملك بن زهر، المعروف بالحفيد (ت595هـ/1198م)، وابن عربي وغيرهم (عاصي، 1970م).

وقد انتشر هذا النوع من الشعر في المشرق والمغرب وأوربا. وقد عرف في أوربا بالشعر البرفرنسي، نسبة إلى ولاية Provence في جنوب فرنسا. وكان ينشده الباعة المتجولون في جنوب فرنسا وإيطاليا (العبادي، 1978م). وسنقدم فيما يلي شاعراً واحداً كنموذج لكل مرحلة من مراحل تطور الشعر الأندلسي المغربي.

1.2 الشعراء التقليديون ... ابن هاني الأندلسي

هو محمد بن سعدون الأزدي، وقد اشتهر بابن هاني الأندلسي. ولد بقرية سكون من قرى إشبيلية سنة 320هـ/922م، ونشأ طفولته بها ثم التحق بقرطبة ودرس بها، ووقتها كانت قرطبة كعبة الثقافة والعلم. ثم عاد إلى إشبيلية، وقد تفننت مواهبه الشعرية، وظهرت ثمارها، فمدح صاحبها، فقربه منه. ولكنه مال بعد ذلك إلى اللهو والمجون، وشارك في الجدل الفلسفي، وانتهى به المطاف إلى الاعتقاد في إمامة الفاطميين، فكان ذلك سبباً في اتهامه بالزندقة والكفر وتضييق الخناق عليه. فاضطر إلى مغادرة إشبيلية إلى المغرب، وهناك اتصل بولاء الفاطميين، وعلى رأسهم جوهر الصقلي، فأكرموه، فبالغ في مدحهم. فوصل خبره إلى الخليفة المعز لدين الله الفاطمي، فاستدعاه وجعله شاعر دولته. وعندما اتخذ المعز القاهرة عاصمة لدولته، وارتحل إليها، قرر ابن هاني اللحاق به، ولكنه وجد ميثاقاً في مدينة برقة في عام 362هـ/973م، وهو في طريقه إلى مصر.

ويعد ابن هاني في الطبقة الأولى من شعراء الأندلس والمغرب التقليديين. وقد غلب على شعره المدح، ولكن له أشعار في جوانب أخرى كالوصف والغزل واللهو. وله ديوان شعر حققه زاهد علي الهندي وشرحه ونشره بعنوان، تبين المعاني في شرح ديوان

ابن هاني (عاصي، 1970م). وهذه أبيات من قصيدة مدح بها المعز، والأبيات التي تليها من قصيدة مدح بها جوهر الصقلي وجيشه الغازي لمصر.

نموذج 1

ما شئت لا ما شاءت الأقدار	فاحكم فأنت الواحد القهار
وكأنما أنت النبي محمد	وكأنما أنصارك الأنصار

نموذج 2

رأيت بعيني فوق ما كنت أسمع	وقد راغني يوم من الحشر أروع
غداة كأن الأفق سد بمثله	فعاد غروب الشمس من حيث تطلع
فلم أدر إذ سلمتُ كيف أُشيع	ولم أدر إذ شيعتُ كيف أودع
وكيف أخوض الجيش والجيش لجة	وإني بمن قاد الجيوش لمولع

2.2 شعراء الانطلاق نحو التجديد... ابن زيدون

هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن زيدون. ولد بقرطبة في عام 394هـ/1004م في أسرة تميزت بنبوغها في الأدب. وتثقف على أيدي كبار علماء قرطبة ومفكرها وقد كانت نفسه تسمو إلى المجد والرفعة، ولذلك وقف إلى جانب ابن أبي الحزم جهور، الذي كان يسعى لاستقلال انهيار حكم بني أمية بالأندلس للاستقلال بحكم قرطبة ولما تم له ذلك في عام 422هـ/1041م كافأ ابن زيدون وجعله وزيراً وسفيراً له. وقد اشتهر ابن زيدون بحبه لولادة بنت المستكفي، وكان ينافس في هذا الحب ابن عبدوس، وزير ابن جهور. ونتيجة لهذا التنافس ألصقت بابن زيدون التهم، ووضع في الحبس، ثم أخرج منه بعد فترة من الزمن نتيجة لرضاء ابن جهور عنه. ولكن العلاقة بينهما لم تعمر طويلاً، إذ أصابها الفتور، فاضطر للهروب إلى إشبيلية والالتحاق بخدمة المعتضد بن عباد وبعد

خلافة المعتمد لأبيه المعتضد عين بن زيدون وزيراً له. وفي عام 462هـ/1070م توفي ابن زيدون (المراكشي، 1978م، وابن خاقان، 1320هـ، وبالنشأ، 1955م).

تأثر ابن زيدون بشعراء المشرق كأبي تمام والمتنبي، ونسج على منوالهم. ولكن مع ذلك فإنه يعد من الشعراء الذين بدأوا وقادوا التجديد في الشعر الأندلسي والسير به نحو الخصوصية ففي شعره بواذر وجدانية خالصة، والتماعات عاطفية شخصية صادقة، ووصف للطبيعة الأندلسية وجمالها، وحنين إلى ربوعها تحركه ذكريات الماضي، وآمال المستقبل. وهذا نموذج من شعره في الغزل.

بيني وبينك مالو شئت لم يضع	سر إذا ذاعت الأسرار لم يُذع
يا بائعاً حظه مني، ولو بُذلت	لي الحياة بحظي منك لم أبع
حسبي بأنك إن حملت قلبي ما	لا تستطيع قلوب الناس يستطع.

3.2 شعراء الموشحات... لسان الدين بن الخطيب

هو لسان الدين بن الخطيب السلماني. ولد بغرناطة في عام 713هـ/1313م وتنقّف على يد كبار علمائها ومفكريها. ومال إلى السياسة، وتقرب إلى بني الأحمر، وأصبح وزيراً لسلطان غرناطة أبي الحجاج يوسف، الذي أرسله في سفارة إلى سلطان بني مرين بفاس في عام 740هـ/1348م، ثم في سفارة أخرى في عام 755هـ/1354م، فنجح في السفارتين، وتوثقت العلاقات بينه وبين حكام بني مرين، لذلك عندما خلع محمد الخامس في عام 760هـ/1359م، وعين مكانه أخوه إسماعيل، هرب محمد الخامس إلى المغرب، ولجأ إلى السلطان أبي سالم إبراهيم المريني، وكان من بين الذين فروا معه وزيره ابن الخطيب. وفي المغرب عكف ابن الخطيب على القراءة والتأليف، والاتصال بعلماء المغرب، والوقوف على آثاره، واختار مدينة فاس مقراً له. وفي هذه الفترة فقد زوجته. وفي عام 763هـ/1362م استعاد محمد الخامس ملكه بمساعدة بني مرين وملك قشتالة، واستدعى وزيره ابن الخطيب للمجيء لمباشرة عمله، فاضطر لإجابة الطلب، ولكن أعداء

ابن الخطيب والمتضررين من سياساته قد تمكنوا من تعكير صفو المودة بينه وبين السلطان، فلم يكن أمام ابن الخطيب خيار سوى النجاة بنفسه، فغادر إلى المغرب بماله ونخائره. وهناك بدأ يؤلب السلطان المريني أبا فارس عبد العزيز ضد محمد الخامس، ليستولى على غرناطة. ففطن محمد الخامس للأمر واسترضى عبد العزيز بالمال والهدايا. وفي عام 774هـ/1372م توفي أبو فارس وخلفه ابنه أبو زيان محمد السعيد، وكان طفلاً، وهو الذي ألف له ابن الخطيب كتاب، **أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلال؛** ليتقرب به إليه. ولكن الأمور سارت في غير صالحه إذ تمكن السلطان محمد الخامس من حوك مؤامرة تمكن من خلالها عزل السعيد، وتعيين أبي العباس أحمد بن أبي سالم المريني سلطاناً على المغرب. وقد قام هذا الأخير وبإيعاز من محمد الخامس بمصادرة أموال وأملاك ابن الخطيب وتعذيبه وحرقه في عام 776هـ/1374م (المقري، 1968م، ج7، والمقري، 1942م). كان ابن الخطيب موسوعياً له مؤلفاته في الطب والأدب والسياسة والتاريخ. وفيما يخص الأدب فمن أشهر مؤلفاته كتاب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، وأراجيز مثل أرجوزته، تخصيص الرئاسة بتلخيص السياسة، وهي في نحو ستمائة بيت، وكتاب السحر والشعر، الذي يشتمل على أناشيد تضمنت ضربي المطرب والمرقص (ابن الخطيب، 1956م، ومؤلفات لسان الدين ابن الخطيب في المغرب، مجلة Hesperis).

أما عن مساهماته في أدب الموشحات فهي كثيرة اخترنا منها هذه الأبيات من موشحته الشهيرة، **جاءك الغيث:**

جاءك الغيث، إذا الغيث همى	يا زمان الوصل بالأندلس
لم يكن وصلك إلا حُلماً	في الكرى أو خُلُسة المختلس
إذ يقود الدهر أشتات المنى	ننقلُ الخطَّو على ما ترسم
زُمرّاً بين فرأدى وثنى	منك ما يدعو الحجيجَ الموسمُ
والحيا قد جلل الروض سنا	فثغورُ الزهر منه تبسم
وروى النعمان عن ماء السما	كيف يروى مالك عن أنس
فكساه الحسن ثوباً مُعلماً	يزدهي منه بأبهي ملبس

تدريب (2)



1. متى ظهرت بدايات أدب الأندلس؟
2. إلي ماذا أدّى وجود الإسلام والعروبة بالشرق بالنسبة لأدب الأندلس؟
3. "هناك روايتان حول مخترع شعر الموشحات" ما هما؟
4. اختر رمز الإجابة الصحيحة مما يلي:
 - أ. ابن هاني الأندلسي هو:
 1. محمد بن سعد. 2. محمد بن سعدون الأزدي. 3. محمد الصقلي.
 - ب. غلب علي شعر ابن هاني طابع:
 1. المدح. 2. الهجاء. 3. وصف المحبوب.
 - ج. عائش ابن زيدون بين عامي:
 1. 390 . 460 هـ. 2. 394 . 462 هـ. 3. 940 هـ. 1005 م.
 - د. كانت لابن الخطيب علاقات مع حكّام:
 1. الأدارسة. 2. الأغالبة. 3. بني مرين.
 - هـ. لإبن الخطيب مؤلفات في:
 1. الطب والأدب. 2. الرياضة والسباحة. 3. الجغرافيا.



أجب عن الأسئلة التالية

1. تتبّع مسيرة الأدب الأندلسي وتطوره.
2. "ابن الخطيب من أدباء وعلماء المغرب والأندلس البارزين." عرف به متناولاً إسهامه في مجال الموشحات.

3. الطب

عرّف ابن خلدون الطب قائلاً: "هي صناعة تنتظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح، فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية بعد أن تبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن، وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها، وما لكل مرض من الأدوية". (ابن خلدون، 1966م، ج3). ومن خلال هذا التعريف يتضح المجال ويتحدد لنا الإطار الذي كان يتحرك داخله الأطباء في المجتمع الأندلسي والمغربي في العصور الوسطى.

أما بالنسبة للأطباء في أوروبا في القرون الوسطى فإن هذا التحرك كان مشروطاً . حتى بعد الانفراج الذي أحدثه القرار الذي أصدره الإمبراطور فنزل إمبراطور ألمانيا في عام 809هـ/1406م والذي بموجبه أبعاد إلصاق تهمة سوء السمعة بالأطباء الممارسين للجراحة . باعتراف المريض بالخطيئة التي ارتكبها أمام طبيب الروح بعد ثلاثة أيام من بدء العلاج، وإلا وجب على الطبيب ترك علاجه. أما إذا استمر الطبيب في العلاج بدون تحقق الشروط فإنه سيحرم من ممارسة المهنة. و قد أدى هذا الموقف من الطب إلى الاعتقاد في الأوساط الأوروبية في دور الآثار المقدسة في شفاء الأمراض، وإلى ظهور التمايم والتعاويز كوسائل علاجية (مظهر، بدون تاريخ). وإذا كان هذا هو الحال بالنسبة

للأوربيين فما هو موقف الإسلام من الطب؟ وما هي وضعية الطب والأطباء في الأندلس والمغرب؟.

لم يتدخل الإسلام في العلوم التي تخص معاش الإنسان وصحته وإنما اكتفى بوضع ضوابط عامة للسلوك البشري؛ لتكون منارة للمسلم، ودليلاً يستعين به في التفريق بين المباح والمحرم.

وفيما يتعلق بالطب فقد ورد حديث نبوي شريف صحيح في إباحته وهذا نصه: "عن أسامة بن شريك قال قالت الأعراب يا رسول الله ألا نتدواي؟ قال: نعم، يا عباد الله تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء، **أو** دواء إلا داءً واحداً، قالوا ما هو؟ قال: الهرم". (الترمذي، سنن الترمذي، ج3، حديث رقم 2109). وقد منح هذا الحديث الإذن للمسلمين للانطلاق في هذا المجال ولكن هذه الانطلاقة بالنسبة للأندلس قد بدأت متأخرة، إذ ترجع بدايات الطب الإسلامي في هذا البلد إلى فترة حكم الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط (238-273هـ/852-886م). أما قبل هذا التاريخ فقد كانت مهنة الطب حكراً على بعض الأطباء النصارى (بالنثيا، 1955م)، وذلك لانشغال الأندلسيين بتعلم وحذق أمور دينهم. وحتى بالنسبة للمجموعة المسلمة التي اقتحمت مجال الطب في هذه الفترة وبعدها فإنها لم تكن تنتمي إلى الطبقات الميسورة لذلك اضطرتها ظروف الحياة إلى الاكتفاء بقراءة الكنائش المؤلفة في فروع الطب، والزهد في تلك التي ألقت في أصوله ككتب أبي قراط وجالينوس، وذلك لكسب لقمة العيش (صاعد الأندلسي، بدون تاريخ).

ومن الطبيعي والحال هذه أن تصاب المهنة بالجمود والتحجر، وأن تكون هنالك ندرة في الابتكارات العلمية المتعلقة بها، إذ أن الابتكار يتطلب من المبتكر الوقوف على ما كتب، وما أنجز في مجال اهتمامه، كما أن الابتكار والإبداع والازدهار العلمي رهين. بلا شك. بحيوية المجتمع ونصيبه من التحضر والوعي، والإمكانيات المادية. وهي عوامل لم تكن متوفرة لغالبية الأندلسيين وقتذاك ولكن بعد إعلان عبد الرحمن الثالث لنفسه خليفة للأندلس، وإحكام قبضته على السلطة، شهدت الأندلس نوعاً من الاستقرار استمر حتى وفاة المنصور بن أبي عامر. وخلال هذه الفترة حدث اهتمام بالعلوم ومن بينها الطب،

الذي جلبت بعض الكتب المتعلقة به من المشرق وبيزنطة، وأعيدت ترجمة بعضها ككتاب ديوسقوريدس Dioscorides الحشائش أو الأدوية المفردة، الذي ترجمه الراهب نيكولا Nicolas من اليونانية إلى اللاتينية، ثم ترجمه إلى العربية مجموعة من أطباء عبد الرحمن الثالث على رأسهم حسداي بن شبروط اليهودي، هذا وقد سبق للكتاب أن ترجم في عهد الخليفة العباسي المتوكل، ولكن الترجمة لم تكن دقيقة (ابن جليل، 1955م).

ثم أخذت أعداد الأطباء في التزايد والاهتمام بالطب يتنامى؛ وهذا واضح في ظهور بعض كتب التراجم المهمة بالطب ككتاب، طبقات الأطباء. وقد خطا الطب خطوات متقدمة على الرغم من بدايته المتعثرة في مجالات كطب العيون، الذي بدأ الاهتمام به كعلم مستقل (صاعد الأندلسي، بدون تاريخ). ويبدو لنا أن الاهتمام بالعين ربما يكون سببه كثرة الإصابة بأمراضها بين الأندلسيين، خاصة وأنهم في معظمهم، يمارسون حرفة الفلاحة، الشيء الذي يجعلهم عرضة لأشعة الشمس المحرقة والغبار والأتربة والحشرات إلخ، التي لها آثارها وانعكاساتها السلبية على سلامة العين وصحتها.

وفي عهد ملوك الطوائف والمرابطين من بعدهم لم يحدث اهتمام يذكر بتطوير الطب (ابن سعيد، 1955م، ج2). ولكن عندما جاء الموحدون إلى السلطة بالمغرب والأندلس أولوا الطب أهمية خاصة؛ فأنشأوا البيمارستانات (المستشفيات). كذلك التي أنشأها يعقوب المنصور بمدينة مراكش، واستدعى لها كبار الأطباء من المغرب والأندلس للإشراف على علاج المرضى، وأتى بالصيدلة لصنع الأشربة والأدهان والأكحال. وقد عين يعقوب المنصور الطبيب أباسحاق إبراهيم الداني (ت بعد 610هـ / 1213م) أميناً لهذا البيمارستان. وقد كان الأطباء يراعون الجوانب الإنسانية في علاج مرضاهم حيث كان بعضهم لا يتعاطى أجراً في مقابل العلاج (ابن أبي أصيبعة، بدون تاريخ، ج3).

عرفت الأندلس أعداداً من الأطباء ولكننا سنعرف باثنين منهم كمثال:

1.3 أبو القاسم الزهراوي

ولد بمدينة الزهراء في القرن الرابع الهجري في وقت كانت الأندلس تتلمس طريقها نحو الطب وأظهر اهتماماً خاصاً بدراسة الطب، وخاصة علم الجراحة، الذي يعد من

رواده في القرون الوسطى، وقد ألف كتباً في الطب أهمها كتاب، **التصريف لمن عجز عن التأليف**، الذي يقع في عشرين فصلاً أهمها الفصل الذي خصصه للجراحة. وقد ترجم هذا الفصل إلى اللاتينية والعبرية في القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، ويشتمل على صور توضيحية لآلات الجراحة. وقد نهل من هذا المبحث كل الجراحين الأوربيين الذين ظهروا بعد القرن الثامن الهجري وظل تأثيره قوياً حتى ظهرت طرق التجريبيين المحدثين في القرن العاشر الهجري فحلت مكانه. اعتمد الزهراوي على نظريات جالينوس التشريحية اعتماد الواعي المدقق حيث صحح المعوج منها وفي 404هـ/ 1013م توفي الزهراوي (مظهر، بدون تاريخ).

2.3 ابن زهر الإشبيلي

هو أبو مروان عبد الملك بن زهر. ولد بإشبيلية في عام 486هـ/ 1093م في أسرة كانت في بدايتها مشهورة بالنبوغ في الدراسات الفقهية، ولكنها في القرن الخامس الهجري أظهرت اهتماماً بالطب، وخرجت ستة من مشاهير أطباء الأندلس.

درس عبد الملك الطب على والده، ثم قدم خدماته الطبية لأمرأ الدولة المرابطية. وعندما ظهر الموحدون بالأندلس اتخذ عبد المؤمن بن علي طبيباً خاصاً به (ابن أبي أصيبعة، بدون تاريخ، ج3). وقد ألف ابن زهر عدداً من الكتب في مجال الطب وصل إلينا منها ثلاثة وهي كتاب: **الاقتصاد في صلاح الأنفس والأجساد**، وهو مخطوط وتوجد منه نسخة بالخرانة الحسنية بالرباط، **والأغذية والأدوية**، وتوجد منه نسخة أيضاً بالخرانة الحسنية، و**كتاب التيسير في مداواة والتدبير (الروحيم)**. وقد ألفه بطلب من الخليفة الموحدي عبد المؤمن ابن علي، ويتألف الكتاب من سفرين تطرق فيهما إلى كل الأمراض المعروفة في زمانه التي تصيب جسم الإنسان من الداخل والخارج. وابتدأ من أعلى الجسم إلى أسفله. وقد وصف العديد من الأمراض كالسل المعوي، والحميات والأمراض الوبائية، وأمراض الجلد والسرطان. وقد ألحق ابن زهر جزءاً بهذا الكتاب أطلق عليه اسم **الجامع**، وهو عبارة عن وصفات علاجية مبسطة لما يحدث في البدن من

أمراض، أراد من خلالها مساعدة غير المختصين في الطب للوصول إلى العلاج المناسب لهم (ابن زهر، 1983م).

وعلاوة على ما سبق فإن ابن زهر يعد صاحب أول فكرة عن جراحة الجهاز التنفسي وحقن الغذاء عن طريق الحلق أو الشرج لمن أصيب في مريئة وتعذر إعطاؤه الطعام عن طريق الفم. وكذلك فقد قام بتصحيح آراء جالينوس الطبية وخالفها في التشريح (ابن زهر، 1983م).

وفي القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي تنبه الأوربيون إلى أهمية كتابات ابن زهر الطبية فترجموها إلى اللاتينية وبدأت طبعات منها ترى النور ابتداء من عام 896هـ/1490م. وترجم كتابه التيسير إلى العبرية ثم إلى اللاتينية، وأصبح من المصادر الطبية المهمة، والتي تدرس في المراكز الطبية في أوروبا حتى القرن الثاني عشر الهجري (كولن Colin، بنى زهر، دائرة المعارف الإسلامية، ج1، بدون تاريخ). وفي عام 558هـ/1162م توفي ابن زهر بعد حياة حافلة بالعطاء.

تدريب (3)



1. إلى ماذا أدي قرار الإمبراطور فنزل الخاص بالأطباء؟
2. متي ظهرت انطلاقة الطب بالأندلس؟
3. لماذا اهتم الأندلسيون بطب العيون؟
4. ما الدور الذي لعبه الموحدون في تطوّر الطب بالمغرب والآنندلس؟
5. رتب عبارات المجموعة (أ) مع ما يناسبها من عبارات المجموعة (ت) في (ب):
- المجموعة (أ) المجموعة (ب) المجموعة (ت)
1. مسقط رأس الزهراوي. () 1. 558هـ / 1162م.
2. مسقط رأس الإشبيلي. () 2. عام 404هـ / 1013م.
3. من مؤلفات الزهراوي . () 3. مدينة اشبيلية عام 486هـ / 1093م.
4. من مؤلفات الإشبيلي. () 4. مدينة الزهراء في القرن الرابع.
5. تاريخ وفاة الزهراوي. () 5. التصريف لمن عجز عن التأليف.
6. تاريخ وفاة الإشبيلي. () 6. الاقتصاد في علاج الأنفس والأجساد.

نشاط



1. تتبّع مسيرة الطب في الأندلس محلاً ومناقشاً، وقارن بما لديك من معلومات طبية حديثة.
2. "ابن زهر الإشبيلي من الأطباء الأندلسيين الذين لهم إسهاماتهم الواضحة في مجال الطب." عرف به وبإسهاماته.

4. الصيدلة

انفتح العرب المسلمون على ثقافات الأمم السابقة لهم حضارياً وخاصة اليونان، فاستوعبوا واتخذوها قاعدة بنو عليها إسهاماتهم ومن العلوم التي نبغ فيها المسلمون علم الصيدلة، الذي ساعدهم على التبحر فيه، والإضافة إليه، تقدمهم في علم الكيمياء، فقد قاموا بتركيب الأدوية الكيميائية بصورة علمية وفاعلة، وألفوا العديد من الكتب في العقاقير، وأدخلوا السكر الذي كان مجهولاً لدى اليونان إلى الأدوية المرة لتكون مستساغة وكذلك الأشربة، ولذلك فلا غرو أن تكون كلمة Syrup الأوربية نطقاً إفرنجياً لكلمة شراب. كما أن كتب العقاقير في أوربا قد اعتمدت اعتماداً كبيراً فيما يخص موازين ومعايير الأدوية على الكتب العربية حتى أواخر القرن الثاني عشر الهجري، كما أدخلوا مراقبة الأدوية عن طريق المحتسب. ولهذا يمكن القول بأنهم قد وضعوا الأساس لعلم الصيدلة بصورته الحديثة. وقد انتقل الأثر العربي في الصيدلة إلى أوربا عن طريق الترجمة لمؤلفات بعض المسلمين الذين أفردوا جانباً منها إلى الحديث عن الصيدلة، نخص منهم من الأندلسيين بالذكر ابن زهر، وعن أولئك الذين خصصوا كل مؤلفاتهم لهذا الحقل كابن وافر الطليطلي (387-467هـ/997-1074م). الذي ألف كتاباً في الأدوية المفردة ضاع أصله وبقيت ترجمته اللاتينية، وهو من أشهر كتب الصيدلة في أوربا في العصور الوسطى وبعدها (مظهر، بدون تاريخ).

ومن علماء الصيدلة الأندلسيين أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج المعروف بابن العشاب (ت637هـ/1239م). نشأ ابن العشاب في أسرة مهتمة بالأعشاب، وأخذ هذا العلم عن أبيه وجده. وحاول تطبيق المعلومات النظرية التي تلقاها والتحقق من صحتها، فجال في سهول الأندلس وجبالها ووقف على أعشابها ومنابتها ثم ارتحل إلى المشرق، وهناك عمل جهده للتعرف على الأعشاب التي لا نظير لها في بلاده، والتقى بالمهتمين بهذا العلم وناقشهم وأخذ عنهم ثم عاد إلى إشبيلية وافتتح حانوتاً لبيع الأعشاب الطبية وقد اعتمد ابن العشاب المنهج التجريبي لمعرفة الخصائص الطبية للنباتات، واكتشف الأخطاء

التي وقع فيها العشابون من قبله وصححها، وألف عدداً من الكتب في ذلك منها، شرحه لحشائش ديوسقوريدس، وأدوية جالينوس وتبنيها إلى أوهام مترجمها (المراكشي، الذيل والتكملة، السفر السادس، وابن أبي أصيبعة، بدون تاريخ).

أما بالنسبة لعلماء الصيدلة الأندلسيين المتأخرين فيعد أبو محمد عبد الله ابن أحمد بن البيطار المالقي من أبرزهم. ولد ابن البيطار بمالقة عام 586هـ/1190م، ودرس على علماء الأندلس، ثم سار على طريقة ابن العشاب نفسها حيث تجول في الأندلس والمغرب والمشرق للوقوف على الأعشاب وخصائصها الطبية في تلك المناطق. واستقر بمصر حيث كانت تحكم بوساطة الأيوبيين، وعين رئيساً على كافة العشابين وباعة الأدوية. واشتهرت أعماله في مصر وسوريا. ولكن تأثيره في أوربا كان ضئيلاً. وله العديد من الكتب منها كتاب، المغني في الأدوية والإبانة والأعلام بما في المنهاج من الخل والأوهام، وكتاب الجامع في مفردات الأدوية، الذي يعتبر أشهرها (ابن الأبار، 1375هـ). وقد قسم هذا الكتاب إلى أربعة أقسام. ويشتمل الكتاب على وصف لجميع النباتات والأحجار والمعادن و الحيوانات المعروفة في زمانه التي لها خواص طبية، وفيه صحح كثيراً من الأخطاء التي وقع فيها ديوسقوريدس وجالينوس في كتبهم. ويشتمل الكتاب على 1400 دواء منها 400 دواء لم تكن معروفة من قبله بدأ الأوربيون ترجمة هذا الكتاب إلى اللاتينية ابتداء من عام 1007هـ/1598م، وظهرت له ترجمة كاملة في ألمانيا في عام 1258هـ/1842م. وفي عام 646هـ/1248م توفي ابن البيطار (مظهر، بدون تاريخ).

أسئلة التقويم الذاتي



1. هل ساعدت معرفة العرب بالكيمياء في معرفتهم بالصيدلة؟
2. كيف انتقل الأثر العربي في الصيدلة إلى أوربا؟
3. من هو ابن العشاب؟
4. من هو ابن البيطار؟
5. إلى أي اللغات ترجم كتاب ابن البيطار (الجامع في مفردات الادوية)؟

5. الجغرافيا

إن الموقع الجغرافي للأندلس في أقصى غرب العالم الإسلامي، وارتباط سكانه بصلات الدم واللغة والعقيدة بإخوتهم في الشرق، ووجود المقدسات الإسلامية به، حتم على أهله شد الرجال إلى المشرق طلباً للعلم ولأداء فريضة الحج. ولهذا اشتهر الأندلسيون بالرحلة أكثر من غيرهم. والرحلة كما هو معلوم هي الطريق الوحيد لاكتساب المعرفة الجغرافية. ولكن الرحلة بما فيها من مشاهدات وانطباعات قد تنتهي بنهاية صاحبها إذا لم تدون. ولحسن الحظ فإن الأندلسيين قد تميزوا على غيرهم بالوعي والاهتمام بالعلم وتقييده، ولذلك دون كثير منهم مشاهداته وقراءاته. فوصل إلينا عدد لا بأس به منها. وقد أسهم الجغرافيون الأندلسيون بنصيب وافر في النهوض بعلم الجغرافيا. ولكثرة من ألف من الأندلسيين في الجغرافيا كالرازي والعذري وابن غالب وابن جبير وعبد الله البكري وابن بطوطة والشريف الإدريسي، فإننا سنكتفي بالتعريف باثنين منهم.

1.5 عبد الله البكري

هو أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي. ولد في أسرة لها مكانة كبيرة في الأندلس، فاهتمت بتربيته وتنقيفه. وهو أديب وجغرافي مشهور، عاش في عصر ملوك الطوائف بالأندلس في القرن الخامس الهجري، وله عدد من المؤلفات منها: **معجم ما استعجم** من أسماء البلاد والمواضع، الذي يقع في عدد من الأجزاء، وهو عبارة عن معجم لغوي جغرافي يصف فيه جزيرة العرب وما بها من المعالم والمشاهد والبلدان والمعاجم والآثار والمناهل والموارد. كما تتبع فيه هجرة القبائل العربية من أوطانها واضطراباتها في أعطانها، وترددها بين مصايفها ومرباعها، ومباديها ومحاضرها، كما ذكر أيامها ووقائعها وأنسابها وعشائرها (البكري، 1951م). وكتاب **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب** وهذا الكتاب هو جزء من كتابه **المسالك والممالك**. وقد وصف فيه بلاد إفريقية والمغرب وصفاً جغرافياً دقيقاً بين فيه أحوال المدن والقرى وموارد العيش فيها. كما تحدث بدقة عن المسالك التجارية التي تربط بين مختلف المدن الإفريقية والمغربية،

فوصف محاطها وما بها من تسهيلات و خدمات للمسافرين، وأبرز الإمكانات الزراعية والصناعية لكل منطقة، فضلاً عن عادات أهلها ومذاهبهم الحياتية. وإضافة إلى ذلك فإنه من خلال الوصف نفذ إلى الحديث عن الكيانات السياسية التي كانت مهيمنة على هذه المدن والمناطق كالأدارسة والبرغواطيين وبنى صالح. وعلى الرغم من هذا الوصف الدقيق والمعلومات الغزيرة التي أوردها البكري عن هذه المناطق إلا أنه لم يزرها وإنما اعتمد في معلوماته عنها على المؤلفين السابقين له في هذا المجال كيوسف الوارق وابن يומר الهواري، وعلى المغاربة الذين وفدوا إلى الأندلس والأندلسيين الذين زاروا المغرب وإفريقية (البكري، بدون تاريخ).

ويحتل كتابه، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مركز الصدارة على كل الكتب الجغرافية، التي كتبت عن المغرب وإفريقية منذ الفتح الإسلامي وإلى منتصف القرن الخامس الهجري، بل إن معظم الجغرافيين الذين ظهروا بعد هذا التاريخ قد اعتمدوا عليه في كتاباتهم عن المغرب وإفريقية كياقوت الحموي، صاحب كتاب معجم البلدان.

2.5 الإدريسي

هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن إدريس المعروف بالشريف الإدريسي. ولد بسبته في عام 493هـ / 1100م. ودرس بمسجد قرطبة. ثم قام بعدة جولات شملت مناطق عديدة بالأندلس وشمال إفريقيا وآسيا الصغرى، وقيل إنه زار أيضاً فرنسا وإنجلترا. واستقر بالإدريسي المقام بجزيرة صقلية بدعوة من ملكها رو جر الثاني Roger11 (ت547هـ/ 1152م) (مؤنس، 1986م). وقد كان روجر يطمح إلى السيطرة على طرق التجارة، وخاصة تلك التي تمر عبر سواحل بحر الروم، ولتحقيق هذا الهدف طلب من الإدريسي إعداد وصف شامل للمناطق الهامة من المعمور وقتذاك. ووفر له الوسائل المعينة على ذلك فعكف الإدريسي على قراءة الكتب الجغرافية المتوافرة لديه، وجمع مشاهداته في رحلاته المختلفة، ثم أرسل أشخاصاً ليتأكدوا له من معلومات معينة تخص مناطق بعينها، وكذلك ليجمعوا له معلومات عن المناطق التي لم تتوفر له معلومات عنها. وكانت خلاصة كل ذلك كتابه الشهير، نزهة العشتاق في ذكر الأمصار والأقطار والبلدان والجزر

والمداين والآفاق، الذي قدمه لروجر الثاني. وهو عبارة عن تقرير مفصل عن طبيعة البلدان وجغرافيتها، وحياة سكانها، وأنماط معاشهم، ومصحوب بكرة أرضية، عليها رسوم غائرة مشروحة، يبلغ وزنها 144 أقة. رسمت عليها جميع أنحاء الأرض المعروفة وقتذاك، وهي أول كرة أرضية عرفها التاريخ. ويتميز الكتاب بالإيجاز في وصف البلدان والاسترسال في ذكر المسافات، والاهتمام بالأحداث التاريخية، وإيراد النوادر. توفي الشريف الإدريسي في عام 560هـ/1165م (الإدريسي، نزهة المشتاق).

تدريب (4)

1. لماذا حثّم موقع الأندلس علي أهلها الترحال؟
2. من هو البكري؟ وما هي أهم مؤلفاته؟
3. أين متي ولد الإدريسي؟
4. هل سبق الإدريسي أي من العلماء في رسم الكرة الأرضية؟



نشاط

- "اهتم المغاربة والأندلسيون بالرحلة الشيء الذي أدى إلى سبقهم وتقدمهم في علم الجغرافيا." راجع ما كتب عنهم وناقش اسهامات علمائهم في هذا المجال مع زملاءك.



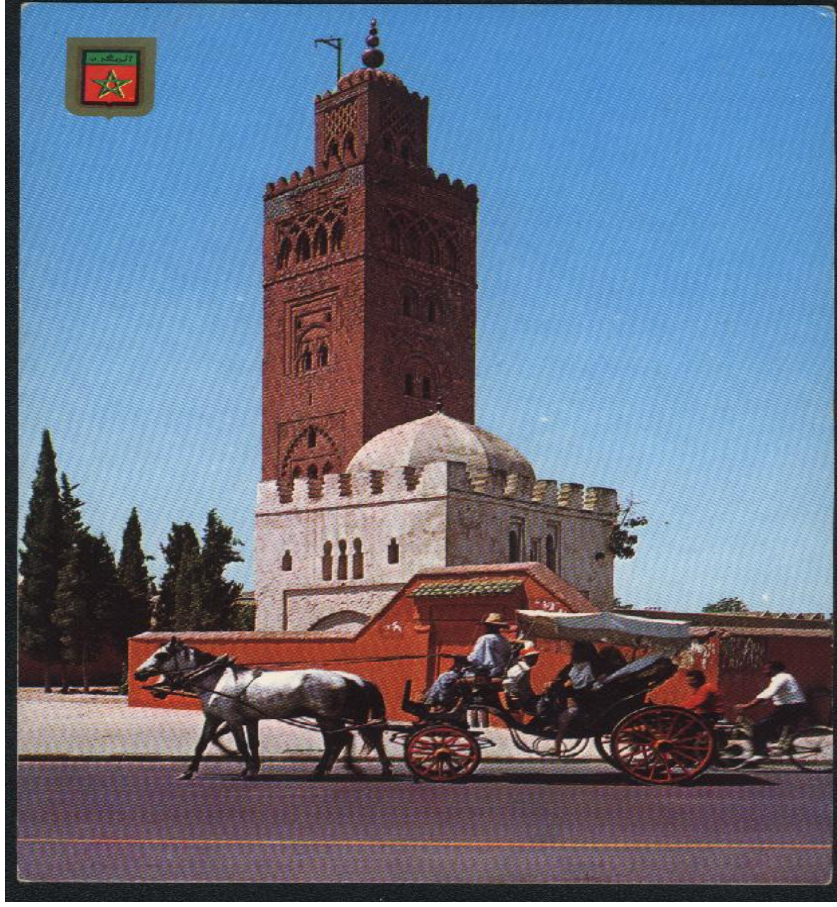
6. العمارة

جاء العرب المسلمون إلى كل البلاد التي فتحوها عنوة أو صلحاً مبشرين بدين جديد له أسسه وضوابطه وتعاليمه ومنظوره لإعادة صياغة الإنسان صياغة تحقق له التوازن بين تحقيق متطلباته وإشباع حاجياته الشخصية وبين واجباته تجاه ربه ومجتمعه، بحيث لا يتعدى المساحة التي حددها له الدين وقيم المجتمع. ولتحقيق هذه الغاية النبيلة كان لابد من استقرار مجموعات منهم في كل المناطق التي حلوا بها، وهذا ما حدث في المغرب والأندلس. وقد كانت الريادة لهم في بدايات ما بعد مرحلة الفتح، ليس لأنهم جاءوا أو ولدوا ليحكموا، ولكن لجهل أهل البلاد المفتوحة بالدين الجديد ونظمه السياسية والإدارية. وبعد أن تتقّف أهل البلاد المفتوحة واستعربوا وجدوا طريقهم إلى السلطة، وفتحت أمامهم أبواب المشاركة للمساهمة في جميع المجالات. وخلال فترة الحكم الإسلامي بالأندلس تمت العديد من الإنجازات في المجال المعماري، بعضها حتمته تعاليم الدين الجديد كالمساجد، وبعضها فرضته الظروف الأمنية كالعمارة الحربية، والبعض الآخر اقتضته ظروف النمو السكاني، والتطور العمراني، كالعمارة المدنية. وفيما يلي تعريف مقتضب بأهم إسهامات المسلمين في القرون الوسطى في هذه الجوانب بالمغرب والأندلس.

1.6 العمارة الدينية

المقصود بالعمارة الدينية المساجد ودور العبادة الأخرى. والاهتمام بهذه الدور وعلى رأسها المسجد نابع من أهمية المسجد ودوره في المجتمع الإسلامي، إذ فيه يؤدي المسلمون الصلوات الخمس، ويتعلمون أمور دينهم ودنياهم، ويتناقشون في المسائل الخاصة بحياتهم ومستقبلهم، ويتفقدون أحوال بعضهم البعض. ولذلك بدأ الفاتحون المسلمون في بناء وتأسيس المساجد في كل مدن وقرى الأندلس بعد أن دانت لهم بالطاعة ولكن هذه المساجد قد امتد إليها الخراب بعد استرجاع الإسبان للأندلس في عام 897هـ/1492م، ولم يبق منها سوى مساجد معدودة، وحتى هذه المساجد الباقية قد حولت إلى كنائس بعد استرجاع المدن الواقعة فيها مباشرة. ومن أبرز وأشهر المساجد الباقية مسجد

قرطبة La Mezquita de Cordoba الذي بناه الأمير عبد الرحمن الداخل، ثم تابع خلفاؤه من الأمراء والحكام الزيادة والتطوير والتحسين فيه، وقد حول إلى كنيسة بعد الاسترجاع لقرطبة، ومسجد إشبيلية الذي بدأ بناءه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن، وأكمل البناء ابنه يعقوب المنصور، الذي يرجع له الفضل أيضاً، في بناء مسجد الكتبية بمراكش، وهو موجود إلى اليوم، ومسجد حسان بالرباط، الذي تبقت صومعته (مئذنته). المشهورة بصومعة حسان La Toure du Hassan . (أنظر الشكل رقم (1)) وفي مكان هذا المسجد بنى الملك الحسن الثاني ضريحاً لوالده محمد الخامس، وفي الضريح نفسه دفن الملك الحسن الثاني إلى جوار والده، رحمهما الله رحمة واسعة. أما مسجد إشبيلية فقد حول إلى كنيسة بعد استرجاع الإسبان لإشبيلية، واشتهرت صومعته باسم الخيرالدا Lagiralda، لأنها حلزونية من الداخل، وليس بها أدراج للصعود. (أنظر الشكل رقم (2))



شكل رقم (1) مسجد الكتبية بمراكش
تصوير المؤلف

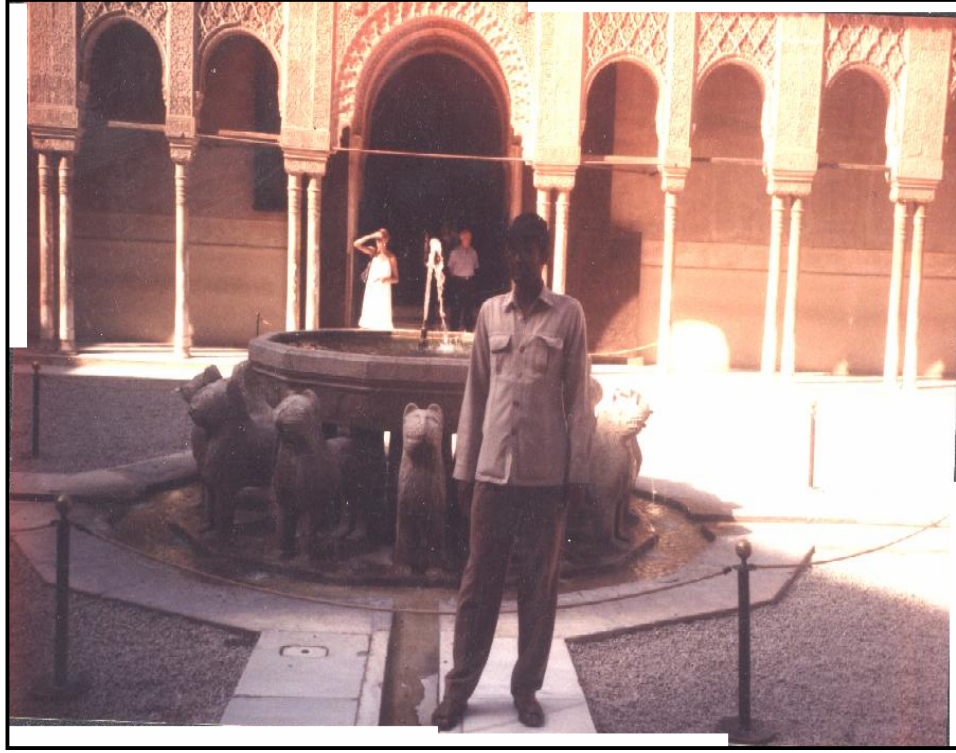


شكل رقم (2) صومعة مسجد اشبيلية (la Giralde)

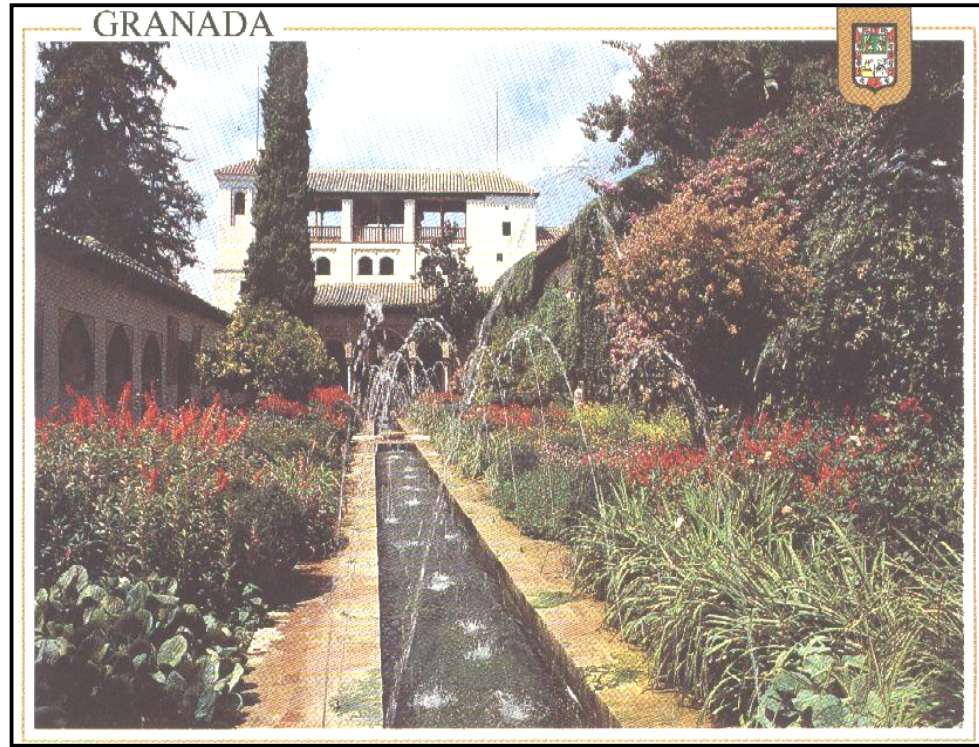
تصوير المؤلف

2.6 العمارة المدنية

جاء المسلمون إلى الأندلس لإعادة صياغة الإنسان بالصورة التي تمكنه من التعايش مع أخيه الإنسان، وتضمن له السعادة في الدنيا والآخرة، وليس لابتزاز أموال أهلها، واستغلال ثرواتها ونهبها، وتوظيفها في تطوير بلادهم، كما تفعل الدول القوية بالضعيفة اليوم. ومن أجل ذلك استقر معظم الذين شاركوا في فتح الأندلس به، واتخذوه وطناً لهم، وساهموا في إعمارها ببقية الشرائح الاجتماعية الأخرى. ونتج عن هذا التعايش الذي رعاه الإسلام، استحداث العديد من المدن كمدينة مرسية Murcia التي أسسها الأمير عبد الرحمن الأوسط عام 216هـ/831م، ومدينة الزهراء التي بناها الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله بالقرب من قرطبة في عام 325هـ/936م، وامتد إليها الخراب في نهاية القرن الرابع الهجري وبداية القرن الخامس نتيجة للفتنة التي اجتاحت الأندلس، ولم يبق من آثارها اليوم إلا ركام من الفخار وبقايا لصالون من صالونات قصر الخليفة الناصر لدين الله. وإضافة إلى ذلك فهناك القصور التي شيدها الحكام وأفراد الطبقة الأرستقراطية ومن أبرز القصور التي قاومت الزمن قصر الحمراء La Alhambra بغرناطة. وهو عبارة عن مدينة ملوكية متكاملة بها سجن وحمامات وقصبة وقاعة لاستقبال كبار الزوار والسفراء Salon de los Embajadores. ومن أشهر ساحاته فناء قاعة الأسود Patio de los leones. (أنظر الشكل رقم (3)) وإلى جانبه قصر آخر متصل به يعرف بقصر جنة العريف Gener a life. ويحتاج الزائر لثلاث ساعات، على الأقل، للطواف على مكونات القصر. (أنظر الشكل رقم (4))



شكل رقم (3) قاعة الأسود بقصر الحمراء بغرناطة
تصوير المؤلف



شكل رقم (4) قصر جنة العريف (Generalife)
تصوير المؤلف

3.6 العمارة الحربية

لم تكن وسائل التجسس في فترة الحكم الإسلامي للأندلس متقدمة، إذ لم تكن الأتار الصناعية معروفة ومستخدمة كنظام لمراقبة تحركات الجيوش أو النازحين من بلد لآخر، كما هو الحال في الدول المتقدمة اليوم، بل كانت العين المجردة المعززة بالمنظار، أحياناً، النظام الوحيد المطبق للرصد والمراقبة. وأمام بدائية وسائل الاتصال، ومحدودية العين المجردة وإمكانية خداعها، كان أمام أي دولة تريد لنفسها البقاء، والحفاظ على سيادتها خياران: أولهما الإبقاء على جيوشها في حالة استعداد مستمرة، وهو أمر باهظ التكلفة ومستحيل عملياً، وثانيهما اللجوء إلى الأنظمة الدفاعية المعمارية القوية، وهذا الخيار الأخير هو الأفضل، لأنه أكثر ضماناً، وأسهل في ناحية الإدارة والتحكم والمراقبة، ولذلك اختاره المسلمون في الأندلس، لحفظ دولتهم، وتأمين روع رعاياها. وقد أحاط المسلمون مدن الأندلس الهامة بأسوار عالية مزودة بأبراج للمراقبة، وأبواب فولاذية قوية للتحكم في حركة الدخول والخروج، واستفادوا في بنائها من تجارب الأمم السابقة وخاصة الرومان. ولا زالت بقايا هذه الأسوار موجودة في مدن مثل غرناطة وقرطبة وإشبيلية الخ. كما بنو القصباء، وهي مناطق عسكرية في المدن الهامة، لحمايتها. وهناك عدد منها باق إلى اليوم كقصباء مالقة La Alcazaba de Malaga التي ترجع إلى القرن الخامس الهجري، وقصباء وأدي أش Guadix التي ترجع إلى القرن نفسه.

وهكذا لا حظنا بأن الفتح الإسلامي للأندلس لم يكن احتلالاً عسكرياً وإنما هو إعمار لهذا البلد وتوفير للأمن لأفراده، وإطلاق للحريات، وتفجير للطاقات العقلية، وتنمية للمواهب، ظهرت ثماره في جميع الجوانب العلمية والمعمارية والثقافية، واستفادت منه جميع الأمم.

أسئلة للتقويم الذاتي



اجب عن الأسئلة التالية

1. " المساجد، والعمارة الحربية، والعمارة المدنية، لكل صنف منها ضرورة حتمت إنشاءها" وضّح هذه الضرورات.
2. من هو مؤسس مسجد قرطبة؟
3. ما هي المدن الجديدة التي أنشأها المسلمون في الأندلس؟
4. " لم يكن للدولة قديماً سبيل لمراقبة أمنها سوي خيارين..". ما هما؟
5. أذكر بعض أسماء القصبات التي أنشأها المسلمون بالأندلس وبقيت حتى الآن؟

تدريب (6)



- "اهتم الإسلام بتوفير الأمن بمعناه الشامل للإنسان، وإطلاق طاقاته للإبداع في جميع الجوانب الحياتية، فكانت النتيجة إعمار الأرض والإسهام في مجال العمارة عموماً." تحدث عن بعض إسهامات الأندلسيين في الجوانب الآتية، مقارناً ذلك مع تراه اليوم

- أ. العمارة الحربية.
- ب. العمارة الدينية

الخلاصة

عزيزي الدارس، بهذه الوحدة الخامسة نكون قد وصلنا معاً إلى نهاية هذا المقرر، وقد طافت بك هذه الوحدة وعرفتكَ على أهم المنجزات الحضارية للمسلمين في المغرب والأندلس في مجالات الفنون والآداب والفلسفة والعلوم الطبية، على أمل أن تكون قد كونت صورة متكاملة عن هذه المنجزات الحضارية ومدى إسهامات علماء المسلمين في هذه المجالات المختلفة.

فصلت الوحدة في ستة أقسام من المعارف وهي الفلسفة، الأدب، الطب، الصيدلة، الجغرافيا والعمارة. بجانب التعريف بأهم العلماء في هذه المجالات.

نرحب بك ثانية عزيزي الدارس، في هذا المقرر والذي تناول تاريخ المغرب والأندلس، ونتمنى أن تكون قد تمكنت من فهمه وزاد من حصيلتك العلمية. ونطلب منك عزيزي الدارس في ختام هذا المقرر أن تبعث لنا برأيك وملاحظاتك حول هذا المقرر، والتي ستجد كل الاهتمام في سبيل تطويره.

إجابات التدريبات

تدريب (1)

1. ثمانية قرون، وكانت الأندلس في معظمها تابعة للمغرب.
2. الفلسفة هي محبة الحكمة.
3. الكندي، والفارابي، وابن سينا.
4. أدّى ذلك إلى عدم اهتمامهم بدراساتها؛ مما أدّى إلى تأخر الفلسفة عندهم عما هي عليه في المشرق.
5. عبد الله بن مسرة.
6. لأن طبعة دعوتهم تقوم على إعمال العقل لتأكيد آرائهم في مسائل العقائد.
7. أ. (العبارة صحيحة) ب. (العبارة خطأ) ج. (العبارة خطأ) د. (العبارة صحيحة) هـ. (العبارة خطأ) و. (العبارة خطأ) ز. (العبارة صحيحة)

تدريب (2)

1. في عهد عبد الرحمن الداخل (138 . 172هـ / 755 . 788م).
2. أدّى إلى عدم استقلال أدب الأندلس عن أدب المشرق.
3. الروايتان ذكرتا أكثر من مخترع لشعر الموشحات؛ هما: الأولي محمد بن محمود القبري الضرير، والثانية مقدم بن معافى القبري.
4. أ. (2). ب. (1). ج. (2). د. (3). هـ. (1).

تدريب (3)

1. أدّى إلى الاعتقاد وسط الأوربيين في دور الآثار المقدسة في شفاء المرضى، و إلى ظهور التمايم والتعاويذ كوسائل علاجية.
2. فترة حكم الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط (238 . 273هـ)
3. ربما لكثرة الإصابة بأمراض العين لدى الأندلسيين.

4. أنشأوا البيمارستانات (المستشفيات).

5. المجموعة (أ) المجموعة (ب)

1. مسقط رأس الزهرواي. (4)

2. مسقط رأس الإشبيلي. (3)

3. من مؤلفات الزهرواي. (5)

4. من مؤلفات الإشبيلي. (6)

5. تاريخ وفاة الزهرواي. (2)

6. تاريخ وفاة الإشبيلي. (1)

تدريب (4)

1. لارتباط أهلها بصلات اللغة والدم والعقيدة بإخوتهم في الشرق.

2. هو أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، وأما مؤلفاته معجم ما استعجم،

والمغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، والممالك والمسالك.

3. ولد بسبته عام 493هـ/ 1100م.

4. لا، بل هو أول من رسمها.

تدريب (5)

راجع الإجابة في النص وأعرض ذلك على مشرفك الأكاديمي مناقشاً مدى التطور أو

التدهور في كلا الجانبين.

مسرد المصطلحات

Murcia	بمرسية
Provence	ولاية برفنس
Dioscorides	[ملك] ديوسقوريدس
Nicolas	[راهب] نيكولا
Roger11	[ملك] رو جر الثاني
Salon de los Embajadores	[قصة] لاستقبال كبار الزوار والسفراء
Gener a life	[قصر] جنة العريف
La Alcazaba de Malaga	قصة مالقة
Guadix	[قصة] وأدي آش
La Alhambra	[قصر] الحمراء
Lagiralda	[صومعة] الخيرالدا
La Mezquita de Cordoba	مسجد قرطبة
La Toure du Hassan	(مئذنة) صومعة حسان

المصادر و المراجع

المصادر و المراجع العربية

1. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في تراجم الأطباء. ج 3، (بدون تاريخ)، (بدون مكان نشر).
2. ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج 2، القاهرة 1375هـ.
3. ابن الفرصي، تاريخ علماء الأندلس، ج 2، القاهرة، 1954م.
4. ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق 1، ج 2، ليبيا. تونس، 1978م.
5. ابن تومرت، أعز ما يطلب، تحقيق سبهر غولد، الجزائر، 1903م.
6. ابن جليل، طبقات الأطباء والحكماء، القاهرة، 1955م.
7. ابن خاقان، الفتح، قلاند العقيان، مصر 1320هـ.
8. ابن خلدون، أبو عبد الرحمن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر في ملوك العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المقدمة، ج 3، بيروت، 1966م.
9. ابن زهر، التيسير في المداواة والتدبير، تحقيق ميشيل الخوري، الرباط، 1983م.
10. ابن سعيد المغربي، المغرب في حلي المغرب، ج 1، القاهرة، 1955م.
11. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج 6، القاهرة، 1944م.
12. ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة كولان، ج، س.، وبروفنس، ج2، بيروت، 1983.
13. ابن عذاري، المراكشي، قسم الموحدين، تحقيق محمد زنيير وآخرين، بيروت، 1985م.
14. الإدريسي، نزهة المشتاق، ج5، روما، (بدون تاريخ).
15. الإشبيلي، أبو الخير، عمدة الطبيب في معرفة النبات، الرباط، 1990م.
16. البكري، معجم ما استعجم، تحقيق مصطفى السقا، القاهرة، 1951م.

17. الترمذي، سنن الترمذي، مراجعة عبد الرحمن محمد عثمان، ج 3، (بدون مكان نشر) 1974م.
18. الخطابي، محمد العربي، الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، ج1، بيروت، 1988م.
19. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد عثمان، سير الأعلام النبلاء، ج8، بيروت، 1986م.
20. الطباع، عبد الله أنيس، القطوف الياضعة من ثمار جنة الأندلس الدانية، بيروت، 1986م.
21. الطويل، توفيق، العرب والفكر الفلسفي، (بدون مكان نشر) بدون تاريخ.
22. العبادي، أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، بيروت، 1978م.
23. المراكشي، عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد العريان وآخرين، القاهرة، 1978م.
24. بالنثيا، أنخل جنثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، القاهرة، 1955م.
25. خفاجة، محمد عبد المنعم، قصة الأدب في الأندلس، بيروت، 1962م.
26. صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، مصر، (بدون تاريخ).
27. ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، بيروت، 1956م.
28. عاصي، ميشال، الشعر والبيئة في الأندلس، بيروت، 1970م.
29. فراج، عبده، معالم الفكر الفلسفي في العصور الوسطى، القاهرة، 1969م.
30. مؤنس حسين، تاريخ الجغرافيا والجغرافيين بالأندلس، القاهرة، 1986م.
31. مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد الثالث عشر، الرباط 1987م.
32. مجموعة من العلماء، دائرة المعارف الإسلامية، ج، 1 (بدون تاريخ).
33. مظهر، جلال، حضارة الإسلام وأثرها في الترقى العالمي، القاهرة، (بدون تاريخ).

المراجع الأجنبية

34. Miguel Cruz, Historia del Pensamiento en el Mundo Islamico Tomo11, Madrid,(1981).